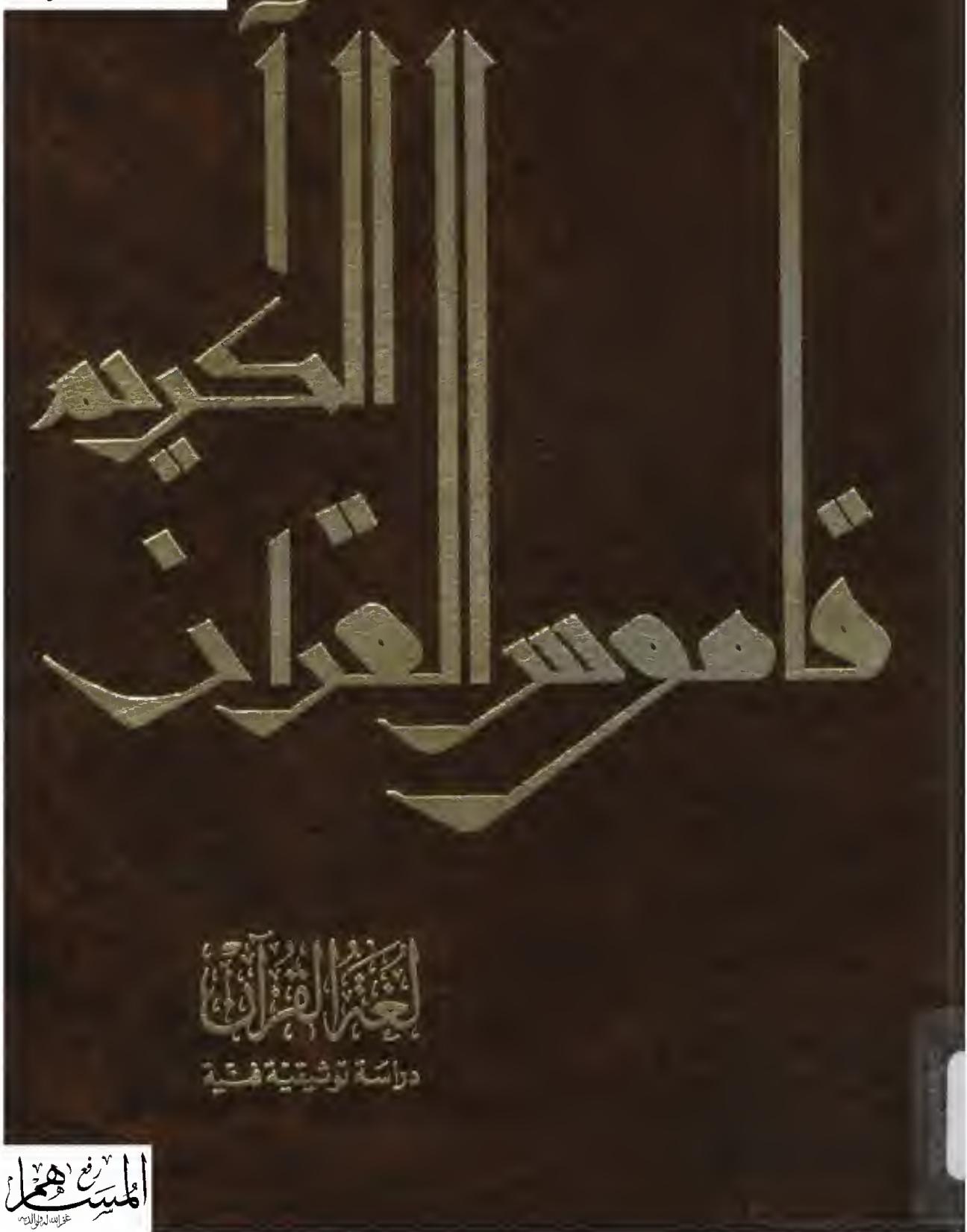


المَسْرُفُ الْمُهْجَلُ

غَرِيبُ الْجَوَالِي



المَسْرُفُ الْمُهْجَلُ

غَرِيبُ الْجَوَالِي

# الخط القرآن

دراسة توثيقية فنية

أمير فتحي هلال

خواص لغالية

الناشر: مؤسسة الكويت للتقدم العالمي  
مشروع قامون القرآن الكريم  
الكويت: ١٣١٢ (٢٠٠٩)  
ص.ب: ٥٦٦٣  
فاكس: ٤٤٥٣٦٥  
طباعة ذات السلاسل

المصحف  
مصحف

مكتبة الشريعة

# المُسَرِّفُ الْهَمْجُلُ

غَفَارُ اللَّهِ لِمَنْ حَلَّ لَهُ

مُوَسِّيَةُ الْكُوَيْتِ لِلثَّقَدَةِ الْعَالَمِيَّةِ



# لِحَمَّةِ الْقَرْآنِ

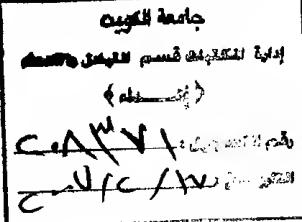
دراسة توثيقية فتية

تأليف

الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ مُحَمَّدُ عَزِيزٌ

الأستاذ بقسم اللغة العربية وأدابها  
جامعة الكويت

١٥٢٣٩١



الطبعة الثانية

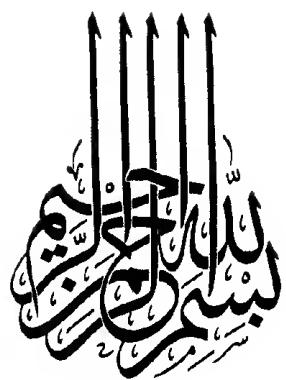
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الكويت

٦٦٢  
أع. قا

المُسَرِّفُ الْهَمْجُلُ

غَفَارُ اللَّهِ لِمَنْ حَلَّ لَهُ



امان رفیع همچل

خواصی میرالله

أهلاً وسهلاً

بـ

## المقدمة

يمثل القرآن الكريم واقعاً لغويَا فريداً ﴿ لَأَيْمَنِهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾. فهو - من ناحية - قد توافرت له من وسائل الحفظ، وطرق التوثيق مالم يتوافر لأي نص آخر، ديني أو غير ديني. وهو - من ناحية أخرى - قد اجتمعت فيه كل مظاهر الأداء الفني والبلاغي، واحتوى من وسائل التأثير، وأسرار التعبير ما لا يطالول إليه أي عمل سابق أو لاحق.

وإذا كانت رسالة كل رسول مكتوبة بزمان معين، ومكان معين، وشعب معين؛ وكانت معجزة كل رسول تلائم هذه الغاية من ناحية، وترتبط بمكان نزولها وزمانه من ناحية أخرى - فقد كانت رسالة محمد ﷺ شاملة لكافة الأمكنة، عامة لجميع الخلق، باقية ما بقيت السموات والأرض. وما كان يناسب هذا النوع من الرسائلات معجزة آتية تخاطب شعباً بعينه، في زمان بعينه، ومكان بعينه، ويتنهي أثرها بأدائها، ويتسوقف مفعولها بوفاة أصحابها؛ ولكن ما يناسبه معجزة خالدة، باقية الأثر، متداة المفعول، متتجدة ما تجدد الليل والنهر... .

وهكذا كانت معجزة الرسول محمد ﷺ معجزة من نوع خاص:  
معجزة لغوية.

وكون معجزة الرسول محمد ﷺ لغوية لا يعني أنها مقصورة على جانب الشكل الخارجي، أو الإطار الظاهري. فجانب اللغة يجمع بين

الشكل والمضمون، بين اللفظ وال فكرة، بين الأداء والمحتوى. وهكذا جاء إعجاز القرآن اللغوي جامعاً للناحيتين؛ فإعجازه في شكله، كما هو في مضمونه، بل يزيد على ذلك إعجازاً آخر في ملائمة بين الشكل والمضمون.

ولما كان جزءاً من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم صونُ ألفاظه عن التبديل والتغيير، والحفظ عليه في صورته التي نزل عليها، فقد كان لزاماً على من يتحدث عن الجانب الفني والبلاغي في لغة القرآن أن يتحدث أولاً عن الجانب التوثيقى سواء من جانب التدوين والكتابة، أو من جانب الرواية والمشافهة. وكان سبيل الوصول إلى ذلك الحديث عن كتابة القرآن في عهد الرسول ﷺ، وخصائص الرسم العثماني، ووسائل تيسيره وتحسينه، ومدى تضمن هذا الرسم للأحرف السبعة، وأنهيراً إبطال الدعوى التي تزعم وجود لحن في القرآن نتيجة سهو أو خطأ في رسم المصحف العثماني. وكان هذا كله هو موضوع الفصل الأول من الباب الأول الخاص بالجانب اللغوي والتوثيقى للقرآن.

وخصصت الدراسة بجانبي المشافهة بالقرآن والبحث في القراءات القرآنية فصلين تاليين تحدثاً عن العلاقة بين الرسم القراءة من ناحية، وبين الأحرف القراءات من ناحية أخرى. كما تحدثاً عن تعدد أوجه القراءة، وعن أشهر من اشتغلوا بالقراءات رواية أو تصنيفاً.

وقد يتداخل الجانبان التوثيقى واللغوى في بعض الحالات، بل قد تكون بعض أدوات التوثيق لغوية في نفس الوقت، ولذا تم مزج الجانبين أثناء الحديث عن موقف اللغويين من القراءات القرآنية، وبيان الأهمية اللغوية والدينية لهذه القراءات.

ولم أجده من الممكن الحديث عن الجانب اللغوي للقرآن دون التعرض لبعض القضايا اللغوية الهامة فيه، وبهذا انبثق الفصل الرابع من الباب الأول الذي عالج قضايا ثلاثة هي :

- غريب القرآن، وما احتواه من معان دقت على أفهم بعضهم.
- هجات القبائل العربية الممثلة في القرآن الكريم.
- ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ ذات أصول أجنبية، عرّبها العرب قبل نزوله، واستخدموها في لغتهم بعد أن صارت عربية بالتعريب.

ولا يكتمل الحديث عن لغة القرآن دون إيقاء الجانب الفني والبلاغي فيه حقه. وهكذا جاء الباب الثاني الذي حاول أن يغترف من بحر القرآن الواسع، وأن يقدم قبساً من بلاغته وإعجازه وأسرار تعبيره وبدائعه.

والجانب الفني في لغة القرآن هو أهم جوانبه الإعجازية، كما أنه هو الجانب الذي لفت نظر العرب، وسحر لهم، وأثار إعجابهم حتى قبل أن يعرفوا فضل القرآن وتميذه في مجالاته الأخرى.. وهو الجانب الذي لم ينخلف عن القرآن حتى في أقصر سوره، وقبل أن يكتمل نزوله، وهو بعد نجوم أو آيات متفرقات.

وقد حاول هذا الباب الكشف عن أسرار البيان في القرآن، بدءاً من الصوت المفرد، ومروراً بالكلمة أو اللفظة القرآنية، وانتهاء بتراكيبه وجمله وآياته. وهكذا خصص الفصل الأول من هذا الباب للكشف عن أسرار التعبير القرآني من الجوانب السابقة دون ادعاء للشمول أو المحصر. ولم يفت البحث خلال ذلك أن يبرز جانباً لغوياً من جوانب إعجاز القرآن لم يكن ظاهراً للعيان حين نزوله، وإنما كشف عنه التأمل والإحصاء، بعد تقدم

البحث اللغوي وتحليل أصوات الكلام، وهو ما سميته بالتوازن الصوتي والتصنيف الدقيق لفowاتح السور.

وكان ضرورياً بعد الفراغ من هذا الفصل تخصيص فصل ثان للإعجاز القرآني ركز على الجانب الفني والبلاغي فيه، وبين أن التحدى الأكبر للعرب كان الإتيان بمثل القرآن أو بعضه في فصاحته، وبيانه الرفيع، ونظمه الفريد، وأسلوبه المعجز.

ورغم أن ما حواه القرآن من ألوان البديع وفنون البيان ووجوه تحسين الكلام داخل في إعجازه الفني والبلاغي فقد رأينا من الأفضل إفراده بفصل مستقل حمل اسم «بدائع القرآن»، أولاً لشغل هذه البدائع مؤلفات بتلها، وثانياً لأن هذا النوع من البيان يحتاج إلى تفصيل خاص نظراً لتنوع فسونه وتنوع صوره.

وبعد: فالحديث عن لغة القرآن الكريم حديث لا ينتهي، وأي ادعاء بإمكانية الإحاطة، أو إدراك السر الكامل للإعجاز اللغوي القرآني هو محض خيال. ورغم توالي الأحقاب وال السنين، وتتابع الدراسات القرآنية منذ القرن الأول للهجرة فقد بقي في جعبـة العلماء الكبير ليقال وسيبقى للأجيال القادمة الكثير أيضاً لتقوله. ورغم استمرار المحاولات لاكتناه النص القرآني وفهم أسراره فستظل محاولات قاصرة لأنها تتناول النص القرآني الذي يتجاوز - بإعجازه - كل طاقات النفس البشرية.

ويظل القرآن - على مر العصور - زاداً لا ينفد، ومعيناً لا ينضب، وسيلةً متدفقةً لا يتوقف عطاوه، ومائدةً عامرة كلما استردت منها الخير زادتك.

\* \* \*

وأخيراً أقول: إنني لا أجده من الكلمات ما يفي بحق الأخرين  
العزيزين والصديقين الحميمين:

الأستاذ الدكتور عبدالله الغنيم.

والأستاذ عبدالحميد البسيوني.

الأول، لما منحني من ثقة، وما أفاضه عليّ من تشجيع لإنعام هذا  
العمل. والثاني، لتفضله بقراءة أصول هذا الكتاب، وإبدائه العديد من  
اللاحظات والاستدراكات التي جبرت كثيراً مما كان بالعمل من نقص،  
وتداركت ما شابه من قصور.

فلهما مني وافر الامتنان، ومن الله حسن الجزاء.

الكويت

في الأول من المحرم ١٤١٣ هـ

الناشر: مؤسسة الكويت للتقدم العالمي  
مشروع قامون القرآن الكريم  
الكويت: ١٣١١٢  
ص.ب: ٥٥٦٦٣  
فاكس: ٤٤٥٣٦٥  
طباعة ذات السلاسل

المصحف  
مصحف

## الباب الأول

### الجانب اللغوي والتوثيقي

١٣

المسيح يهمنا  
خواص لغة العبرانية

الناشر: مؤسسة الكويت للتقدم العالمي  
مشروع قامون القرآن الكريم  
الكويت: ١٣١١٢  
ص.ب: ٥٥٦٦٣  
فاكس: ٤٤٥٣٦٥  
طباعة ذات السلاسل

المصحف  
مصحف

## (الفصل الأول)

### كتابة القرآن

#### ١ – كتابة القرآن في عهد الرسول:

لا نستطيع أن نتحدث عن الصورة الأولى التي كتب بها القرآن الكريم أثناء نزول الوحي في عهد الرسول ﷺ؛ لأن المصادر لم تحو نماذج من الكتابات المبكرة هذه الفترة، كما أن هذه المصادر تجمع على أن عثمان بن عفان بعد أن أمر بنسخ المصاحف أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في صحيفة أو مصحف أن يحرق<sup>(١)</sup>. كذلك فإن الصحف التي كانت عند حفصة قد قام مروان بن الحكم بإحراقها بعد وفاتها<sup>(٢)</sup>.

ولكن أغلب الظن أن آيات القرآن كانت تكتب في عهد الرسول خالية من أي نقط (سواء كان نقط إعجام<sup>(٣)</sup> أو نقط شكل<sup>(٤)</sup>)، وعمدة من أي علامات إضافية حتى على فرض معرفة العرب لنقط الإعجام كما تدل

(١) البرهان ٢٣٦/١، والإتقان ٥٩/١.

(٢) مباحث في علوم القرآن لصيحي الصالح، ٩٢، عن المصاحف، ٢٥، وانظر ص ٢١ منه.

(٣) نقط الإعجام هو الذي يميز الأحرف المشابهة بعضها من بعض كنقط الباء ب نقطة من تحت، والباء باثنتين من فوق.

(٤) نقط الشكل كان صورة مرحلية للتعبير عن الحركات القصيرة، وهي الفتحة والضمة والكسرة.

بعض النقوش التي عثر عليها . وما أظن أن دعوات الصحابة إلى تجريد القرآن إلا اتباعاً لسنة رسول الله، واهتداء بالطريقة التي أقرها الرسول لكتابته. ومن ذلك قول عبدالله بن مسعود: «جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء»، وما روي عن ابن عمر وقتادة أنها كانا يكرهان نقط المصحف<sup>(٢)</sup>.

ولكن بعض الكتاب المعاصرين يطرح احتمال أن يكون الخط الذي كتب به الوحي بإملاء الرسول كان يحتوي على نقط الإعجام، وأن الصحف التي قيد فيها القرآن بإملاء النبي كانت - إذا صح الاحتمال - أكثر تقييداً في ذاتها، وإن انتفى أثر هذا التقييد بوجود رخصة الأحرف السبعة<sup>(٣)</sup>.

ومعنى هذا أن تجريد النص القرآني من النقط قد استحدث في المصحف العثماني، وكان اختياراً من الكتبة حتى يتسع هيكل الكلمة لأكبر عدد ممكن من الأحرف، أو الأوجه القرائية؛ إذ يبعد كما يقول القلقشندي «أن الحروف مع تشابه صورها كانت غريبة عن النقط إلى حين نقط المصحف»<sup>(٤)</sup> على يد نصر بن عاصم.

وهناك إشارات في بعض المراجع إلى أن الرسول كان يرشد بنفسه كتبة الوحي إلى رسم حروف القرآن وكلماته، كقوله ﷺ لمعاوية: «أليق

---

(١) عثر على بردية مصرية مؤرخة ٢٢ هـ، وعلى نقش قرب الطائف يعود إلى ٥٨ هـ وفيها بعض التنقيط (انظر تاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين / ٧٢ والخط العربي لإيميل يعقوب / ٢٩، والخط العربي لسهيلة الجبوري / ٥٦).

(٢) المحكم في نقط المصاحف للداني / ١٠ .

(٣) تاريخ القرآن لعبد الصبور / ٧٣/٧٣ بتصريف.

(٤) تاريخ القرآن لعبد الصبور / ٧١، ٧٣، وانظر صبح الأعشى / ٣ / ١٥١.

الدواة، وحرّف القلم، وانصب الباء، وفرق السين، ولا تغور الميم،  
وحسن الله ومد الرحمن، وجود الرحيم..»<sup>(١)</sup>.

ولا يصح هذا - بالطبع - إلا عند القائلين بمعرفة الرسول ﷺ للقراءة  
والكتابة، وهو رأي لاقى مقاومة شديدة ونكيراً من العلماء<sup>(٢)</sup>.

وسواء كان كتاب الوحي الرسميون يستخدمون نقط الإعجمام في كتابة  
القرآن أو لا يستخدمونه فهناك سؤال يطرح نفسه في هذا المقام وهو: إلى  
أي مدى احتوى النص المكتوب للقرآن في عهد الرسول على الأحرف  
السبعة، أو الأوجه السبعة التي أنزل عليها القرآن؟

انقسم العلماء في الإجابة عن هذا السؤال إلى فريقين:

١ - فريق رأى أن النص المكتوب للقرآن في عهد الرسول ﷺ كان يحوي  
الأحرف السبعة التي أنزل عليها، وأن الرخصة في تعديد القراءة  
شملت المكتوب والمنطق. ومن هذا الرأي الدكتور صبحي الصالح  
الذى يقول: «كتاب القرآن في عهد الرسول كانت ملحوظاً فيها  
الأحرف السبعة»<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه للكردي /١٩٠، ومباحث في علوم القرآن لصبحي  
الصالح /١٠٥.

(٢) من النقول التي تشعر بمعرفة الرسول للحروف ما روي عن ابن أبي شيبة وغيره: ما مات  
رسول الله حتى كتب وقرأ. وما جاء في حديث قصة الحديبية: «فأخذ رسول الله الكتاب  
فكتب». وفي رواية: «وليس يحسن يكتب فكتب». وفي رواية: «فكتب بيده». وروي عن  
جعفر الصادق: «كان عليه السلام يقرأ من الكتاب وإن كان لا يكتب». وفي «الشفاء» أنه  
وردت آثار تدل على معرفة الرسول لحروف الخط وحسن تصويرها (انظر: تاريخ القرآن  
لعبدالصبور /٤٧، ٤٨، وتاريخ القرآن للكردي /١٩٤، ومناهل العرفان للزرقاوي  
/٣٥٧).

(٣) مباحث في علوم القرآن /٨٠.

٢ - وفريق رأى أن كتاب الوحي كانوا يكتبون النص القرآني في عهد الرسول كما يملئه، ويحرف واحد. أي أن الكتابة لم تكن كالقراءة على سبعة أحرف، أو سبعة أوجه؛ لأن تنوعات الأحرف السبعة لا يمكن ضمها في رمز خططي واحد. وقد ثبتت الكتابة في مكة بأيدي القرشيين، وفي المدينة بأيدي جماعة من الأنصار، ولم يكن بين الحين فروق في الرسم تذكر<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الرأي الشيخ محمد أبو زهرة الذي قال: «الذي كتب في عصر النبي ﷺ لم يعترف بغيره، ولم تجر عليه الحروف السبعة، فالحروف السبعة كانت في قراءة القرآن لا في كتابته. واستثنى النبي كان في القراءة لا في الكتابة»<sup>(٢)</sup>. ومنه كذلك الدكتور عبد الصبور شاهين الذي فرق بين التدوين والمشافهة، وقصر الرخصة في استبدال لفظ بأخر على المشافهة لا التدوين<sup>(٣)</sup>، ونص على أن إملاء الرسول القرآن على كتاب الوحي «كان على حرف واحد، وبصورة واحدة خالية من الزيادة، أو النقص، أو التبدل.. مما تحتمله أو لا تحتمله رخصة الأحرف السبعة..»<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن الدكتور صبحي الصالح قد اتجه إلى هذا الرأي دون أن يشعر حين قال في موضع آخر في كتابه السابق: «إذا كان الرسول قد وسع على المسلمين في أول الأمر وراغب التخفيف عن العجوز والشيخ الكبير، وأذن لكل منهم أن يقرأ على حرفه (أي على طريقة في اللغة) تجنبًا للمشقة

---

(١) تاريخ القرآن لعبد الصبور/٥٤.

(٢) المعجزة الكبرى: القرآن/٣٧.

(٣) تاريخ القرآن/٥٥.

(٤) السابق/٥٧.

في النطق بغير لغته فليس معنى هذا أنه كان يأذن لهم بإثبات هذه القراءات وكتابتها على أنها حروف نزل عليها القرآن»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - خصائص الرسم العثماني:

يراد بالرسم كتابة الحروف المجائية التي تدل على الكلام، وبالرسم العثماني كتابة القرآن بالطريقة التي تمت في عهد عثمان بن عفان<sup>(٢)</sup>. ويشمل ذلك طريقة هجائه وتجزئته من علامات الإعجام والشكل.

وقد قسم القسطلاني في «لطائف الإشارات» طريقة هجاء المصحف إلى قسمين هما:

أ - قياسي، وهو ما وافق الخط في اللفظ. وقد جاء عليه أكثر رسم المصحف.

ب - واصطلاحي، وهو مخالفة الخط لللفظ، أو مخالفة الرسم لقواعد الكتابة العربية<sup>(٣)</sup>، وهذا النوع على الرغم من مخالفته لقواعد الرسم في العربية يخضع في معظمها لقواعد معينة تشكل الأسس لما سمي بالرسم العثماني.

وقد حصر القسطلاني قواعد الرسم في: الحذف أو الإثبات، والزيادة، والبدل، والفصل أو الوصل، والهمزة، وما فيه قراءتان يكتب على إحداهما<sup>(٤)</sup>. وأمثلة ذلك:

(١) مباحث في علوم القرآن ١٣٨/١.

(٢) تاريخ القرآن للكردي ١٠٧/١، ومناهل العرفان للزرقاني ٣٦٢/١.

(٣) لطائف الإشارات ٢٨٤/١، ٢٨٥، والإحاف ١٠، ومقدمة «معجم القراءات القرآنية» لأحد ختار وعبد العال سالم / ٤١.

(٤) لطائف الإشارات ٢٨٨/١، والإتقان، النوع السادس والسبعون، وانظر مناهل العرفان ٣٦٢/١ وما بعدها.

## أ - الحذف أو الإثبات:

من ذلك حذف ألف «لكن» مخففة ومشددة أينما وكيف وقعت، وكذلك ألف «أولشك» و«ذلك»، وألف «ها» التبيه في مثل: «هانتم هؤلاء»، والألف الندائية في مثل: «يرب»، «ينوح»، «يساء»<sup>(١)</sup>.

وقد تختلف المصاحف في الحذف أو الإثبات مثل الألفين في الجمع المصحح المؤثر كالصالحات والصفات والصائرات. فاكثر المصاحف على حذف الألفين، وأقلها على حذف الأولى وإثبات الثانية<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة الحذف كذلك حذف الياء الواحدة المتطرفة بعد كسرة نحو: «ولا تكفرون»، «يشفين».. الخ<sup>(٣)</sup>.

وكذلك حذف إحدى كل واوين تلاحتنا في كلمة نحو: «داود»، «الغافون»، وحذف الواو من مثل «وَيَدْعُ الْإِنْسَنَ»<sup>(٤)</sup>، و«وَيَمْحُ اللَّهُ»<sup>(٥)</sup>.

## ب - الزيادة:

وقد انحصرت أمثلة الزيادة في الألف والواو والياء، ومن أمثلة ذلك:

\* زِيادةُ الْأَلْفِ فِي «شَيْءٍ» مثلاً: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَائِئٍ»<sup>(٦)</sup>، وفي «مائَةٍ»،

(١) لطائف الإشارات ١، ٢٨٨، ٢٨٩، والإتحاف ١٠.

(٢) اللطائف ١، ٢٩٤، والإتحاف ١٢.

(٣) اللطائف ١، ٢٩٧.

(٤) الإسراء ١١.

(٥) الشورى ٢٤. وانظر لطائف الإشارات ١، ٢٩٩، والمصحف لابن أبي داود ١١٦ والإتقان ١٦٧/٢، والبرهان ١، ٣٩٧، والمحكم في نقط المصحف للداني ١٨، وما بعدها.

(٦) الكهف ٢٣.

وـ«مائتين» وفي «ابن» وـ«ابنة» حيث وقعا، وفي «الظنوها»، وـ«الرسولا» وـ«السيلا» وغيرها.

\* زيادة الواو في «أولو»، وـ«أولي»، وـ«أولت»، وـ«أولتك»، وـ﴿سَأُوْرِيْكُمْ دَارَ الْفَسِيْقِيْنَ﴾<sup>(١)</sup>.

\* زيادة الياء في «ملا» المجرور المضاف إلى مضمر مثل: ﴿إِلَّا فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي ﴿نَبَيِّنَ الْمُرْسَلِيْنَ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي «أيده» من قوله سبحانه ﴿بَنَيَّنَهَا بِأَيْدِيْهِ﴾<sup>(٤)</sup>، وغيرها<sup>(٥)</sup>.

جـ - البدل:

ومن أمثلته رسم ألف المترفة ياء اتفاقاً في «الهدى»، وـ«القرى» وـ«قربى»، وـ«الأسرى»، وـ«مشونه»، وـ«وارنكم».. الخ.

ورسم ألف واوا في «الصلوة»، وـ«الزكوة»، وـ«الحيوة»، وـ«الربوا» غير مضافات.

وكتابة هاء التأنيث تاء في ﴿رَحْمَتَ اللَّهِ﴾<sup>(٦)</sup>، وـ﴿نِعْمَتَ﴾<sup>(٧)</sup>، وـ﴿سُنْتُ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) الأعراف ١٤٥.

(٢) هود ٩٧.

(٣) الأنعام ٣٤.

(٤) الذاريات ٤٧.

(٥) انظر لطائف الإشارات ٣٠٠/١، والمحكم للداني ١٧٤ وما بعدها، والبرهان ٣٨١/١ وما بعدها، والإتقان ١٦٨/٢.

(٦) البقرة ٢١٨ وغيرها.

(٧) البقرة ٢٣١ وغيرها.

(٨) الأنفال ٣٨ وغيرها.

#### د- الفصل والوصل:

ومن أمثلة ذلك كتابة «عما» و«فيما» متصلتين، وكتابة «مَالْهَذَا الرَّسُولِ»<sup>(١)</sup> ونحوه بفصل اللام عن اسم الإشارة<sup>(٢)</sup>. وقد كتبت «ما» في المصحف وهي اسم مقطوعة وموصولة، فكتبوا «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَاتِّ»<sup>(٣)</sup> مقطوعة، وكتبوا «إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ»<sup>(٤)</sup> موصولة<sup>(٥)</sup>.

#### هـ- الهمز:

اتفقت المصاحف على كتابة صورة الهمزة بالحرف الذي تؤول إليه في التخفيف أو تقرب منه، وأهملوا المحذوفة فيه، ورسموا المبتدأ بها ألفاً، فيما عدا بعض مواضع في الرسم وقعت على غير قياس. ولذا كتبت همزة «هؤلاء» واوا، و«لثلا» ياء، و«اشمارت» ألفا، و«أولاء» ألفا كذلك، وأهمل رسمها في مثل «الاسماء»: (الأسماء)<sup>(٦)</sup>.

#### وـ ما فيه قراءتان يكتب على إحداهما:

ما فيه قراءتان (أو أكثر) نوعان: نوع يحتمله الرسم العثماني المجرد من النقطة والشكل مثل: «فسوا»، التي تحتمل «فتبنوا» و«فتشتبوا» - وقد قرئ «بها»<sup>(٧)</sup>. ومثل: «سرها» التي تحتمل «تنشرها» و«نشرها» - وقد قرئ «بها

(١) الفرقان ٧.

(٢) لطائف الإشارات ٣٠٤/١، والإتقان ١٦٩/٢، ١٧٠.

(٣) الأنعام ١٣٤.

(٤) ط ٦٩.

(٥) مقدمة معجم القراءات القرآنية ٤٢/١.

(٦) لطائف الإشارات ٣٠٤/١، ٣٠٦ - ٢٠٩، وتاريخ القرآن لعبد الصبور/٢٠٩.

(٧) النساء ٩٤، والحجرات ٦، وانظر معجم القراءات القرآنية ١٥٤/٢، ٢٢٠/٦.

كذلك<sup>(١)</sup>. وهذا لا مشكلة فيه. نوع لا يحتمله الرسم العثماني، ويتعذر رسمه - دون شكل ونقط - بصورة تحتمل جميع الوجوه. وقد جرى كتاب المصاحف العثمانية في هذا النوع على تنويع الرسم في النسخ المتعددة التي نسخوها بحيث تقتصر كل نسخة على وجه واحد، وتحوي النسخ مجتمعة الوجوه المتعددة، أو القراءات المتنوعة. ومن هنا جاءت الاختلافات أو الفروق بين بعض المصاحف العثمانية وبعض.

ومن أمثلة هذه الاختلافات:

- \* جاء في مصحف أهل المدينة: «أوصى»<sup>(٢)</sup> وفي مصحف أهل العراق: «ووصى».
- \* جاء في مصحف أهل المدينة: «سارعوا إلى مغفرة»<sup>(٣)</sup> وفي مصحف أهل العراق: «وسارعوا».
- \* جاء في مصحف أهل الشام: «لم يتَّسَّنَ»<sup>(٤)</sup>، وفي مصحف أهل العراق: «لم يَتَّسَّنَ».
- \* جاء في مصحف أهل الشام: «باليَّنَاتِ وبِالزُّبُرِ»<sup>(٥)</sup>، وفي مصحف أهل العراق: «والزبر».
- \* جاء في مصحف أهل الكوفة: «لَئِنْ أَنْجَانَا»<sup>(٦)</sup>، وفي مصحف أهل البصرة: «لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا».

(١) البقرة ٢٥٩. وهناك قراءتان آخرتان يحتملها الرسم (انظر: معجم القراءات القرآنية ٢٠٠/١).

(٢) البقرة ١٣٢.

(٣) آل عمران ١٣٣.

(٤) البقرة ٢٥٩.

(٥) آل عمران ١٨٤.

(٦) الأنعام ٦٣.

\* جاء في مصحف أهل الكوفة: **«وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاهُ يَوَمَ الْيَهْرُبَةِ حَسَنًا»**<sup>(١)</sup>، وفي مصحف أهل البصرة: «حسنا»<sup>(٢)</sup>.

وقد بين فضيلة الشيخ محمد حسين خلوف الحكمة في تسويع الرسم في هذا النوع قائلاً: إنه اختلاف قصد بإثباته إنفاذ ما وقع الإجماع عليه إلى أقطار بلاد المسلمين واحتقاره بينهم. وإنما كتبت هذه في البعض بصورة، وفي آخر بأخرى؛ لأنها لو كررت في كل مصحف لتوجه نزولها كذلك. ولو كتبت بصورة في الأصل، وبآخر في الحاشية لكان تحكم<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ على حالات الهجاء في الرسم العثماني أن قواعدها غالبة وليس مطردة. فقد رسمت بعض الكلمات في موضع برسم، وفي موضع آخر برسم مخالف كما سبق أن مثلنا. ونزيد على ذلك الأمثلة الآتية:

١ - ثبتت ألف «قرءان» في كل الموضع إلا في موضعين اثنين<sup>(٤)</sup>.

٢ - حذفت ألف «الميعاد» في الأنفال<sup>(٥)</sup>، وأثبتت في غيرها<sup>(٦)</sup>.

٣ - رسم في جميع المصحف **«إِبْلَى فِي قُرَيْشٍ»**<sup>(٧)</sup> بياء بعد الممزة، ولكن رسم **«إِلْفَهْمٌ»** بغير ياء<sup>(٨)</sup>.

(١) الأحقاف . ١٥

(٢) دراسات قرآنية - تاريخ القرآن وعلومه لعدنان رززور / ١٠٢ ، ١٠٣ ، ومقدمته معجم القراءات ٤٥/١.

(٣) تاريخ القرآن للكردي ٩٧/٢٥٢، نقلأ عن الشيخ خلوف في كتابه عنوان البيان في علوم النبيان، ومناهل العرفان ١/١، ومقدمة معجم القراءات ٥٠/١.

(٤) هما يوسف ٢ والزخرف ٣.

(٥) آية ٤٢ .

(٦) نحو آل عمران ٩. وانظر لطائف الإشارات ١/٢٨٧ - ٢٩١ .

(٧) قريش ١.

(٨) قريش ٢ . وانظر المحكم للداني ١٨٧/١.

٤ - رسمت «إبراهيم» في القرآن كله بالياء، إلا في البقرة فقد رسمت بدون ياء<sup>(١)</sup>.

٥ - رسمت كلمة «كتاب» في جميع القرآن بغير ألف ما عدا أربعة مواضع رسمت فيها بالألف، منها: «كُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ»<sup>(٢)</sup>. ورسمت كلمة «قال» بالألف ماعدا خمسة مواضع رسمت فيها بدون ألف مثل: «قَالَ رَبُّ أَحْمَكَ بِالْحَقِّ»<sup>(٣)</sup>.

٦ - رسمت «سَيِّدَهَا لَدَى الْأَنْبَابِ»<sup>(٤)</sup> بالألف، لكن «القلوبُ لَدَى الْخَنَّاجِ»<sup>(٥)</sup> بالياء.

وقد حاول بعضهم أن يتلمس الحكمة في هذا التناقض وعدم الاطراد، وذكر من ذلك:

١ - منع أهل الكتاب أن يقراءوا القرآن على وجهه دون موقف.

٢ - وجود الحكمة عند الصحابة الذين قاموا بكتابة المصحف، فمنها ما عرفناه، ومنه ما غاب عنا علمه. وقد ألف ابن البناء كتاباً عنوانه «الدليل من مرسوم خط التزيل» ضممه مفاتيح كثيرة لتدبر ما غاب عن كثير علمه، وخفيت حكمة رسمه<sup>(٦)</sup>.

٣ - وهناك بعض التحليلات أو التعليقات المقبولة لبعض أمثلة المخالفة، ومن ذلك:

(١) المصحف / ١١٦ ، البقرة ١٣٢ .

(٢) الرعد ٣٨ .

(٣) الأنبياء ١١٢ . وانظر تاريخ القرآن للكردي / ٦ ، ٧ ، ١٢٩ ، ١٤٥ .

(٤) يوسف ٢٥ .

(٥) غافر ١٨ . وانظر تاريخ القرآن للكردي / ١٢٩ .

(٦) لطائف الإشارات ١ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ . وانظر أمثلة لتخريجات ابن البناء ٢٨٥ - ٢٨٨ .

أ – تعليل زيادة ألف في مثل: «أَوْلَا أَذْبَحْنَاهُ»<sup>(١)</sup>، أو في مثل: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَائِعَةً»<sup>(٢)</sup>، بأن الفتحة كانت تكتب ألفاً قبل استقرار قواعد الخط العربي.

ب – تعليل زيادة الألف في «مائة» للفرق بينها وبين «منه».

ج – تعليل كتابة «الدى» تارة بالألف وتارة بالياء بأن المرسوم بالألف على اللفظ، وباليء لانقلاب الألف ياء مع الإضافة إلى الضمير<sup>(٣)</sup>.

د – تعليل حذف الألف في «الخلق»<sup>(٤)</sup> بأنه قصد به احتسوا القراءتين: قراءة الجماعة: «وهو الخلاق»، وقراءة المطوعي «وهو الخالق»<sup>(٥)</sup>.

هـ – تعليل كتابة ألف «الصلوة»، و«الزكاة»، و«الحياة»... وواوا بأنه على اعتبار الأصل، أو على لغة أهل الحجاز الذين يفرطون في تحريم الألف وما قبلها في ذلك<sup>(٦)</sup>.

و – تعليل كتابة «أم من» تارة هكذا، وتارة متصلة «أمن»؛ بأن الأول للدلالة على أنها المنقطعة التي بمعنى «بل»، والثاني على أنها ليست تلك<sup>(٧)</sup>.

---

(١) النمل .٢١.

(٢) الكهف .٢٣.

(٣) لطائف الإشارات ١/٣٠٠، والمحكم للداري /١٧٧، ومقدمة معجم القراءات ٤١/١ .٤٢

(٤) الحجر .٨٦.

(٥) لطائف الإشارات ٢٨٩/١.

(٦) المحكم للداري /١٨٩.

(٧) مناهل العرفان ٣٦٧/١.

كما أن من العلماء من التمس حكمة في عدم الالتزام بموافقة الهجاء للنطق، وهي «حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال، ولا يتكلوا على هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح في الجملة»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - تيسير الرسم العثماني وتحسينه:

إذا كان رسم المصحف العثماني - بتجريده الأحرف من النقط والشكل - قد رمى إلى توسيع مدلول الرسم ليحتمل القراءات التي ثبتت بطريق الرواية والسماع، فإن هذه الطريقة ما لبثت أن تكشفت عن بعض المشكلات التي ظهرت بعد فترة لم تتجاوز نيفاً وأربعين سنة<sup>(٢)</sup>، نتيجة ضعف السليقة اللغوية، وتغير التركيبة السكانية للمجتمع الإسلامي بعد التوسع في الفتوحات، وانتشار الإسلام، ودخول الأعاجم في دين الله أفراداً، وما صحب ذلك من صعوبة تلقي القرآن مشافهة عن العلماء، ورغبة كثير من المسلمين في التلاوة من مصاحفهم.

وقد سجلت كتب التصحيح نماذج كثيرة لأخطاء وقعت في قراءة القرآن لم تقتصر على عامة الناس فحسب، بل تعدتهم إلى خاصتهم ومشاهيرهم. ومن أمثلة ذلك ما رواه حزرة الأصفهاني:

---

(١) السابق ١/٣٦٩، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة ٢/٤٢.

(٢) جمع عثمان المصحف عام ٢٥ أو ٣٠ هـ، وقام أبو الأسود بضبط المصحف بالشكل عام ٦٧ هـ (الخط العربي لسهيلة الجبوري ٥٦/١)، والتبيه على حدوث التصحيح للأصفهاني ٧٤/٧، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ١١٣/١. وانظر النشر ١/٧.

أ - قرأ رجل من الكباء في المصحف: «يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدِّيْكَ»<sup>(١)</sup> - قرأها «وعلى والديك».

ب - امتحن أمير البصرة «حماداً» الساوية بتتكليفه القراءة في المصحف فصحف فيه بضعة وعشرين آية<sup>(٢)</sup>.

ج - قرأ بعضهم: «جعل السقاية في رجل أخيه» بدلاً من «في رجل أخيه»<sup>(٣)</sup>.

وقد تمثلت مشكلات الرسم العثماني في جوانب ثلاثة هي:

أ - الرسم بطريقة لا يتفق فيها المكتوب مع المنطوق.

ب - التجريد من نقط الإعجام الذي يميز بين الأحرف المشابهة رسمياً المختلفة نظرياً.

ج - التجريد من الضبط بالشكل، أو من علامات الحركات. والرواية المشهورة عن سبب تصدي أبي الأسود الدؤلي لضبط المصحف بالشكل تذكر أنه سمع قارئاً يقرأ: «أن الله بريء من المشركين ورسوله» - بحر «رسول»، فاستعظم ذلك، وقال: عز وجه الله. إن الله لا يبرء من رسوله<sup>(٤)</sup> ثم قام بنقط المصحف ضبطاً للشكل.

(١) المائدة ١١٠.

(٢) من أمثلتها: «وما يعرشون» (النحل ٦٨)، قرأها: «يغرسون»، « وعدها إيماء» (التوبه ١١٤) قرأها: « وعدها إيماء» (هكذا قال الأصفهاني)، وهي قراءة الحسن وغيره - معجم القراءات ٤٨/٣)، وغير ذلك.

(٣) يوسف ٧٠، وانظر التبيه على حدوث التصحيف / ٣٦ وما بعدها.

(٤) البحث اللغوي عند العرب / ٨٥، والخط العربي لسهيلة الجبوري / ٥٧.

وكان هذا هو الإصلاح الأول الرسمي<sup>(١)</sup> في تاريخ المصحف، وتم عام ٦٧هـ<sup>(٢)</sup>.. وكانت طريقة أبي الأسود في ضبط المصحف أن استحضر كاتباً وأمره أن يتناول المصحف، وأن يأخذ مداداً يخالف لون المداد الذي كتب به المصحف، فيضع نقطة واحدة فوق الحرف إذا رأى أبي الأسود قد فتح شفتيه (علامة الفتحة)، ونقطة واحدة تحت الحرف إذا رأه قد خفض شفتيه (علامة الكسرة)، ونقطة واحدة بين يدي الحرف (أمامه) إذا رأه قد ضم شفتيه (علامة الضمة). أما إذا أتبع الحرف الأخير غنة فقد أمر الكاتب أن ينقط نقطتين إحداهما فوق الأخرى (علامة التنوين).

وأما الحرف الساكن فقد أهمله، واعتبر عدم النقط علامته له<sup>(٣)</sup>.

والنموذج الآتي يوضح طريقة أبي الأسود:

الحمد لله<sup>(٤)</sup>

نقطة حراء فوق الحرف = فتحة.

نقطة حراء بين يدي الحرف = ضمة.

نقطة حراء تحت الحرف = كسرة.

ويلاحظ أن بعض الكتاب قد عُمِّ طريقة الضبط هذه بالنسبة لكل ما تحرك من الحروف، وبعضهم قصره على ما إذا لم يشكل التبس،

(١) كانت هناك إصلاحات سابقة لكنها أخذت طابعاً فردياً، تمثلت في إدخال بعض الصحابة والتابعين تعديلات على الرسم العثماني باجتهاد شخصي، فكان منهم من نظر مصحفه دون أن يجعل النقط نظاماً عاماً، ومنهم من أضاف علامات التخمير أو التعشير.. (انظر المحكم للداني/٢، ٣، ١٧، ٣٥. وانظر مقدمته<sup>(٣)</sup>).

(٢) الخط العربي لسهيلة الجبوري / ٥٦.

(٣) السابق / ٥٦ - ٥٧، وملحق المحكم للداني / ٢١١.

(٤) مقدمة المحكم للمحكم / ٣٨، ٣٩.

وبعدهم قصره على أواخر الكلم، وهو موضع الإعراب؛ إذ فيه يقع الإشكال ويدخل الالتباس<sup>(١)</sup>.

ولم تمض إلا فترة يسيرة لم تزد على ربع قرن حتى أحس الناس بحاجتهم إلى إدخال إصلاح آخر على رسم المصحف، بقصد التمييز - عن طريق النقط - بين الأحرف المشابهة رسمًا المختلفة نطقاً. وقد قام بهذه المهمة نصر بن عاصم (توفي ٨٩ هـ) ويحيى بن يعمر<sup>(٢)</sup> (توفي ١٢٩ هـ) بتكليف من الحجاج بن يوسف الثقفي في زمن عبد الملك بن مروان<sup>(٣)</sup>.

وكان هذا هو الإصلاح الثاني الرسمي في تاريخ المصحف. وفيه نقطت الحروف بنفس مداد الكتابة، وكان النقط يكتب أحياناً مدوراً، وأحياناً مربعاً<sup>(٤)</sup>.

وظل الناس فترة من الزمن يميزون نقط الشكل عن نقط الحروف (الإعجام) عن طريق استخدام لون مختلف للأول، ولون أسود للثاني. ثم تخفف الناس من استخدام المداد المخالف، وأخذوا يشكلون الحروف بمداد الكتابة نفسه، مما أدى إلى اختلاط نقط الشكل بنقط الإعجام، فوضع الخليل ابن أحمد (توفي ١٧٥ هـ) طريقة الجديدة في الشكل.

---

(١) ملحق المحكم للداني / ٢١٠.

(٢) بناء على ما قيل سابقاً من العثور على بردية ونقوش قديمة فيها بعض التقىط فإن بعض العلماء يقترون جهد نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر على إدخال النقط في المصحف، أو على إكماله بعد أن كان مقصوراً على بعض الحروف دون بعض (انظر الخط العربي لإميل يعقوب / ٣١). ولعل هذا هو ما عناه الزركشي بوصفه نصر بن عاصم بأنه «أول من نقط المصاحف» (البرهان / ٢٥١ / ١).

(٣) التبيه للأصفهاني / ٧٤، وتاريخ القرآن للكردي / ١٥٨.

(٤) الخط العربي لسهيلة الجبوري / ٥٩.

وكان هذا هو الإصلاح الثالث الرسمي في تاريخ المصحف، حيث وضع علامات الشكل الثاني التي ما نزال نستعملها حتى الآن وهي:

* جرّة علوية <sup>(١)</sup>	= فتحة.
* جرّة سفلية <sup>(٢)</sup>	= كسرة.
* رأس واو	= ضمة <sup>(٣)</sup> .
* رأس خاء/دائرة صغيرة	= سكون.
* رأس شين	= شدة.
* رأس عين	= همزة.
* ص	= علامة الوصل.
* ~	= علامة المد. <sup>(٤)</sup>

وزاد بعضهم على هذه العلامات الشهاني علامتين آخريين نسب وضعهما إلى الخليل، إحداهما للدلالة على الرُّوم، والأخرى على الإشام<sup>(٥)</sup>.

ولم يكتف العلماء بهذه الإصلاحات الثلاثة للرسم العثماني، وإنما أضافوا إليها بعض التحسينات التي لم تكن الحاجة ملحّة إليها، وإنما أضيّفت ابتعاد التيسير على الناس في ضبط المصحف، ولذا أخذ بعضها طابعاً محلياً، وبعضها طابعاً عاماً، واستمر بعضها مستخدماً حتى الغصر الحديث، ومن هذه التحسينات:

(١) وصفها بعضهم بالف مبطوحة فوق الحرف (المحكم للداني/٧).

(٢) كانت في الأصل ياء متعددة تحت الحرف (السابق والصفحة).

(٣) ورمز للتنزين بتكرار العلامة.

(٤) الخط العربي لسهيلة/٦٠، وتركي عطية/٢٨، وإميل يعقوب/٣٨، ٣٩، والمحكم للداني/٧.

(٥) الإتقان ٢/١٧١، وانظر المحكم ٦، والنقط الملحق بالقنع ١٢٥، وصح الأعشى ١٥٦/٣، ١٥٧. والرُّوم: النطق ببعض الحركة. أما الإشام فهو: الإشارة إلى الضمة من غير تصوّرت.

١ - وضع علامة عند نهاية الآية، بعد أن كان يدل عليها بترك فراغ بينها وبين الآية التالية. وقد أخذت العلامة تارة شكل نقط ثلاث على هيئة مثلث<sup>(١)</sup>، وتارة على شكل نقط ست على هيئة معين. ثم استبدل بها شرط رسم بعضها فوق بعض. ثم أحاطت هذه الشرط بدواير. وقد سارع الناس إلى تلقي هذه العلامات بالقبول قبل سواها لاحتياجهم إلى معرفة تقسيم الآيات، ولا سيما بعد أن انعقد الإجماع على أن ترتيب الآيات توفيقي.

٢ - وضع علامة التخمير، أي بعد كل خمس آيات. وكانت عبارة عن دائرة تتضمن رأس خاء<sup>(٢)</sup>.

٣ - وضع علامة التعشير، أي بعد كل عشر آيات. وكانت عبارة عن دائرة تتضمن رأس عين<sup>(٣)</sup>.

وقد تمت إضافة هذه العلامات في وقت مبكر جداً، لا يتجاوز عصر التابعين. وفي هذا يقول قتادة - وهو تابعي : «بدعوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا»<sup>(٤)</sup>.

ويقال إن المؤمن العباسي أو الحجاج هو الذي أمر بوضع علامة التعشير. وقد سمح بوضع هذه العلامات كثير من المتقدمين، وكرهها بعضهم بالحمرة وغيرها من الألوان<sup>(٥)</sup>.

(١) المصحف لابن أبي داود / ١٤٣ .

(٢) المصحف الشريف لمزروق / ٤١ .

(٣) السابق والصفحة .

(٤) البرهان / ٢٥١ / ١ ، والإتقان / ١٧١ / ٢ ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١٢٢ ، والمحكم للداني / ٢ ، ٣ ، ١٥ .

(٥) نقلت كراهة التعشير عن ابن مسعود وعطاء ومجاهد وأبي العالية وابن سيرين. وكراهه الإمام مالك إذا كان بالحمرة، وقال: تعشيره بالحبر لا يbas به (انظر المحكم للداني / ١٤ ، ١٥).

٤ - رسم فوائح السور، وذكر خواتيم السور<sup>(١)</sup>. وقد كره بعض القدماء ذلك خافة أن ينشأ قوم لا يعرفونه فيظنونه من القرآن<sup>(٢)</sup>.

٥ - تقسيم القرآن إلى أجزاء، والأجزاء إلى أحزاب، والأحزاب إلى أرباع، والإشارة إلى ذلك كله برسوم خاصة<sup>(٣)</sup>.

٦ - كان نقاط أهل العراق يستعملون للحركات وغيرها، وللهمزات اللون الأحمر وحده، وكان بعضهم يميز القراءات الشاذة في المصاحف ببنقطها بلون مختلف لنقط القراءة المشهورة<sup>(٤)</sup>.

٧ - كانت مصاحف أهل المدينة تكتب الممزة المحققة باللون الأصفر، وتكتب علامات الحركات والسكون والتشديد والتخفيف باللون الأحمر<sup>(٥)</sup>. وانتقل ذلك عنهم إلى أهل المغرب والأندلس<sup>(٦)</sup>. وزاد الآخرون - بعد هذا - اللون الأخضر لالفات الوصول<sup>(٧)</sup>.

٨ - كان بعضهم يجمع قراءات شتى في مصحف واحد، ويجعل لكل قراءة لوناً من الألوان مخالفًا للسوداء، كالحمرة والخضراء والصفراء واللازورد<sup>(٨)</sup>.

(١) المحكم للداني / ١٥ - ١٧ ، وباحث في علوم القرآن لصحيي الصالح / ١٢٢ والتعبير الفني في القرآن لأمين / ٨٨ .

(٢) المحكم للداني / ١٦ .

(٣) مباحث في علوم القرآن لصحيي الصالح / ١٢٢ ، والمصحف لمرزوق / ١٩ ، والتعبير الفني لأمين / ٨٨ ، ومناهل العرفان ١ / ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٤) تدوين القرآن لقيسي / ٥١ ، والمحكم للداني / ٢٠ .

(٥) المحكم للداني / ٨ ، ١٩ .

(٦) تدوين القرآن لقيسي / ٥٠ ، ٥١ .

(٧) الخط العربي لتركي / ٢٧ / وانظر المحكم / ٨٦ ، ٨٧ ، ١٢٦ .

(٨) المحكم للداني / ٢٠ .

٩ - ثم أضيفت تحسينات أخرى في العصر الحديث، وبخاصة بعد انتشار الطباعة.

وقد شملت هذه التحسينات:

أ - وضع ألف بقلم دقيق فوق كل من الواو والياء في مثل: «الصلة»، و«التوربة»، تنبئها إلى أن الألف هي المعلول عليها في النطق دون الواو والياء.

ب - وضع ياء إضافية في مثل الكلمة «وليٰ» للإشارة إلى أنها تنطق بباءين لا ياء واحدة. وقد وضعت هذه الياء تارة هكذا: (ولَيَّ) وتارة هكذا: (ولِيَّ).

ج - وضع واو صغيرة بعد الواو في مثل: «دَاؤُودُ»<sup>(١)</sup>.

د - وضع صفر مستدير فوق حرف العلة في نحو: «قالواً»، و«أولئك» للدلالة على زيادة هذا الحرف، وعدم جواز النطق به<sup>(٢)</sup>.

ومع كل هذه الإصلاحات والتحسينات التي أدخلت على الرسم العثماني ظل المسلمين متخرجين من إدخال أي إصلاح على طريقة المجاء، واتباع قواعد الإملاء الحديث في رسم المصحف. ولذا ظلت المشكلة الأولى باقية حتى الآن دون أن يطرأ عليها تغيير أو تحويل يذكر.

وهو ما سنخصص لبحثه العنوان التالي:

#### ٤ - رسم المصحف والهجاء الحديث:

على الرغم من قبول معظم العلماء منذ القديم للتحسينات التي

(١) تاريخ القرآن للكردي / ٢١٦ - ٢١٨ .

(٢) انظر اصطلاحات الضبط الملحقة بالصحف الأميري المصري.

أدخلت على الرسم العثماني، وإقرارهم لها، كالإعجام والشكل وسائر أنواع الرموز، فقد ثار الجدل بينهم قدماً - وما يزال الجدل متداً حتى الآن - بالنسبة لاتباع قواعد الإملاء في رسم المصحف، وكتابته بطريقة الهجاء الحديثة.

ففي القديم انقسم العلماء إلى أربعة فرقاء:

١ - فريق اعتبر رسم المصحف سُنة متبعة<sup>(١)</sup>، ولذا منع إدخال أي تغيير أو تبديل عليه خافة أن يضيئ الرسم الحديث شيئاً من القراءات<sup>(٢)</sup>. ومن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل الذي قال: «يحرم مخالفه خط المصحف الإمام في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك»، والبيهقي الذي قال: «من كتب مصحفاً فينبعي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه»<sup>(٣)</sup>. وسئل الإمام مالك عن استكتب مصحفاً، أترى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى. وقال أيضاً وقد سُخل عن الحروف في القرآن كالواو والألف، أترى أن يغير في المصحف؟ قال: لا<sup>(٤)</sup>.

(١) على أن واضح منهجه هو النبي نفسه (مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١٠٥) وأن النبي كان يقول لكاتب الوحي: اكتب كلمة كذا بالواو دون كلمة كذا. وكتب (فيها) في موضع كذا منفصلة، وفي موضع كذا متصلة، وكتب (لشائئ) بزيادة ألف قبل الياء... وهكذا، وهو من كلام محمد بن حبيب الله الشنقيطي في جوابه عن أسئلة وجهها إليه الكردي (تاريخ القرآن للكردي / ٢٢٦، ٢٢٥).

(٢) من العجيب أن يحارب الرسم الحديث بهذه الحجة، مع أن إعجم المصحف وضبطه بالشكل - وقد نالا القبول بعدأخذ ورد. قد ضيقاً كثيراً من القراءات التي كان يسمح بها الرسم العثماني.

(٣) تاريخ القرآن للكردي / ١٢٤ - ١٢٦، والبرهان / ٣٧٩، ولطائف الإشارات ١ / ٢٧٨، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١٠٨ عن الإتقان، ومقدمة معجم القراءات القرآنية ١ / ٤٠، ٤١.

(٤) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١٠٨، ولطائف الإشارات ١ / ٢٧٩.

٢ - وفريق أباح مخالفه الرسم العثماني، وصرح بأنه اصطلاحي وليس توقيقاً، ومن هؤلاء الباقلاني الذي يقول: «أما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً إذ لم يأخذ على كتاب القرآن.. رسمأ يعنيه.. وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص، وحدّ محدود لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلت عليه القياسات الشرعية، بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل، لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهاً معيناً.. ولذلك اختلفت خطوط المصاحف وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة، وجاز أن يكتب بين ذلك.. والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري عجري الإشارات والعقود والرموز. فكل رمز دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته، وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت. وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه، وأنّ له ذلك»<sup>(١)</sup>.

٣ - وفريق تسامح في كتابة المصاحف المعدة للتعليم فقط دون المصحف الإمام، وتمثل تسامحه إذ ذاك في قوله: «أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقطع ولا يزداد في المصاحف مالم يكن فيها. وأما المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم فلا أرى بذلك بأساً». ومن قال بذلك الإمام مالك<sup>(٢)</sup>.

(١) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١٠٩، ١١٠.  
 (٢) المحكم للداني / ١١، ١٣.

٤ - وفريق ذهب إلى أبعد من الجواز، وفضل أو أوجب خالفة الرسم العثماني واتباع طرق المجاء الحديثة. ويمثل هذا الفريق العز بن عبدالسلام الذي يقول: «لا تجوز كتابة المصاحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة لثلا يقع في تغيير من الجھال»<sup>(١)</sup>

ومع هذا لم نجد أحداً من القدماء قد جرأ على تغيير رسم المصحف وإنخضاعه للهجاء الحديث فيما عدا ما رواه ابن أبي داود عن محاولة قام بها عبيد الله بن زياد (توفي ٦٧ هـ) الذي نسب إليه أنه أمر كاتباً بإضافة ألف إلى ألفي كلمة حذفت منها. فكان هذا الكاتب يضع «قالوا» مكان «قلو»، و«كانوا» مكان «كنو»<sup>(٢)</sup>.

أما في العصر الحديث فقد تبانت الآراء كذلك:

١ - فهناك رأي يمنع، وهو مأعلنته لجنة الفتوى بالأزهر، ونص رأيها: «ترى لجنة الفتوى رفض هذا الرسم، والوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه، وذلك لأن القرآن الكريم كتب وقت نزوله على النبي ﷺ، ومضى عهده ﷺ والقرآن كله على هذه الكتبة، ولم يحدث فيه تغيير ولا تبديل. وقد كتبت به مصاحف عثمان... وأقر أصحاب النبي عمل عثمان... واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة، والتابعين، وتابعـي التابعين، والأئمة المجتهدـين... ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم

(١) البرهان ٣٧٩/١، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١١١، ولطائف الإشارات ٢٧٩/١، ومناهل العرفان ٣٧٠/١ وما بعدها.

(٢) المصاحف لابن أبي داود / ٥٠، ١١٨. وقد تشکك بعض الباحثين في هذه الرواية (مقدمة معجم القراءات القرآنية ٦٥/١).

به أولاً إلى تلك القواعد التي استحدثت.. بل ظل مصطلح القرآن قائماً مستقلاً بنفسه بعيداً عن التأثر بتلك القواعد»<sup>(١)</sup>.

٢ - وهناك رأي يتيح استناداً إلى عجز عامة المسلمين عن قراءة القرآن في رسمه القديم. ولذا يحسن أو يجب أن يكتب لهم باصطلاحات العصر الشائعة وبقواعد الإملاء الحديثة<sup>(٢)</sup>.

ومن أصحاب هذا الرأي أولئك الذين حملوا «الرسم العثماني» على الأداء لا مجرد الشكل الكتابي. ولقد أجازوا اتباع أي طريقة في الكتابة ما دامت لا تؤدي إلى خروج عن إحدى الصور المروية. ويمثل هؤلاء شيخ القراء في مشيخة المقاريء المصرية الشيخ علي محمد الضباع الذي قال: «كاتب المصحف إذا رسم هجاء كلماته بصورها الرسمية على وجه مما أثر عن أصحاب الرسول ، والتزم .. رسمياً يطابق قراءة معينة من القراءات المتواترة، ثم ضبطه بأي طريق من طرق الضبط.. فلا يقال إنه خالف الرسم العثماني.. وإن كانت الصورة التي أقي بها لا تحكي صورة بعينها لمصحف من المصاحف الستة؛ لأن المعتبر في متابعة الرسم العثماني تصوير الكلمة القرآنية على وجه أثر عن تلك المصاحف أو بعضها. وأما الضبط فقد جرى عمل المسلمين على الترجيح به دفعاً للالتباس، ومنعاً للتحريف والخطأ»<sup>(٣)</sup>.

٣ - وهناك رأي ثالث يوفّق بين الرأيين، فيلزم اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف، مع التبيّه في ذيل كل صفحة من صفحات المصحف إلى ما عسى أن يكون فيها من ألفاظ مخالفة للاصطلاح الحديث في الخط

(١) مقدمة معجم القراءات القرآنية ٤٢/١.

(٢) التعبير الفي في القرآن / ٨٩، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١١٢.

(٣) تاريخ القرآن للكردي / ١٠٨.

والإملاء، تجنبًاً لأخذطاء التلاوة التي يقع فيها من يعتمد على اجتهاده في قراءة المكتوب<sup>(١)</sup>.

## ٥ - رسم المصحف العثماني والأحرف السبعة:

ناقشنا حديث «الأحرف السبعة» في مكان آخر<sup>(٢)</sup>، وانتهينا إلى أن أقرب الآراء فيه إلى القبول تلك التي تفسر الأحرف بالأوجه اللغوية المتوزعة بين القبائل العربية التي انتهت إليها الفصاحة، وسلمت لغامتها من الفساد والخلل.

والسؤال الآن هو: إلى أي مدى اشتمل النص المدون للمصحف العثماني على هذه الأحرف السبعة؟

انقسم العلماء في الإجابة عن هذا السؤال إلى ثلاثة فرقاء:

١ - فريق ضم جماعات من الفقهاء والقراء والتكلمين ذهب إلى أن المصحف العثماني مشتملة على جميع الأحرف السبعة. وبنوا ذلك على أنه لا يجوز للأئمة أن يهمل نقل شيء من الحروف السبعة، ولا أن تجمع على ترك شيء من القرآن<sup>(٣)</sup>.

٢ - وذهب جمهور العلماء والأئمة إلى أن المصاحف العثمانية جاءت جامدة

---

(١) منهاج العرفان ٣٩١/١، والتعبير الفني ٨٩، ٩٠، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ١١٢.

(٢) انظر: الفصل الثاني: المشافهة . بالقرآن، ص ٥١ وما بعدها.

(٣) النشر ٣١/١، والإتقان ٥٠/١، وتاريخ القرآن للكردية ٥٥، ودراسات قرآنية ١٢٧ وغيرها.

للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل، ومشتملة على ما يحتمله رسماها من الأحرف السبعة<sup>(١)</sup>.

٣ - وذهب الإمام الطبرى ومن تابعه إلى أن المصاحف العثمانية لم تشتمل إلا على حرف واحد من الأحرف السبعة، وهو حرف قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، استناداً إلى قول عثمان لكتبة المصحف: إن اختلافتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم. وفي رواية: فإنه أكثر ما نزل بلسانهم.

وأصحاب هذا الرأي يردون جميع القراءات المعروفة لنا الآن إلى هذا الحرف الواحد، وهذا يقول الطبرى: إنه بعد كتابة المصحف العثماني على حرف واحد اندثرت الأحرف الستة الأخرى.. فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثارها، وعفو آثارها، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منهم بصحتها أو صحة شيء منها<sup>(٢)</sup>. وينقل الزركشى عن الحارث المحاسبي أنه قال: «ليس عثمان جامع القرآن، وإنما هو حامل الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهد له من المهاجرين والأنصار»<sup>(٣)</sup>. ويقول القرطبي: «قال كثير من علمائنا.. هذه القراءات السبع التي تنسب هؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف»<sup>(٤)</sup>.

(١) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١٣٠، والإتقان / ٤٩، ٥٠، و تاريخ القرآن للكردي / ١٨٨ ، والنشر / ٣١.

(٢) تفصيلات ذلك في الإتقان / ٦٠ و تاريخ القرآن للكردي / ٤٤ - ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣ - ٥٦ ، ١٨٨ ، والتعبير الفنى في القرآن / ٩١ ، ودراسات قرآنية / ١٢٧ ، ومناهل العرفان / ١٦١ ، والبرهان / ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٦ .

(٣) البرهان / ٢٣٩ ، والإتقان / ٦٠ .

(٤) المعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٤١ ، وانظر القرطبي ٤٦ / ١ .

ويظهر شيء من التحقق أن الرأيين الثاني والثالث متقاربان، وأنهما يتهدان إلى القول باندثار شيء من الأحرف أو الأوجه أو القراءات التي سمح بالقراءة بها في عهد الرسول للتسهيل على المسلمين وتجنيبهم المشقة في نطقهم بغير حرفهم أو لغتهم، ثم منعت القراءة بها في عهد عثمان بعد أن انضبط الأمر، وتدرّبت الألسن، اتقاء للفتنة، ودرءاً للشقاق والخلاف<sup>(١)</sup>.

وقد دافع الطبرى عن الرأى القائل بخلو المصحف العثماني من بعض الأحرف السبعة بقوله إن الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة فتعصى بتركها أو إهمالها وإنما كان ذلك جائزأً أو مرخصاً لهم فيه. حتى إذا اختاروا حرفاً واحداً وأجمعوا على ذلك يتعين المصير إليه، والوقف عنده<sup>(٢)</sup>.

## ٦ - رسم المصحف العثماني ودعوى اللحن:

وردت في الآثار روایات عن بعض الصحابة تفيد أن رسم المصحف العثماني قد اشتمل على بعض المأخذ، وأن هذه المأخذ قد تركت في المصحف كما هي دون تصحيح. ومن هذه الروایات:

١ - ما نسب إلى عثمان بن عفان أنه قال: «أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بأسنتها»، وما روي عن عكرمة: «لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان فقال: لا تغيّرها، فإن العرب ستغيّرها، أو قال ستعرّبها بأسنتها. لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد هذه الحروف».

(١) انظر البرهان ٢١٣/١.

(٢) تفسير الطبرى ٦٤/١، ٦٥، دراسات قرآنية ١٢٧، ومقدمة معجم القراءات القرآنية .٤٤/١

٢ - ما روي عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله تعالى: «وَقَضَى رَبُّكَ»<sup>(١)</sup>، إنما هي: «وصي ربك»، التزقت الواو بالصاد نتيجة تحمل القلم مداداً كثيراً.

٣ - ما روي عن عائشة أنها لم سئلت عن قوله تعالى: «إِنَّ هَذَانَ لَسَاحِرَنِ»<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: «وَالْمُقِيمِينَ الْصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الْرَّكُونَ»<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِعُونَ»<sup>(٤)</sup>، قالت: «هذا عمل الكتاب، أخطاؤا في الكتاب»<sup>(٥)</sup>.

وقد ناقش العلماء من قديم هذه الدعوى<sup>(٦)</sup>، وانتهوا إلى رفضها للأسباب الآتية:

أولاً: ما نسب إلى عثمان:

- ١ - ما روي عن عثمان إسناده ضعيف مضطرب منقطع .
- ٢ - إذا كان عثمان قد جمع المصحف الإمام ليقتدي به الناس فكيف يرى فيه لحنًا ويتركه لتقيمه العرب؟ ومن غير المعقول أن يتولى عثمان جمع المصحف ليرتفع الخلاف في القرآن بينهم ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنًا

(١) الإسراء ٢٣.

(٢) طه ٦٣.

(٣) النساء ١٦٢.

(٤) المائدة ٦٩.

(٥) الإنقان ١/١٨٣، ومباحث في علوم القرآن لصبيحي الصالح / ١١٤، والمحكم للداني / ١٨٥، ومقدمة معجم القراءات ١/٥٥.

(٦) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة «باب مادعى على القرآن من اللحن» على سبيل المثال.

(٧) الإنقان ١/١٨٣. وقد ردّ الداني في المقنع إسناد الحديث قائلاً إنه مروي عن يحيى بن يعمر وعكرمة عن عثمان، وأبن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئاً ولا رأيه (حاشية المحكم للداني / ١٨٦). وانظر: المقنع / ١١٥ - ١٢٠ ط دمشق.

أو خطأ يتولى تغييره من يأتي بعده. وإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك فكيف يقيمها غيرهم؟<sup>(١)</sup>.

٣ - ثبت أن عثمان كان «مواصلاً لدرس القرآن، متقدماً للفاظه، واقفاً على ما رسم في المصاحف المتقدمة إلى الأمصار والنواحي». روى عبد الله بن هانئ البربرى مولى عثمان: كنت عند عثمان وهو يعرضون المصاحف، فأرسلني بكف شاة إلى أبي بن كعب فيها: «لم يتسن»<sup>(٢)</sup>، وفيها «لا تبديل للخلق»<sup>(٣)</sup>، وفيها «فأمهل الكافرين»<sup>(٤)</sup>، قال فدعا بالدواء فمحى أحد اللامين: «خلق الله»، ومحى «فأمهل»، وكتب «فمهل»، وكتب «لم يتسن»<sup>(٥)</sup>.

٤ - لو صحت الرواية عن عثمان يكون المراد، باللحن فيها: «التلاؤة»، دون «الرسم» إذ كان كثير من القرآن لو تلي على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاؤة وتغيرت ألفاظها، مثل: «لآذبحه» - «لآوضعوا» - «سأوريكم» - «الربوا»، وشبهه مما زيدت الحروف في رسمه. فلو تلا ذلك تال لا معرفة له بحقيقة الرسم - لو تلاه على حال صورته في الخط لصير الإيجاب نفياً، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه، ولا من أصله، فوقع في اللحن مع أن رسم ذلك كذلك صحيح<sup>(٦)</sup>.  
ولهذا قال ابن المنادي: إن رسم بعض الكلمات في المصحف بالنقص أو الزيادة هو «عندنا ما نظر إليه عثمان فقال: أرى في المصحف لينا،

(١) تاريخ القرآن للكردي / ٦٦، ٦٥، وحاشية المحكم للداني / ١٨٧.

(٢) البقرة ٢٥٩. وقد سبق أنها كتبت كذلك في مصاحف أهل العراق.

(٣) الروم ٣٠، وصحتها: لا تبدل خلق الله.

(٤) الطارق ١٧، وصحتها: فمهل الكافرين.

(٥) الإنقان ١/ ١٨٣.

(٦) هامش المحكم للداني / ١٨٦، ١٨٧.

وستقيمه العرب بأسنتها. فأوجب ذلك من القول: إن من الخط المكتوب مالا تجوز به القراءة من جهة الإعراب، وأن حكمه أن يترك على ما خطّ، ويطلق للقارئين أن يقرءوه بغير الذي يرونه مرسوماً<sup>(١)</sup>.

ويقول صبحي الصالح تعليقاً على ما روي من تحسينات أدخلها عبيدة الله بن زياد والحجاج على رسم المصحف: «ولعل هذه التحسينات الإملائية هي التي عناها عثمان بقوله - إن صح -: أجد فيه ملحن ستصلحها العرب»<sup>(٢)</sup>.

٥ - ثبت أن زيد بن ثابت قد قام بمراجعة المصحف الإمام ثلاث مرات، ثم قام عثمان نفسه بمراجعةه. ولم يقرئ إلا بعد أن عرض المصحف على صحف حفصة، وحيثند «طابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف»<sup>(٣)</sup>.

٦ - ما أراده عثمان «باللحن» ليس الخطأ، وإنما اللغة واللهجة. وقد روي أن القرآن نزل بلحن قريش، أي بلغتهم. وعلى هذا يكون مراد عثمان: إن بعض الكتاب سجل القراءة على لغته وقراءاته. فالمراد باللحن إذن: وجوه القراءة، وليس الخطأ<sup>(٤)</sup>. ويؤكد هذا التفسير للفظ اللحن الباب الذي ورد في كتاب المصاحف لابن أبي داود وعنوانه «باب المصاحف العثمانية: اختلاف ألحان العرب في المصاحف». وقد ورد تحته ما يأتي:

أ - تفسير الألحان باللغات بدليل قول عمر بن الخطاب: إننا لنرحب عن كثير من لحن أبي، يعني: لغة أبي.

(١) الحكم للداني / ١٨٥.

(٢) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١١٤.

(٣) تاريخ القرآن للكردي / ٦٢، ٦٣.

(٤) تاريخ القرآن لعبدالصبور / ١٢٠، ومقدمة معجم القراءات / ٥٧/١.

ب – قول عثمان بعد اطلاعه على المصحف: أحسنتم وأجلتم. أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بالستتها. وقد عقب ابن أبي داود على مقالة عثمان بقوله: « هذا عندي ، يعني بلغتها . إلا لو كان فيه لحن لا يجوز في كلام العرب جميعاً لما استجاز أن يبعث به إلى قوم يقرءونه»<sup>(١)</sup> .

كما يؤكده ما توصل إليه المستشرق الألماني «يوهان فك» في كتابه «العربية» بعد دراسة مستفيضة تاريخية دلالية لادة «لحن»، من أن اللحن كان يعني في الجاهلية وصدر الإسلام معاني: الميل، والفطنة، والبلاغة، والغناء، والرمز، والإشارة، واللغز، والتورية، وطريقة التعبير. ولم يكن يعني مطلقاً «الخطأ». وانتهى بأن الكلمة ربما دلت على معنى «الخطأ» في وقت متاخر نسبياً ورجح أن يكون ذلك في أواخر القرن الأول وأوائل الثاني<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: ما نسب إلى ابن عباس:

- ١ – ما سبق قوله عن دقة الصحابة في التحرير ، ومراجعتهم للمصحف ، ومراجعة عثمان له قبل سماحة بنشره على الناس.
- ٢ – من المعروف بدأه أن القراءة تقوم على الرواية والنقل والمشاهدة إلى جانب الرسم ، كما سبق أن ذكرنا . فكيف تقرأ «و قضى» - بالضاد - طبقاً للرسم ، وروايتهما «ووصى» - بالصاد؟ - مع أن الرواية تسبق الرسم ، والرسم ليس إلا تسجيلاً لما تناقله الصحابة حفظاً وتلاوة؟<sup>(٣)</sup>.

(١) المصحف / ٣٢ .

(٢) تاريخ القرآن لعبدالصبور / ١٢٠ عن يوهان فك / ٢٣٥ - ٢٤٦ .

(٣) تاريخ القرآن لعبدالصبور / ١١٨ ، ومقدمة معجم القراءات ٥٨/١ .

ثالثاً: ما نسب إلى عائشة:

١ - هذه القراءات قد وجهت نحوياً أحسن توجيه، فكيف يقال إن الكاتب  
أخطأ في كتابتها؟<sup>(١)</sup>.

٢ - من الممكن أن يحمل قول عائشة على أنهم أخطأوا في اختيار «الأولى»  
من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه، لا أنهم أخطأوا في الرسم<sup>(٢)</sup>.  
وكيف يكونون قد أخطأوا في الرسم وكلمة «هذان» مكتوبة في  
المصحف العثماني: «هذن» لتحمل وجوه القراءات فيها. فلابد خطأ  
الكاتب وهو لم يكتب ألفاً ولا ياء<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر توجيهاتها في البحر المحيط لأبي حيان ٣٩٥/٣.

(٢) الإنقان ١٨٥/١، وانظر مناهل العرفان ٣٧٩/١ وما بعدها.

(٣) مناهل العرفان ٣٨٦/١.

## (الفصل الثاني) المشافهة بالقرآن

### ١ - العلاقة بين الرسم القراءة:

المبدأ الأساسي في نقل القرآن وقراءاته المتعددة هو المشافهة والنقل والتلقي والأخذ ثقة عن ثقة، وخلفاً عن سلف. ولا يجوز لسلم أن يقرأ في المصحف بجميع احتمالات رسم الكلمة (دون إعجام أو شكل) حتى مع صحة المعنى، ولكن فقط بما جاءت به الرواية مما يحتمله رسم الكلمة<sup>(١)</sup>.

ومعنى هذا أن الرسم لم يسبق النطق، وإنما النطق هو الذي سبق الرسم، وأن الرسم لم ينشئ قراءة، وإنما القراءة هي التي أنشأت الرسم.

ولكن بعض المستشرقين حاولوا قلب الموضوع، وتقديم الرسم على القراءة زمنياً، ومن هؤلاء جولد تسيهير، وبلاشير، وتبعهم بعض الباحثين العرب دون تحخيص. يقول الأول إن الكثير من القراءات نشأ نتيجة «خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة تحت هذا الهيكل أو فوقه، وعدد تلك النقاط. بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحده إلى اختلاف مواقع الإعراب

---

(١) انظر تاريخ القرآن لعبدالصبور / ٢١٥ ، ودراسات قرآنية / ١٠٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .

للكلمة.. واختلاف دلالتها. وإذا فاختلف تحلية هيكل الرسم بالنقط  
واختلاف الحركات.. كان السبب الأول لنشأة حركة اختلاف القراءات في  
نص لم يكن منقوطاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه»<sup>(١)</sup>.

ويقول الثاني: إن طائفة من القراءات نشأت بأخره، وبصورة غير  
إرادية نتيجة ما يحمله المصحف العثماني<sup>(٢)</sup>.

ويقول إميل يعقوب: «وكانت المصاحف الأولى المكتوبة في القرن  
الأول الهجري دون إعجام، وكان هذا سبباً من أسباب اختلاف  
القراءات»<sup>(٣)</sup>.

وللرد على هؤلاء وغيرهم نسوق الأدلة الآتية:

- ١ - أن ما يحمله رسم المصحف ليس نوعاً واحداً، وإنما عدة أنواع هي:
  - أ - ما نقله الثقات ووافق العربية، فهذا قرآن قطعاً يقرأ به ويتعبد  
بتلاوته، مثل «مالك / ملك يوم الدين»<sup>(٤)</sup> ومثل «يَخْدُونَ /  
يُخَادِعُونَ»<sup>(٥)</sup>.
  - ب - ما نقله الأحاديث، ووافق العربية، فهذا يُقبل ولا يقرأ به لمخالفته  
الإجماع مثل القراءة النسوية إلى أبي حنيفة «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ  
عِبَادِهِ الْعَلِيَّةُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) دراسات قرآنية / ٢٠٠، ٢٠١، ونقدمة معجم القراءات ٥٩/١ عن مذاهب التفسير  
الإسلامي بجولد تسبر / ٨، ٩.

(٢) تاريخ القرآن لعبدالصبور / ٨٥، ٢٩٤.

(٣) الخط العربي / ٢٦.

(٤) الفاتحة ٤.

(٥) البقرة ٩.

(٦) فاطر ٢٨ ، وانظر معجم القراءات القرآنية ١٨٣/٥.

جـ - ما لم ينقل عن قارئ ثقة، وقام أحد الأفراد بتخمين قراءته من واقع الرسم، وهذا ليس فرآناً قطعاً، ولماذا قال السبويطي : «رده أحق، ومنه أشد، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر..» وعلل ذلك بأن القراءة تتنبع «بالقياس المطلق الذي لا أصل له يرجع إليه، ولا ركن يعتمد في الأداء عليه»<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت بعض المراجع قد ذكرت أمثلة لهذا النوع فليس على أنه قرآن، ولكن على أنه تحرير ناتج عن غفلة، أو تصحيف يلام عليه فاعله، أو على أنه نوع من النواذر والملح<sup>(٢)</sup>. ولهذا كان الأصفهاني في كتابه «التبية» حريصاً على أن يوضح أن احتيال المجاد لفظين لا يكفي لعدهما قراءتين، بل لابد أن يروى كل منها ليصيرا قراءتين، ولذا اختار للباب الرابع من كتابه عنواناً هو «في ذكر اختلاف الفاظ من القرآن احتمل هجاؤها لفظين، فمن أجل أنه قرئ بهما صارتا قراءتين»<sup>(٣)</sup>.

٢ - أن المدون من القراءات التي ضبطها العلماء، وثبتوا من سندتها لا يقاس من ناحية الکم إلى ما يمكن أن ينشأ من قراءات كثيرة يتحملها الرسم. ولو كان الرسم هو المعيار ما ردّ العلماء كثيراً من قراءات حماد الرواية، مع احتيال الرسم لها<sup>(٤)</sup>.

(١) الإتقان ١/٧٦، ٧٧.

(٢) سبق أن مثلنا لهذا النوع، ص ٢٨، ونضيف المثالين التاليين: من قرأ غافلاً «لازيت فيه» بدلاً من «لا ريب فيه»، (البقرة ٢)، أو قرأ «ولله مizarب السموات والأرض» بدلاً من «ميراث» (آل عمران ١٨٠) - (انظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية / ٢٢٩).

(٣) التبيه / ٢٢٩.

(٤) التبيه / ٣٦ وما بعدها.

٣ - أن عثمان بن عفان حينما كتب المصاحف وزعها على الأقاليم لم يكتفى بالنص المكتوب، وإنما أرسل مع كل مصحف قارئاً يقرئ الناس<sup>(١)</sup>.

٤ - أن النحاة واللغويين - رغم جرأتهم على القراء - لم يجرؤوا على القراءات، ولم يعدوا قراءة ما صحيحاً نحوياً أو لغوياً لمجرد صحته، دون أن ترد الرواية بنقله. ومن أمثلة ذلك:

أ - قوله تعالى: «إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ»<sup>(٢)</sup>، جاءت الرواية فيه برفع «كيد». قال الفراء: ولو قرأ قارئ «كيد» بالنصب لكان صواباً؛ إذا جعلت «إنما» حرفًا واحداً<sup>(٣)</sup>. ولكن لم يقرأ به أحد من القراء العشرة، ولا من الأربعين الذين فوق العشرة<sup>(٤)</sup>.

ب - قوله تعالى: «تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ»<sup>(٥)</sup>، لم ي BRO أن أحداً من القراء قرأه «بسيءاتهم»، أو «بسيمائهم»<sup>(٦)</sup> مع ورود ذلك لغة، ولذا لم يعدوا اللغويون قراءة، رغم صحتها لغة.

ج - قوله تعالى: «فَادْعُ لَنَا»<sup>(٧)</sup>. من المعروف أن لغة بنى عامر بالكسر أي «فادع»، ولكن حيث لم ترد بها رواية عن قارئ لم تعد من القراءات<sup>(٨)</sup>.

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية / ٢٢٩.

(٢) طه ٦٩.

(٣) يعني: كافة ومكفوقة، أو أداة حصر.

(٤) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية / ٢٢٦، ومعجم القراءات ٩٤/٤.

(٥) البقرة ٢٧٣.

(٦) معجم القراءات ١/٢١٤.

(٧) البقرة ٦١.

(٨) معجم القراءات ١/صفحة ي.

## ٢ – نزول القرآن على سبعة أحرف:

تواتر النقل عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»<sup>(١)</sup>، ولكن تعددت روایات الحديث، وتعددت المناسبات التي ارتبطت به. فمن روایاته المتعددة:

- أ – إنَّ هذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَءُوهُ مَا تَسْرُّ مِنْهَا<sup>(٢)</sup>.
- ب – أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ كُلُّهَا شَافٌ كَافٌ<sup>(٣)</sup>.
- ج – أَقْرَأَنِي جَبَرِيلُ عَلَى حِرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزِلْ أَسْتَزِدَهُ فِي زِيدَنِي، حَتَّى انتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ<sup>(٤)</sup>.
- د – أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ أَهْيَا قَرَأْتُ أَصْبَتْ<sup>(٥)</sup>.
- ه – إِنَّ الْمَلَكَيْنِ أَتَيَانِي فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى حِرْفٍ، وَقَالَ الْآخَرُ: زَدْهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: زَدْنِي. قَالَ: أَقْرَأُهُ عَلَى حِرْفَيْنِ. حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ<sup>(٦)</sup>.
- و – لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَبَرِيلَ عِنْدَ أَحْجَارِ الْمِرَاءِ، فَقَالَ: إِنِّي بُعْثِثُ إِلَى أُمَّةِ أَمِينٍ، مِنْهُمُ الْغَلامُ وَالْخَادِمُ وَالشِّيخُ الْعَاصِي<sup>(٧)</sup>، وَالْعَجُوزُ. فَقَالَ جَبَرِيلُ: فَلِيَقْرَئُوا الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ<sup>(٨)</sup>.
- ز – أَقَ جَبَرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عِنْدَ أَضَاهَاءِ بَنِي غَفَارٍ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ

(١) انظر مناهل العرفان ١٣٢/١، والنشر ٢١/١.

(٢) تفسير الطبرى ٢٥/١.

(٣) السابق ٢٧/١.

(٤) السابق ٢٩/١، ولطائف الإشارات ٣١/١.

(٥) تفسير الطبرى ٣٠/١.

(٦) تفسير الطبرى ٣٢/١.

(٧) العاصى: الكبير المُيسَّ.

(٨) تفسير الطبرى ٣٥/١.

وتعالى يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منها حرفاً فهو كما قرأ<sup>(١)</sup>.

ح - إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن، فإن المراء فيه كفر<sup>(٢)</sup>.

ومن المناسبات التي ارتبطت به:

أ - اختلاف رجلين في قراءة سورة أو آية<sup>(٣)</sup>.

ب - اختلاف عبد الله بن مسعود وجماعة في سورة من القرآن، وهي خمس وثلاثون آية، أم ست وثلاثون آية<sup>(٤)</sup>.

ج - اختلاف عبد الله بن مسعود، وزيد، وأبي بن كعب في قراءة سورة<sup>(٥)</sup>.

د - اختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في قراءة حروف كثيرة من سورة الفرقان<sup>(٦)</sup>.

ه - اختلاف عمر بن الخطاب مع رجل في قراءة آية<sup>(٧)</sup>.

و - اختلاف أبي بن كعب مع رجل (أو رجلين) في قراءة آية<sup>(٨)</sup>.

ز - اختلاف أبي بن كعب مع رجلين في قراءة سورة النحل<sup>(٩)</sup>.

ومع توادر أحاديث الأحرف السبعة، وروايتها في معظم كتب السنة،

(١) السابق ٣٩/١.

(٢) السابق ٤٤/١.

(٣) السابق ٢٣/١ ، ٤٣.

(٤) السابق ٢٣/١.

(٥) السابق ٢٤/١.

(٦) السابق والصفحة . وانظر لطائف الإشارات ٣١/١ ، ٣٢.

(٧) تفسير الطبرى ٢٧/١.

(٨) السابق ٣٣/١ ، ٣٦ ، ٤٢.

(٩) السابق ٣٧/١ ، ٣٨ ، ٤١.

وتعدد أسانيدها، وصحة معظمها<sup>(١)</sup> ، فإنه لم ينقل عن الرسول ولا أحد من الصحابة تعين المراد بالأحرف السبعة ولذا اجتهد العلماء في تفسيرها، وبلغت هذه التفسيرات خمسة وثلاثين وجهاً عند بعض، وأربعين وجهاً عند بعض<sup>(٢)</sup> . ولا يمكّنا تعين المراد بها على سبيل القطع، ولكننا سنختار من بين الآراء الكثيرة أشهرها - بادئين بأصحها - وهي :

**أولاً:** رأي ابن قبيبة (توفي ٢٧٦ هـ) الذي فسر الأحرف بالأوجه اللغوية وحصرها في سبعة هي :

- ١ - الاختلاف في إعراب الكلمة أو حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: «هؤلاء بناتي هن أطهروا لكم»<sup>(٣)</sup> و: «أطهرا لكم»، وقوله تعالى: «وهل نجاري إلا الكفور»<sup>(٤)</sup> و: «هل نجاري إلا الكفور».
- ٢ - أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة، وحركات بنائتها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى: «ربنا باعَدْ بين أسفارنا»<sup>(٥)</sup> و: «ربُّنا باعَدْ بين أسفارنا»<sup>(٦)</sup> .
- ٣ - أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: «إِنْ كَانَتِ إِلَّا صِحَّةً وَاحِدَةً»<sup>(٧)</sup> و:

(١) انظر: تاريخ القرآن لعبدالصبور / ٢٥ وما بعدها، وص ٢٢٩ وما بعدها. وحيثما صعد عثمان المتر وسأل من سمع النبي ﷺ يقول: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف»، أن يقوم - قام الكثيرون حتى لم يحصلوا، فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال ذلك، فقال عثمان: وأنا أشهد معهم (انظر النشر ٢١/١، والإتقان ٤٥/١، ومقدمة معجم القراءات ٦٧/١).

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١٣١.

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (ط٣) ص ٣٦ - ٣٨.

(٤) هود ٧٨. وانظر معجم القراءات ١٢٦/٣.

(٥) سبا ١٧. وانظر معجم القراءات ٥، ١٥٤/٥، ١٠٥.

(٦) سبا ١٩.

(٧) يس ٢٩. وانظر معجم القراءات ٢٠٤/٥.

- «رُقْيَةٌ» . و: «كالعهن المنفوش»<sup>(١)</sup> و: «كالصوف».
- ٤ – أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، كقوله تعالى: «وَطَلَحَ مِنْضُودٌ»<sup>(٢)</sup> و: «وَطَلَعَ».
- ٥ – أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ»<sup>(٣)</sup> مع: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ».
- ٦ – أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى: «وَانظُرْ إِلَى الْعَذَابِ كَيْفَ تُنشَرُ هَا»<sup>(٤)</sup>، و: «تُنشَرُ هَا».
- ٧ – أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: «وَمَا عَمِلَهُ أَيْدِيهِمْ»<sup>(٥)</sup> مع: «وَمَا عَمِلْتُ أَيْدِيهِمْ»<sup>(٦)</sup>.

وقريب منه ما ذهب إليه أبو الفضل الرازبي (توفي ٤٥٤ هـ) في حصر الاختلافات في سبعة أوجه هي :

- ١ – اختلاف الأسماء من إفراد وثنية وجع، أو تذكير وتأنيث.
- ٢ – اختلاف تصريف الأفعال، من ماض ومضارع وأمر.
- ٣ – اختلاف وجوه الإعراب.
- ٤ – الاختلاف بالنقص والزيادة.
- ٥ – الاختلاف بالتقديم والتأخير.

(١) القارعة ٥. وانظر معجم القراءات ٢٢١/٨.

(٢) الواقعه ٢٩. وانظر معجم القراءات ٦٦/٧.

(٣) ق ١٩. وانظر معجم القراءات ٢٣٤/٦.

(٤) البقرة ٢٥٩. وانظر معجم القراءات ٢٠٠/١.

(٥) يس ٣٥. وانظر معجم القراءات ٢٠٧/٥.

(٦) انظر النشر ١/٢٧، ولطائف الإشارات ١/٣٨، ٣٩، ونقدمة معجم القراءات ١/٦٨، وتاريخ القرآن لعبدالصبور /٣٤.

- ٦ - الاختلاف بالإبدال، والقلب من حرف لأخر، ومن كلمة لأخرى.
- ٧ - اختلاف اللغات في مثل الفتح والإمالة، والترقق والتفسخ، والإدغام، والإظهار، ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الرأي كذلك ابن الجوزي (توفي ٨٣٣ هـ) الذي ذكر في كتابه النشر أنه - بعد تأمل وإمعان نظر لنيف وثلاثين سنة، وتتبع للقراءات الصحيحة والشاذة - استطاع أن يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وهي:

- ١ - الاختلاف في الحركات بلا تغير في المعنى والصورة (البُخْل / البَخْل / البُخْل / البَخْل)<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - الاختلاف في الحروف بتغير في المعنى فقط (وادُكَرَ بعْدَ أُمَّةً / أَمَّةً)<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - الاختلاف في الحروف بتغير في المعنى لا الصورة (تَبْلُو / تَلْبُلُ)<sup>(٤)</sup>.
- ٤ - الاختلاف في الحروف بتغير الصورة لا المعنى (بَسْطَة / بَصْطَة)<sup>(٥)</sup>.
- ٥ - الاختلاف في الحروف بتغيير الصورة والمعنى معاً (أشد منهم منكم)<sup>(٦)</sup>.
- ٦ - الاختلاف في التقديم والتأخير (فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ / فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ)<sup>(٧)</sup>.

(١) لطائف الإشارات ١/٤١، ٤٢، ومناهل العرفان ١/١٤٨ وما بعدها، ومقدمة معجم القراءات ١/٧١.

(٢) النساء ٣٧، وانظر معجم القراءات ٢/١٣٢.

(٣) يوسف ٤٥، وانظر معجم القراءات ٣/١٧٣.

(٤) يونس ٣٠، وانظر معجم القراءات ٣/٧٢.

(٥) البقرة ٢٤٧، وانظر معجم القراءات ١/١٩١.

(٦) غافر ٢١، وانظر معجم القراءات ٦/٤٠.

(٧) التوبية ١١١، وانظر معجم القراءات ٣/٤٦.

٧ - الاختلاف في الزيادة والنقصان (وما خلق الذكر والأنثى / والذكر والأنثى) <sup>(١)</sup>.

ثانياً: رأى كل من أبي عبيدة (توفي ٢٠٩ هـ)، وأبي حاتم السجستاني <sup>(٢)</sup> (توفي ٢٥٥ هـ) والطبرى <sup>(٣)</sup> وغيرهم أن المراد بالأحرف السبعة اختلاف اللغات (اللهجات - الألسن) باختلاف القبائل، . ولم يتفق أصحاب هذا الرأي على تحديد القبائل السبعة:

أ - فقيل: قريش - هذيل - تميم - الأزد - ربيعة - هوازن - سعد بن بكر <sup>(٤)</sup>.

ب - وقيل: قريش - هذيل - سعد بن بكر - ثقيف - خزاعة - أسد وضبة وألفافهما - تميم وقيس ومن انصاف إليهم <sup>(٥)</sup>.

ج - وقيل: قريش - كنانة - أسد بن خزيمة - هذيل - تميم - (أو تميم الرباب) ضبة - قيس <sup>(٦)</sup>.

د - وقيل: خمسة منها لعجز هوازن ، واثنان لقرיש وخراءة <sup>(٧)</sup>.

ثالثاً: هي سبعة من المعاني المتفقة يعبر عنها بالألفاظ المختلفة مثل: (هَلْمٌ، وأقبل، وتعال - عَجَلٌ، وأسرع - أَنْظُرْ، وأخْرُ، وأمْهَلْ - إِمْضِ، وأَسْرِ..). واختار هذا الرأي الزنجاني مستدلا بما روي عن أنس أبه قرأ:

(١) الليل ٣، وانظر النشر ٢٦/١، ومعجم القراءات ١٦٨/٨.

(٢) لطائف الإشارات ٣٣/١.

(٣) تفسير الطبرى ٤٨/١.

(٤) لطائف الإشارات ٣٣/١، والبرهان ٢١٧/١.

(٥) البرهان ٢١٩/١.

(٦) البرهان ٢١٩/١، والإتقان ٤٧/١، والتعبير الفنى في القرآن لبكرى أمين / ٨٢

(٧) الطبرى ٦٦/٦٧، والبرهان ٢٨٣/١. وانظر كذلك الإتقان ٤٩/١.

«إِنَّ نَاسَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُ وَطْنًا وَأَصْوَبُ قِيلًا»، وَحِينَ قِيلَ لَهُ: إِنَّمَا هِيَ: «وَأَقْوَمُ قِيلًا»<sup>(١)</sup>، قَالَ: أَقْوَمُ، وَأَصْوَبُ، وَأَهْدَى: وَاحِدٌ<sup>(٢)</sup>.

رَابعًا: هِيَ سَبْعَةُ أَصْنَافٍ مِنَ الْكَلَامِ، أَوْ سَبْعَةُ أَوْجَهٍ مِنَ الْمَعَانِي، وَهِيَ: الزَّجْرُ، وَالْأَمْرُ، وَالْحَلَالُ، وَالْحَرَامُ، وَالْمُحْكَمُ، وَالْمُتَشَابِهُ، وَالْأَمْثَالُ<sup>(٣)</sup>.

خَامِسًا: هِيَ لِغَاتٍ سَبْعَةٍ غَيْرَ عَرَبِيَّةٍ جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ، لَكِنَّهَا انْفَقَتْ فِي لُفْظَهَا وَمَعْنَاهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَفِي الْلُّغَةِ الْأَعْجَمِيَّةِ<sup>(٤)</sup>.

وَكَمَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِ الْمَرَادِ بِالْأَحْرَفِ، اخْتَلَفُوا فِي الْمَرَادِ بِالسَّبْعَةِ، فَقِيلَ قَصْدٌ بِالسَّبْعَةِ التَّحْدِيدِ، وَقِيلَ إِنَّ الْعَدْدَ لَا مَفْهُومُ لَهُ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ بِهِ مَطْلُقُ الْكَثْرَةِ.

وَأَقْرَبُ الْأَرَاءِ إِلَى الْقِبْوَلِ ذَلِكُ الَّذِي يُطْلِقُ الْأَحْرَفَ مِنَ الْعَدْدِ، وَلَا يَقْيِدُهَا بِسَبْعَةٍ<sup>(٥)</sup>، وَيَفْسُرُهَا بِأَوْجَهِ الْأَدَاءِ، أَوْ اخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ، أَوْ أَيِّ اسْتِعْمَالٍ نَاشِئٍ عَنْ تَنْوِعِ الْلِّهَجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَعْدُدِهَا، وَذَلِكُ لِأَسْبَابِ الْآتِيَّةِ:

(١) المزمل ٦، وانظر معجم القراءات ٢٥٣/٨.

(٢) البرهان ١/٢٢٠، والإتقان ١/٤٦، ومقدمة معجم القراءات ١/٧٠.

(٣) البرهان ١/٢١٦، ولطائف الإشارات ١/٤٣. وَهُوَ مَا خُوذَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مُسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ: كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يُنْزَلُ مِنْ بَابِ وَاحِدٍ، وَنُزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ: زَاجِرٌ وَآمِرٌ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَحَكْمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ. وَقَدْ رَدَّ الْحَدِيثُ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ النَّظرِ، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: هُوَ حَدِيثٌ لَا يُبْثِتُ (انظر لطائف الإشارات ١/٤٣، ٤٤).

(٤) حَكَى ذَلِكَ صَاحِبُ الْمَبَانِيَ فِي مُقْدِمَتِهِ. وَانْظُرْ: التَّعْبِيرُ الْفَهِيُّ فِي الْقُرْآنِ لِبَكْرِيِّ أَمِينٍ/٨١.

(٥) قال السيوطي: ليس المراد السبعة الحقيقة، وإنما المراد التسهيل والتيسير والسعنة. وللفظ السبعة يطلق ويراد به الكثرة في الأحاديث كما يطلق السبعون ويراد به الكثرة في العشرات والسبعينات ويراد به الكثرة في المئات (الإتقان ١/٤٥).

١ - أن القبائل العربية الواردة لغاتها في القرآن الكريم لا يصح تقييدها بعدد معين وقد بلغت في كتاب أبي عبيد «لغات القبائل الواردة في القرآن» ببعضها وثلاثين<sup>(١)</sup>.

٢ - أن الاختلاف بين الصحابة الذي رفع إلى الرسول ﷺ كان اختلافاً نظرياً لفظياً، يتعلق بالتلاؤة لا بالمعانٍ، ولا بالتحليل أو التحرير، ولا بالوعد أو الوعيد، ولا ما أشبه ذلك. إذ لو حدث خلاف في ذلك كان من المستحيل أن يصوّهم الرسول جميعاً؛ لأن هذا يعني أن يكون الله قد أمر بفعل شيء بعينه في تلاوة وهي عن فعله في تلاوة أخرى.<sup>(٢)</sup>

٣ - أن الحكمة من تعديل الأحرف التوسيعة، وهذه تظهر في جانب الأداء والنطق واستخدام الكلمات أكثر مما تظهر في غيرها. ولذا يقول الزركشي: «إذ لو كُلِّفَ كل فريق منهم ترك لغته والعدول عن عادة نشأوا عليها من الإمالة والهمز والتليل والمد وغيره لشق عليهم»<sup>(٣)</sup>. ويقول ابن قتيبة: «فالهذلي يقرأ (عَنْ حِينَ) يريد: حتى حين، لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسد يقرأ: (يَعْلَمُونَ)، و(يَعْلَمُ)، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والأخر يقول: (وإِذَا قَيْلَ لَهُمْ)، و: (غَيْضَ الْمَاءِ) بإشمام الفم مع الكسر، و: (هَذِهِ بِضَاعْتَنَا رَدَتْ إِلَيْنَا) بإشمام الكسر مع الضم.. وهذا ما لا يطوع به كل لسان»<sup>(٤)</sup>. ويقول

(١) وأوصلها بعضهم إلى الخمسين (الإنقان/ ١٣٥/١).

(٢) الطبرى/ ٤٨/١، والبرهان/ ٢١٧/١، والإتقان/ ٤٨/١، وقضايا قرآنية/ ٢٢١، ودراسات قرآنية/ ١١٩.

(٣) الإنقان/ ٢٢٧/١.

(٤) تاريخ القرآن لعبدالصبور/ ٣٤ عن تأويل مشكل القرآن/ ٢٨ - ٣٠، وانظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ١٤٢.

ابن الجوزي إن النبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها، عرباتها وعجميتها. وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا بالتعليم والعلاج، لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتاباً.. فلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطيع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطياع<sup>(١)</sup>.

### ٣ - بين الأحرف القراءات:

لم يكن هناك فرق في عصر الرسالة بين كلمة «حرف»، وكلمة «قراءة»، فقد كان يقصد بالحرف اللغة أو اللهجة التي سمع الرسول ﷺ بأن يقرأ بها. وهذا الحرف يصبح قراءة بمجرد هذا السياح، أو النقل عن الرسول. ولذا ورد اللفظان بالتبادل في كثير من أحاديث الأحرف السبعة، دون لمح أي فرق بينهما. ومن ذلك:

- \* «فقام كل رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه».
- \* «فقلنا: إنا اختلفنا في القراءة».
- \* «أقرأنيها زيد، وأقرأنيها أبي بن كعب فاختللت قراءتهم».
- \* «إذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنها رسول الله.. فقرأ عليه القراءة.. ثم قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»<sup>(٢)</sup>.

(١) الشر ٢٢/١.

(٢) تفسير الطبرى ٢٣/١ - ٢٥.

ولكن بعد العرضة الأخيرة للقرآن، واستقرار نصه على الصورة الأخيرة بعد اكتمال نزوله، وعدم تعرّضه للنسخ بعد ذلك ثبت على حرف واحد، وهو الحرف الذي سجل به النص القرآني<sup>(١)</sup> في صورته النهائية. ويقال إن زيد بن ثابت كان شاهداً العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقي، وإنه كتبها للرسول ﷺ وقرأها عليه، وكان يُقرئ الناس بها حتى مات<sup>(٢)</sup>. ولذا اعتمد أبو بكر زيداً لجمع القرآن في صحف استحقت اسم «صحف» بعد أن وضعت بين دفتين<sup>(٣)</sup>. ثم انتقلت إلى عمر بعد وفاة أبي بكر، وإلى حفصة بعد وفاة عمر<sup>(٤)</sup>، وكانت هي الأساس لجمع عثمان الثاني للقرآن على حرف واحد هو حرف قريش بمشاركة زيد كذلك<sup>(٥)</sup>.

ثم جرى المترجمون لسير القراء - في مؤلفاتهم - على أن يميزوا في ترجمة القارئ بين أدائه وروايته، فيسمون الأول قراءة، والثاني حرفاً، وقد يجتمع في الشخص الواحد القراءة ورواية الحروف، كما كان الحال بالنسبة لكثير من الصحابة والتابعين، وعدد من مشاهير القراء، مثل حمزة وخلف والكسائي ويعقوب.

واقترب بهذا الاستخدام استخدام آخر، فكان القارئ إذا اقتصر على القراءة العامة لا يوصف بشيء آخر، لكن إذا أدخل في قراءته عنصراً مخالفًا

(١) نحيل إلى ما سبق أن ذكرناه من أن توسيعة الأحرف السبعة كانت في حدود القراءة لا التسجيل، وأن كتابة الوحي كانت هي الفيصل الذي حفظ للقرآن وحدة الصورة.

(٢) البرهان ١/٢٣٧، والإتقان ١/٥٠.

(٣) جاء في البرهان (٢٨٢/١): لما جمع أبو بكر القرآن قال سمهوه، فاقتصر ابن مسعود له أن يسمى «الصحف». وقيل إن سالم بن مغفل (توفي ١٢هـ) كان صاحب هذا الاقتراح (الصحف الشريف لمزوق ١١).

(٤) البرهان ١/٢٣٤، والإتقان ١/٥٧.

(٥) راجع ما سبق أن ذكرناه تحت عنوان: «رسم المصحف العثماني والأحرف السبعة».

كان ذلك منه حرفًا خارجًا عن القراءة العامة، وهي آنذاك قراءة قريش ولسانها، كما كان الحال بالنسبة لابن مسعود الذي كان يقرئ الناس (عَتَّ حِينَ) بدلاً من (حتى حِينَ)<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الرسول ﷺ قد حصر الأحرف في سبعة، فإن القراءات التي نقلت إلينا ليست مخصوصة في عدد معين، وإن كان العلماء قد قسموها إلى مراتب حسب ما تحققه من شروط الصحة، كما سنوضح فيما بعد.

والذي يهمنا الآن أن نوضحه هو أن ما أطلق عليه ابن مجاهد (توفي ٤٣٢هـ) «القراءات السبع»<sup>(٢)</sup> ليس هو الأحرف السبعة، وإنما هو اختيار خاص لابن مجاهد وقف به عند العدد سبعة<sup>(٣)</sup>. وقد وضح ابن الجوزي الفرق بين المفهومين فقال: «لا يجوز أن يكون المراد من الأحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن كان يظنه بعض، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وُجدوا»<sup>(٤)</sup>. ويقول مكي بن أبي طالب: «وأما من ظن أن قراءة هؤلاء السبعة هي الأحرف السبعة فقد غلط غلطًا عظيمًا». ويلزم من هذا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم، ووافق خط المصحف ألا يكون قرآنًا، وهو غلط عظيم. فإن الذين صنعوا

(١) ملخص عن تاريخ القرآن لعبدالصبور / ١٩٩ ، ٢٠٠.

(٢) انظر مبحث «تصنيف القراءات وأشهر القراء ورواتهم»، ص ٧٠ وما يليها.

(٣) ذكر الزركشي سببين لاقتصر ابن مجاهد على سبعة قراء هما:

١ - أن عدد المصاحف التي وجهاها عثمان للأمصار كانت سبعة، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف.

٢ - أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة (البرهان

٣٢٩/١).

(٤) النشر ٢٤/١.

القراءات من الأئمة المقدمين كأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني وأبي جعفر الطبرى... قد ذكروا أضعاف هؤلاء<sup>(١)</sup>.

وقد وجه كثير من العلماء اللوم لابن مجاهد لاقتصره من بين القراء على سبعة، وإيقاعه الناس في الوهم والتلبيس، ولذا قال السيوطي : «مبين السبعة فعل ما لا ينبغي ، وجعل الأمر مشكلا على العامة باختيارة. فظن كل من قلل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الحديث. وليته إذ اختار نقص عن السبعة أو زاد عليها ليزيل الشبهة»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) تاريخ القرآن للكردي / ٨٦ ، ومقدمة معجم القراءات ٧٥/١ .  
(٢) الإتقان ١/٨٠ .

## (الفصل الثالث) البحث في القراءات القرآنية

### ١ - القراءات القرآنية: نشأتها والتأليف فيها:

يعود تعدد القراءات القرآنية، أو الأوجه المختلفة التي سمع النبي ﷺ بقراءة النص المصحفى بها إلى حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف». وقد سبق أن ناقشنا الحديث، وبيننا المراد منه.

ولم تسجل هذه الأحرف أو القراءات في كتاب أو تدون في صحف أيام الرسول؛ لأن كتاب الوحي على عهد النبي لم يكتبوا القرآن بالأحرف السبعة التي تمثلها لهجات العرب أو بعضها، والتزموا باللغة التي كان رسول الله ﷺ يلقي عليهم بها. أما الأحرف السبعة فقد ظهرت في قراءة القرآن لا في كتابته كما سبق أن ذكرنا<sup>(١)</sup>.

وحين تفرق الصحابة في الأمصار الإسلامية كان كل منهم يقرئ الناس بحرف<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر ما سبق تحت عنوان «كتابة القرآن في عهد الرسول»، ص ١٨.

(٢) كان بعض الصحابة يتوجه إلى هذه الأمصار بتعليمات من الخليفة، فقد أرسل عمر مثلاً إلى الشام معاذًا، وأبا الدرداء، وعبادة ليعلموا الناس القرآن (انظر مقدمة معجم القراءات ١٣/١).

وصحب ذلك تسجيل كتابي فردي لكل حرف يقرأ به الصحابي أو المتلقى عنه على حدة. وقد كان يحدث أن يجتمع أكثر من صحابي في مكان واحد، فتتعدد أوجه القراءة في هذا المكان، مما سبب شفاقاً بين أتباع كل حرف وحرف، وجعل كلاً منهم يخطئ الآخر<sup>(١)</sup>.

وامتدت الفترة بين وفاة الرسول وكتابة عثمان للمصحف الإمام بضع عشرة سنة سجل فيها كثير من القراء وتابعهم أحرفهم، أو الأوجه التي كانوا يقرءون بها دون تقيد «بنص المصحف» ذي الحرف الواحد. وهذا هو التطور الخطير الذي حدث لنص المصحف بعد وفاة الرسول، وامتد زمن أبي بكر وعمر، وجزءاً من حكم عثمان.

وحين ثارت الفتنة بين المسلمين في أوائل حكم عثمان بسبب اختلافهم في القراءة، وكفر بعضهم بعضاً انتزع عثمان الفتنة من جذورها بردة المسلمين جيئاً إلى اللفظ المأذون في كتابته وهو «نص المصحف» المكتوب في عهد النبي، وألزمهم أن يتقيدوا بما يسمح به رسمه من أوجه القراءات، وقام بجمع سائر الصحف والمصاحف وأحرقها.

وبذلك أخذت القراءات في عهد عثمان، وبعد كتابته للمصحف الإمام شكلاً جديداً يتمثل فيما يأتي:

- ١ - تقليل حجمها، وتقييد أوجهها بما يسمح به رسم المصحف فقط، وترك ما عدا ذلك.
- ٢ - انتقاماً مرة ثانية إلى ما كانت عليه في عهد الرسول أي إلى وضع «التلاؤة» لا وضع «التسجيل والتدوين».

---

(١) وقد كان هذا أهم أسباب إقدام عثمان على جمع الناس على مصحف واحد.

واستمر الحال على ذلك مدة طويلة استقرت فيها الأمور، وزال التعصب بين المسلمين، ولم يعد هناك خشية من تسجيل القراءات مرة ثانية، فتم تسجيلها، ولكن بصورة علمية يتوافر عليها العلماء المتخصصون، ويزنونها بميزان النقد الدقيق.

ومن هنا دخلت القراءات مرة ثانية عصر التدوين والتسجيل، وكان ذلك منذ منتصف القرن الثاني الهجري، أي بعد مرور ما يزيد على قرن من جمع الناس على المصحف الإمام، وبعد أن كثر الاختلاف فيما يحمله رسم المصحف، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحيل أحد تلاوته وفافاً لدعاتهم<sup>(١)</sup>.

ويصور القسطلاني حاجة المسلمين إلى تدوين القراءات وتصفيتها في قوله: «ولما كان الصدر الأول لا يدونون علومهم في دفاتر ولا كتب، ثقة منهم في ضبطهم، واتكالاً على حفظهم، وبدا في كثير من ألفاظ القرآن التفريط، وفشا في جملة من طرق الروايات التخليط - قيض الله تعالى لكتابه المجيد.. من دون وجوه قراءاته وضبط طرق روایاته، فاجتهدوا في ذلك حق الاجتهداد، وبدلوا النص في ذلك الله ورسوله والعباد.. فأخذوا في جمع ذلك وتدوينه، فاستفرغوا فيه وسعهم، وبدلوا جهدهم»<sup>(٢)</sup>.

وكان أول من ألف في القراءات - كما ذكر ابن الجوزي - هارون بن موسى، ونص عبارته: «قال أبو حاتم السجستاني: أول من سمع بالبصرة

(١) كمنقرأ من المعزلة: «وكلم الله موسى تكليباً، بمنصب لفظ الجلالة على المفعولة. ومن قرأ من الرافضة: «وما كنت متخد المضلين عضداً» بثنية اللفظ، يعنيون أبا بكر وعمر. (انظر لطائف الإشارات ٦٦/١).

(٢) لطائف الإشارات ١/٨٥. وانظر النشر ٩/١.

وجوه القراءات وألفها، وتتبع الشاذ منها فبحث عن إسناده: هارون بن موسى الأعور، وكان من القراء<sup>(١)</sup>، ومات قبل المائتين.

ثم تلاه جماعة من علماء القرن الثالث على رأسهم:

١ - أبو عبيد القاسم بن سلام (توفي ٢٢٤هـ)، وجعل القراء خمسة وعشرين قارئاً مع السبعة.

٢ - أحمد بن جبير الكوفي نزيل أنطاكية (توفي ٢٥٨هـ). وقد جمع كتاباً في القراءات الخمس التي تمثل الأمصار الخمسة (مكة والمدينة، والبصرة، والكوفة، والشام) أخذ من كل مصر واحداً.

٣ - القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي (توفي ٢٨٢هـ) الذي ألف كتاباً جمع فيه قراءات عشرين إماماً، منهم السبعة<sup>(٢)</sup>.

وتتابعت المؤلفات بعد ذلك، فكان مما ظهر منها:

أ - مؤلفين توفوا في القرن الرابع:

١ - الجامع في القراءات لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (توفي ٣١٠هـ)، جمع فيه نيفاً وعشرين قراءة.

٢ - كتاب القراءات لأبي بكر محمد بن أحد بن عمر الداجوني (توفي ٣٢٤هـ). وقد ضم الأحد عشر، وأدخل معهم أبياً جعفر.

(١) غاية النهاية ٢/٣٤٨، والمرشد الوجيز ١٨١.

(٢) لطائف الإشارات ١/٨٥، و تاريخ القرآن لعبد الصبور ٢١٧، والنشر ١/٣٤.

- ٣ – قراءات السبعة لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (توفي ٣٢٤هـ) وكان أول من اقتصر على القراءات السبع المشهورة.
- ٤ – كتاب في القراءات لأبي بكر أحمد بن نصر الشذائي (توفي ٣٧٠هـ).
- ٥ – الحجة في القراءات السبع لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (توفي ٣٧٠هـ).
- ٦ – الحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي (توفي ٣٧٧هـ).
- ٧ – الشامل والغاية في قراءات العشرة لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (توفي ٣٨١هـ).
- ٨ – التذكرة في القراءات الثماني لأبي الحسن طاهر بن الإمام الأستاذ أبي الطيب عبد المنعم بن عبدالله بن عَلِيُّون الحلبي نزيل مصر (توفي ٣٨٩ أو ٣٩٩هـ).
- ٩ – حجة القراءات لأبي زرعة (من رجال المائة الرابعة)<sup>(١)</sup>.

#### ب – مؤلفين توفوا في القرن الخامس:

- معظمها ركز على القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد، ومنها ما زاد عليها ثلاثة قراءات أو أربعاً، ومن هذه المؤلفات:
- ١ – المتهى في القراءات العشر لأبي الفضل محمد بن عبدالكريم الخزاعي (توفي ٤٠٨هـ).

(١) معجم مصنفات القرآن لعلي شوах ١١/٤ وما بعدها، ولطائف الإشارات ٨٧، ٨٦/١، ٣٤/١، ومقدمة معجم القراءات ١١٩/١، وناريخ القرآن لعبدالصبور ٢١٧، والنشر ١.

- ٢ - الكشف عن وجوه القراءات السبع - والتبصرة، كلامها ل McKi بن أبي طالب القيسي (توفي ٤٣٧ هـ).
- ٣ - التيسير (في السبع) للحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (توفي ٤٤٤ هـ).
- ٤ - جامع البيان (في السبع) للمؤلف السابق.
- ٥ - العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد الأنصاري الأندلسي (توفي ٤٥٥ هـ).
- ٦ - التلخيص في القراءات الثنائي لأبي عشر عبد الكري姆 بن عبد الصمدقطان الطبرى الشافعى شيخ أهل مكة (توفي ٤٧٨ هـ)<sup>(١)</sup>.

**جـ - مؤلفين توفوا في القرن السادس:**

- ١ - إرشاد المبتدىء، وذكرة المتهي في القراءات العشر لـ محمد بن الحسن القلاسي (توفي ٤٢١ هـ).
- ٢ - الإقناع في القراءات السبع لأحمد بن علي بن أحمد بن خلف بن البافش (توفي ٤٤٠ هـ).
- ٣ - الكفاية في القراءات الست لأبي محمد عبدالله بن علي المعروف بسبط الخياط (توفي ٤٥٤ هـ).
- ٤ - المبهج في القراءات الثنائي وقراءة ابن مخيصين، والأعمش... للمؤلف السابق.

---

<sup>(١)</sup> المراجع السابقة والصفحات.

٥ - المصباح في القراءات العشر لأبي الكرم المبارك بن الحسن الشهري،  
(توفي ٥٥٠ هـ).

٦ - حِزْرُ الْأَمَانِيِّ، في القراءات السبع (الشاطبية) لأبي القاسم القاسم بن  
فِيْرُهُ الرَّعِينِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الشَّاطِبِيُّ (توفي ٥٩٠ هـ).<sup>(١)</sup>

#### د - مؤلفات أخرى:

وتواترت المؤلفات - بعد ذلك - وكان من أشهرها:

١ - شروح الشاطبية للسخاوي، وأبي شامة، وأبي عبدالله محمد بن الحسن  
الفاسي، وأبي العباس بن جبارة المقدسي، وأبي إسحاق إبراهيم بن عمر  
الجعيري، وابن أم قاسم المرادي البغدادي، وأبي العباس أحمد بن  
يوسف الحلبي المعروف بالسمين.

٢ - النشر في القراءات العشر لشمس الدين محمد بن الجزري (توفي ٨٣٣ هـ) - مطبوع.

٣ - البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعمربن القاسم بن محمد بن  
علي الشهير بالنشرار (كان حيا ٨٩٨ هـ) - مخطوط.

٤ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر لأحمد بن محمد البنا  
الدمياطي (توفي ١١١٧ هـ) - مطبوع.

٥ - غيث النفع في القراءات السبع لعلي النوري الصفافي (توفي  
١١١٧ هـ) - مطبوع<sup>(٢)</sup>.

(١، ٢) معجم مصنفات القرآن ١١/٤ وما بعدها، وسلائف الإشارات ٨٧/١، وتاريخ القرآن  
لعبدالصبور ٢١٨، ومقدمة معجم القراءات ١٢٠/١، ١٢١، ومصادر معجم القراءات  
صفحة ع.

ومن العلماء من قصر تأليفه على القراءات الشاذة وحدها. وقد بدأ ذلك في وقت مبكر لم يتجاوز القرن الثالث الهجري، ومن أشهر هذه المؤلفات حتى القرن الرابع:

١ - كتاب الشواذ لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (توفي ٢٩١ هـ).

٢ - كتاب الشواذ لابن مجاهد (توفي ٣٢٤ هـ).

٣ - البديع في شواذ القراءات لابن خالويه (توفي ٣٧٠ هـ).

٤ - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني (توفي ٣٩٢ هـ). وتتابعت المؤلفات بعد ذلك مثل:

١ - المحتوى في القراءات الشواذ للداني (توفي ٤٤٤ هـ).

٢ - الكامل في القراءات لأبي القاسم يوسف بن علي بن جbara الهمذاني (توفي ٤٦٥ هـ).

٣ - إعراب القراءات الشاذة لأبي البقاء العكبي (توفي ٦١٦ هـ).

٤ - شواذ القراءات واختلاف المصاحف لرضى الدين أبي عبدالله محمد بن أبي نصر بن عبدالله الكرماني (أواخر القرن السابع)<sup>(١)</sup>.

٢ - تصنيف القراءات وأشهر القراء ورواتهم:

كان هناك عدد كبير من الصحابة يتراوون العشرات، عرفوا في عهد

---

(١) تاريخ القرآن لعبدالصبور / ١٠ - ١٦ و ٢١٨ وما بعدها ، ومقدمة معجم القراءات . ١٢٢/١ ، ١٢٣ .

الرسول بقراءة القرآن أو حفظه أو جمعه. وشكل هؤلاء الطبقة الأولى من القراء، سواء منهم من عاشوا في مكة أو المدينة، أو من انتشروا في الأقطار الإسلامية يعلمون المسلمين القرآن. وقد اشتهر من بينهم بالإقراء سبعة هم - كما ذكر السيوطي : عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو موسى الأشعري<sup>(١)</sup>. واشتهر في كل بلد إسلامي قراءة الصحابي الذي علمهم القرآن، فأهل الشام كانوا يقرءون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة بقراءة عبدالله بن مسعود، وأهل البصرة بقراءة أبي موسى الأشعري . وهكذا<sup>(٢)</sup>.

ولكن بدأ تشكيل أول فريق رسمي من القراء بأولئك الذي وجههم عثمان بن عفان إلى الأمصار الإسلامية مع المصاحف. فكان زيد بن ثابت مقرئ المصحف المدني، وعبد الله بن السائب مقرئ المكي ، والمغيرة بن شهاب مقرئ الشامي ، وأبو عبد الرحمن السُّلَيْمَيْن مقرئ الكوفي ، وعاصم بن عبد القيس مقرئ البصري<sup>(٣)</sup>. ثم نقل التابعون عن الصحابة فقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم .. ثم تفرغ قوم للقراءة والأخذ والضبط حتى صاروا في هذا الباب أئمة يرحل إليهم، ويؤخذ عنهم. وكان من اشتهروا بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدرية، مع ارتباط كل منهم بأحد المصاحف العثمانية<sup>(٤)</sup>

(١) الإتقان ٧٢ / ١.

(٢) مقدمة التحقيق لكتاب المصاحف ٦ / ٦، والتعبير الفني في القرآن / ٣٩.

(٣) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ٩٩، ومناهل العرفان / ١٣٩٦، ٣٩٧.

(٤) وردت القائمة في لطائف الإشارات ٦٦ / ١، ٦٧، ٤٠٩، ومناهل العرفان / ٤٠٨، ٣٩٧ / ١ مع إضافات يسيرة من بعض المراجع. وانظر مناهل العرفان / ٣٩٧ / ١.

**أ— بالمدينة :**

- ١— أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي الذي توفي عام ١٣٠ هـ<sup>(١)</sup>.
- ٢— شيبة بن ناصح، الذي توفي عام ١٣٠ هـ<sup>(٢)</sup>.
- ٣— نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، إمام دار المهرة في القراءات. وقد ولد عام ٧٠ هـ وتوفي عام ١٦٩ هـ. وقرأ على سبعين إماماً من التابعين منهم أبو جعفر، والأعرج وشيبة بن ناصح<sup>(٣)</sup>. وهو أحد القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد.

**ب— بمكة :**

- ١— الأعرج، محمد بن قيس، توفي عام ١٣٠ هـ<sup>(٤)</sup>.
- ٢— ابن حميسن المكي، أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن. قرأ على مجاهد ودرباس (مولى عبدالله بن عباس)، وتوفي عام ١٢٣ هـ<sup>(٥)</sup>.
- ٣— عبدالله بن كثير شيخ مكة وإمامها في القراءة. ولد عام ٤٥ هـ وتوفي عام ١٢٠ هـ نقل قراءته أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، والشافعي وغيرهم<sup>(٦)</sup>. وهو أحد القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد.

(١) لطائف الإشارات ٩٧/١.

(٢) مداخل المؤلفين ٢٩٠.

(٣) لطائف الإشارات ٩٣/١، ٩٤.

(٤) غاية النهاية ٢٦٥/١.

(٥) لطائف الإشارات ٩٨/١.

(٦) السابق ٩٤/١، ٩٥.

(٧) السابق ٩٤/١، ٩٥.

## جــ بالكوفة :

- ١ـ يحيى بن وثاب الأسدية الكوفي. قرأ على علقة بن قيس وزر بن حبيش وغيرهما، وتوفي عام ١٠٣ هـ<sup>(١)</sup>.
- ٢ـ الأعمش، أبو محمد سليمان بن مهران. قرأ على يحيى بن وثاب، وتوفي عام ١٤٨ هـ<sup>(٢)</sup>.
- ٣ـ خلف بن هشام البزار، ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي سنة ٢٢٩ هـ<sup>(٣)</sup>.
- ٤ـ عاصم بن أبي النجود الذي انتهت إليه رياضة القراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي. وقد توفي عام ١٢٧ أو ١٢٨ هـ<sup>(٤)</sup>. وهو أحد القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد.
- ٥ـ حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، من تابعي التابعين. وإليه انتهت القراءة بعد عاصم. وهو شيخ الكسائي، وتلميذ الأعمش وطلحة بن مصطفى توفي عام ١٥٤، أو ١٥٦، أو ١٥٨ هـ<sup>(٥)</sup>. وهو أحد القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد.
- ٦ـ الكسائي، علي بن حمزة. وهو من تابعي التابعين. قرأ على حمزة بن حبيب، وعيسى بن عمر الهمданى. وقرأ الأخير بدوره على عاصم، وطلحة، والأعمش، وتوفي عام ١٨٩ هـ<sup>(٦)</sup>. وهو أحد القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد.

(١) مداخل المؤلفين / ٦١٢.

(٢) لطائف الإشارات ٩٩/١، ١٠٠.

(٣) السابق .٩٨/١.

(٤) السابق .٩٦/١.

(٥) السابق .٩٦/١، ٩٧.

(٦) لطائف الإشارات ٩٧/١.

د – بالشام:

- ١ – أبو يحيى عطية بن قيس الكلبي الحمصي الدمشقي، من التابعين.  
قاريء دمشق بعد ابن عامر، ولد عام ٧ هـ وتوفي عام ١٢١ هـ<sup>(١)</sup>.
- ٢ – أبو عمر يحيى بن الحارث بن عمرو الغساني الدمشقي، من التابعين توفي عام ١٤٥ هـ<sup>(٢)</sup>.
- ٣ – شريح بن يزيد الحضرمي، توفي عام ٢٠٣ هـ<sup>(٣)</sup>.
- ٤ – عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم، من التابعين. ولد عام ٢١ أو ٢٨ هـ وتوفي عام ١١٨ هـ<sup>(٤)</sup>. وهو أحد القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد.

هـ – بالبصرة:

- ١ – أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري. ولد عام ٢١ هـ وتوفي عام ١١٠ هـ .
- ٢ – عبدالله بن أبي اسحاق. أخذ القراءة عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، وتوفي عام ١١٧ هـ<sup>(٦)</sup>.

---

(١) غاية النهاية ٥١٣/١، ٥١٤.

(٢) السابق ٣٦٧/٢، ٣٦٨.

(٣) السابق ٣٢٥/١.

(٤) لطائف الإشارات ٩٥/١، ٠٦.

(٥) السابق ٩٨/١، ٩٩.

(٦) نشأة النحو ٦١/٦.

٣ - عاصم بن أبي الصباح العجاجي الجحدري البصري. مات عام ١٢٨هـ<sup>(١)</sup>.

٤ - اليزيدي، أبو محمد يحيى بن المبارك البصري. أمثل أصحاب أبي عمرو بن العلاء، وقام بعده بالقراءة، توفي عام ٢٠٢هـ<sup>(٢)</sup>.

٥ - يعقوب بن إسحاق بن عبد الله بن إسحاق الحضرمي. توفي عام ٢٠٥هـ<sup>(٣)</sup>.

٦ - أبو عمرو بن العلاء. قرأ على أبي جعفر، وشيبة، وابن كثير، والحسن البصري، وعبد الله بن أبي إسحاق، وابن حميسن، وعاصم بن أبي التّجود، وتوفي عام ١٥٤ أو ١٥٧هـ<sup>(٤)</sup>. وهو أحد القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد.

وتكاثر القراء أثناء ذلك وبعده، وكان فيهم «المتقن وغيره». فلذا نُثر الاختلاف، وعسر الضبط، وشق الائتلاف، وظهر التخلط، وانتشر البُفريط، واشتبه متواتر القراءات بفاذها، ومشهورها بشاذتها. فمن ثم وضع الأئمة لذلك ميزاناً يرجع إليه، ومعياراً يَعُول عليه»<sup>(٥)</sup>. ولذا حين بدأ التأليف في القراءات - في منتصف القرن الثاني الهجري - كما سبق أن ذكرنا - لم يكن تاليفاً عشوائياً أو تجميعياً، وإنما كان تاليفاً ناقداً فاحصاً متبيناً لأسانيد القراءة ورواتها.

(١) غاية النهاية ٣٤٩/١.

(٢) لطائف الإشارات ٩٨/١، ٩٨، ٩٩.

(٣) السابق ٩٧/١، ٩٧، ٩٨.

(٤) لطائف الإشارات ٩٥/١.

(٥) السابق ٦٧/١، والنشر ٩/١.

وكان معيار تصنيف القراءات في تلك الحقبة هو من ناحية درجة إسنادها، فيما كان متواتر الإسناد وصف بالصحة، وما كان رواية آحاد وصف بالشذوذ، وما خرج عن هذا وذلك ترك. ومن ناحية أخرى تركيبها اللغوي والنحوية، فيما صحت لغتها وسلمت تراكيضه قبلوه، وما خالف لغة العرب ردوه وتركوه<sup>(١)</sup>.

وتبلورت هذه المقاييس أو المعايير - بعد ذلك - على يد ابن الجوزي (توفي ٨٣٣ هـ) الذي حدد شروط القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يجعل إنكارها، فيما يأتي:

- ١ - موافقة العربية ولو بوجه.
- ٢ - موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.
- ٣ - صحة سند القراءة.

وقد فسر ابن الجوزي قوله في الضابط الأول «ولو بوجه» قائلاً: «نريد به وجهاً من وجوه النحو، سواء كان أفعى أم فصيحاً، مجعماً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح»<sup>(٢)</sup>.

وفسر الضابط الثاني بقوله: «ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض، كقراءة ابن عامر (قالوا أخذ الله ولدا). في البقرة ١١٦ بغير واو، فإن ذلك ثابت في المصحف الشامي، وكقراءة ابن كثير (جنت تجري من تحتها الأنهر) في براءة ١٠٠ بزيادة (من)، فإن ذلك ثابت في المصحف المكي... فلو لم يكن ذلك كذلك كذلك في شيء من

(١) تاريخ القرآن لعبد الصبور / ٢٠١ - ٢٠٣.

(٢) النشر ١٠/١.

المصاحف العثمانية ل كانت القراءة بذلك شاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه»<sup>(١)</sup>.

ولكن ابن الجزري لا يكتفي في هذا الضابط بموافقة أحد المصاحف العثمانية ويزيد: « ولو احتمالاً فهذا يعني بذلك؟ أجاب ابن الجزري قائلاً: «وقولنا بعد ذلك: ولو احتمالاً، يعني به ما يوافق الرسم ولو تقديرأً، ومثل لما وافق تقديرأً بكلمات مثل: السموات، والصلحت، والليل، والصلة. كما مثل له بآية الفاتحة التي كتبت في جميع المصاحف بغير ألف «ملك يوم الدين»، فقراءة الحذف: «ملك» تحتمله تحقيقاً، وقراءة ألف «ملك» تحتمله تقديرأً»<sup>(٢)</sup>.

أما ضابط صحة السندي فقد اكتفى منه برواية القارئ العدل الضابط عن مثله، مع شهرة القراءة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له. ولم يشترط ابن الجزري في صحة السندي تواتره، ونقد رأى من تشدد واشتراط التواتر بقوله: «إن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركين الآخرين من الرسم وغيره. إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ وجب قبوله، وقطع بكونه قرآنًا، سواء وافق الرسم أم خالقه»<sup>(٣)</sup>.

ومعنى اختل في قراءة ركن من هذه الأركان الثلاثة قلت درجتها، أو رفضت. وي يكن - من شروط ابن الجزري - استخلاص الأنواع السبعة التالية من القراءات:

١ - المتواتر، وهو ما نقله جم لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثليهم. وهو أعلى الدرجات. وغالب القراءات كذلك.

(١) السابق ١١/١.

(٢) النشر ١١/١، ١٢.

(٣) السابق ١٣/١، ولطائف الإشارات ٦٨/١ - ٧٠.

٢ - المشهور، وهو ما صح سنته، ولم يبلغ درجة التواتر، ووافق العربية والرسم. ويقرأ به على ما ذكره ابن الجزري وغيره.

وقد كان التواتر يطلب تحصيله في الإسناد قبل أن يقوم المصحف وثيقة متواترة بالقرآن. أما بعد وجود المصحف فقد اكتفى العلماء في الرواية بصحتها وشهرتها، متى وافقت رسم المصحف، ولغة العرب<sup>(١)</sup>.

٣ - الأحاد، وهو ما صح سنته، وصح وجهه في العربية، ولكن لم يشتهر الاشتئار المذكور. ولا يقرأ به.

٤ - الشاذ، وهو مالم يصح سنته كقراءة ابن السمييف: «فالليوم ننجيك بيدينك»<sup>(٢)</sup>، أو كان إسناده ضعيفاً كالقراءة المنسوبة إلى أبي حنيفة وهي: «إِنَّمَا يَخْشِيُ اللَّهَ مِنْ عِبَادِ الْعِلَمَاءِ»<sup>(٣)</sup>. ولا يقرأ به.

٥ - الموضوع، كقراءات بعض المعتزلة أو الرافضة، وهذا كذب، ولا يعد قراءة<sup>(٤)</sup>.

٦ - اللحن أو التصحيف، وهو خطأ من القارئ المبتدئ، أو سهو أو غلط من نقله، فيرفض ولا يعد قراءة<sup>(٥)</sup>.

٧ - مازيد في قراءات بعض الصحابة كقراءة ابن عباس «يأخذ كل سفينة صالحة غصبا»<sup>(٦)</sup>. وقراءة عائشة وحفصة «حافظوا على الصلوات

(١) متأهل العرفان ٤٢١/١.

(٢) في قوله تعالى؛ ننجيك .. (يونس ٩٢). وانظر معجم القراءات ٩٢/٣.

(٣) فاطر ٢٨.

(٤) انظر ما سبق في ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٥ .

(٥) انظر أمثلة في مبحث «تيسير الرسم العثماني وتحسينه». ص ٢٧ وما بعدها.

(٦) الكهف ٧٩. وانظر معجم القراءات ٧/٤.

والصلة الوسطى صلاة العصر»<sup>(١)</sup>. فهذا لا يقرأ به، وينبغي حمله على التفسير. ويقبل على أنه خبر شرعي يصح الاحتجاج به عند من يرى ذلك وهم الحنفية دون الشافعية<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة تحكيم المعايير الثلاثة التي ذكرها ابن الجوزي صنفت القراءات حسب درجة صحتها إلى مجموعات أربع تبدأ من الأعلى درجة وهي :

- ١ - القراءات السبع.
- ٢ - القراءات الثلاث المكملة للعشر.
- ٣ - القراءات الأربع المكملة للأربع عشرة.
- ٤ - القراءات الشاذة.

وإجماع منعقد على صحة القراءات السبع، إما على سبيل التواتر أو الاشتهرار<sup>(٣)</sup>، ولذا لا مجال للشك في قبولها.

ونقل عن معظم الأصوليين والفقهاء جواز القراءة بالثلاث الزائدة على السبع<sup>(٤)</sup> حتى نفي بعضهم وجود أحد من المسلمين يحظر القراءة بها<sup>(٥)</sup>. ووصف الشيخ تاج الدين السبكي القراءات العشر بأنها «متواترة معلومة من الدين بالضرورة»<sup>(٦)</sup>.

---

(١) البقرة ٢٣٨ . وقد رويت بروايات كثيرة، انظرها في معجم القراءات ١٨٥/١ .

(٢) مناهل العرفان ١/٤١٧ ، ٤٢٣ - ٤٢٤ . وزاد بعضهم المردود، وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البة. وهذا النوع رده أحق، ومنعه أشد، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر (انظر مناهل العرفان ١/٤١٩).

(٣) لطائف الإشارات ١/٧٧ ، ومناهل العرفان ١/٤٣٣ .

(٤) لطائف الإشارات ١/٧٥ ، ١٧٠ .

(٥) السابق ١/٧٦ . وانظر منجد المقربين ٢٧ .

(٦) السابق ١/٧٦ ، ومناهل العرفان ١/٤٣٣ .

أما القراءات الأربع الرائدة على العشر فقد وصفوها بالشذوذ<sup>(١)</sup>. وهذا غريب لأنه يسلب أي حكمة من إفراد العلماء أصحابها بالذكر. كما أنه يتنافي مع وضع كثير من العلماء القراء الأربع عشر في قائمة واحدة ووصفهم بأنهم «الأئمة القراء»، كما فعل القسطلاني في «لطائف الإشارات»<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك ينبغي أن نلتفت نظر القارئ إلى الملاحظات الثلاث التالية:

١— أن تواتر أو شهرة القراءات السبع لا يعني تواتر أو شهرة كل ما روی عن القراء السبعة. فلكل منهم قراءات لم تبلغ حد التواتر أو الشهرة ولذا عدت من الشاذ<sup>(٣)</sup>.

ويمكن فهم ذلك على أحد تفسيرين:

أ— أن يكون القاريء السبعي قد نقل القراءة أو حدث بها فنسبت إليه، ولكنها لم تكن ضمن اختياراته في قراءته. وقد فرق صاحب «غith النفع» بين التحديث بالقراءة الذي يفيد ثبوتها، ولا يبيح القراءة بها، والقراءة بها التي تفيد ثبوتها، وإباحة القراءة بها<sup>(٤)</sup>.

ب— أن يكون الشاذ قد فقد شرط التواتر بسبب ضعف الرواية، أو

(١) لطائف الإشارات ١/٧٧، ١٧٠، ٩٥/١، ومقدمة معجم القراءات ٩٥/١. وقيل بتواتر بعضها، وقيل بصحتها (مناهل العرفان ٤٥٩/١).

(٢) ٩٣/١. وانظر نقل ابن الجزري (٣٧/١) جواز القراءة والإقراء بقراءة أبي جعفر وشيبة والأعشش وغيرهم.

(٣) تاريخ القرآن لعبد الصبور ١١. وقد أورد إحصائية بعد ما نسب من شواذ في المحتسب لكل قاريء سبعي (ص ١٢).

(٤) غيث النفع ٣٥٤/.

أن تكون القراءة قد رويت عن غير الرواين اللذين اختارهما ابن مجاهد لكل قاريء.

٢ - أن بعض العلماء كان يقيم اختياره للقراءة على معايير أخرى مثل قوة ووجه العربية، ومثل اجتماع العامة عليه (أهل المدينة والكوفة، أو أهل الحرمين، أو نافع وعاصم مثلاً) <sup>(١)</sup>.

٣ - أن من العلماء من رفض مبدأ المفاضلة بين القراءات على أساس تصنيف أصحابها إلى سبعة أو عشرة.. الخ، وأقام مفاضلته على تقييم كل قراءة على حدة طبقاً للمعايير الثلاثة السابق ذكرها. وهذا يقول القسطلاني «إذا اجتمعت هذه الثلاثة في قراءة وجب قبولها، وحرم ردها، سواء كانت عن السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. نص على ذلك الداني والمهدوي ومكي وأبوشامة وغيرهم من يطول ذكره» <sup>(٢)</sup>. ويقول ابن الجزري في النشر: «وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين من هو أعلى مرتبة وأجل قدرأً من هؤلاء السبعة» <sup>(٣)</sup>.

وقد أطّرَج جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة فقد ترك أبو حاتم وغيره: حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين غيرهم. وزاد الطبرى فوق السبعة نحو خمسة عشر رجلاً. وكذلك فعل أبو عبيد. وبعض المؤلفين في القراءات يقدم يعقوب الحضرمي (من القراء الثلاثة) شيخ حمزة. وبعضهم كان يفضل قراءة أبي جعفر (من القراء

---

(١) البرهان ٣٣١/١، والإتقان ٨١/١.

(٢) اللطائف ٦٨/١، ٦٩، وهو نفسه كلام ابن الجزري ٩/١.

(٣) النشر ٣٧/١، وقد نقله عن مكي بن أبي طالب في الإبابة ٦.

الثلاثة) أو شبيه (خارج القراء الأربع عشر). وبعضهم حصر القراء في خمسة أو في ثانية<sup>(١)</sup>.

وقد تضمنت القائمة التي سبق أن ذكرناها لقراء الأمصار قراء متبعي الدرجة. ونزيد الأمر تفصيلاً فنذكر أشهر راوين لكل قارئ من القراء الأربع عشر<sup>(٢)</sup>.

#### رواية القراء السبعة:

##### ١ - راويا قراءة نافع:

أ - أبو موسى عيسى بن مينا المدني الملقب بقالون (لجودة قراءته) توفي عام ٢٠٥ أو ٢٢٠ هـ.

ب - أبو سعيد عثمان بن سعيد الملقب بوَرْش (لشدة بياضه، أو لحسن قراءته). انفرد برياسة الإقراء في مصر، مع حسن صوت وجودة قراءة. توفي عام ١٩٧ هـ.

##### ٢ - راويا قراءة ابن كثير:

أ - أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله البَزَّي. توفي عام ٢٠٥ هـ.

ب - أبو عمر محمد بن عبد الرحمن الملقب بِقُبَيل (لشدة تهذيبه). توفي عام ٢٩١ هـ.

##### ٣ - راويا قراءة أبي عمرو:

أ - أبو عمر حفص بن عمر الدُّوري. توفي عام ٢٤٦ هـ.

ب - أبو شعيب صالح بن زياد السُّوسي. توفي عام ٢٦١ هـ.

(١) انظر بوجه أخص: البرهان ٣٢٩/١، والإنقان ٨٠/١، والنشر ٣٧/١.

(٢) أما أسانيد هذه القراءات فيمكن الرجوع إليها في كتاب النشر لابن الجوزي أو لطائف الإشارات للقططاني.

٤—راويا قراءة ابن عامر:

- أ—أبو الوليد هشام بن عمار بن أبان. توفي عام ٢٤٥ هـ.
- ب—أبو عمرو عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان. توفي عام ٢٤٢ هـ.

٥—راويا قراءة عاصم:

- أ—أبو بكر شعبة بن عياش. توفي عام ١٩٣ هـ.
- ب—أبو عمر (أو أبو داود) حفص بن سليمان بن المغيرة. توفي عام ١٨٠ هـ.

٦—راويا قراءة الكسائي:

- أ—أبو الحارث الليث بن خالد المروزي. توفي عام ٢٤٠ هـ.
- ب—أبو عمر الدوري (راوي أبي عمرو).

٧—راويا قراءة حمزة:

- أ—أبو محمد خلف بن هشام البزار. توفي عام ٢٢٩ هـ.
- ب—أبو عيسى خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي. توفي عام ٢٢٠ هـ.

رواية القراء الثلاثة:

٨—راويا قراءة أبي جعفر:

- أ—عيسى بن وَرْدان المدنى. توفي في حدود ١٦٠ هـ.
- ب—الربيع سليمان بن مسلم بن جماز. توفي عام ١٧٠ هـ.

٩—راويا قراءة يعقوب:

- أ—أبو عبدالله بن المتوكل المعروف برويس. توفي عام ٢٣٨ هـ.

ب - أبو الحسن روح بن عبد المؤمن بن عبدة بن مسلم. توفي عام ٢٣٤ أو ٢٣٥ هـ.

١٠ - راويا قراءة خلف:

أ - إسحاق بن إبراهيم المروزي. توفي عام ٢٨٦ هـ.

ب - أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم البغدادي. توفي عام ٢٩٢ هـ.

رواية القراء الأربعة:

١١ - راويا قراءة ابن حميسن:

أ - البزبي (راوي ابن كثير).

ب - أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ. توفي عام ٣٢٨ هـ.

١٢ - راويا قراءة اليزيدي:

أ - سليمان بن أيوب بن الحكم. توفي عام ٢٣٥ هـ.

ب - أحمد بن فرح. توفي عام ٣٠٣ هـ.

١٣ - راويا قراءة الحسن البصري:

أ - أبو نعيم شجاع بن أبي نصر البلخي. توفي عام ١٩٠ هـ.

ب - الدوربي (راوي أبي عمرو).

١٤ - راويا قراءة الأعمش:

أ - أبو العباس الحسن بن سعيد الطوعي. توفي عام ٣٧١ هـ.

ب - أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذى. توفي عام ٣٨٨ هـ<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر لطائف الإشارات ١٠٠/١ وما بعدها.

واستمرت هذه الروايات معمولاً بها في كل عصر إلى أن فاقت ثلاث منها على غيرها وهي:

- ١ - رواية الدوري عن أبي عمرو البصري.
- ٢ - رواية ورش عن نافع المدني.
- ٣ - رواية حفص عن عاصم الكوفي.

ثم نشرت رواية حفص حتى تغلبت على رواية الدوري. وتغلبت أيضاً على رواية ورش إلا في المغرب. وبذل صارت رواية حفص عن عاصم الكوفي هي القراءة المشهورة المستعملة في أيامنا في أكثر بلاد العالم الإسلامي<sup>(١)</sup>.

### ٣ - موقف اللغويين من القراءات القرآنية:

إذا كان الفقهاء والقراء والأصوليون قد قسموا القراءات إلى مجموعات حسب درجات صحتها، ووضعوا لقبوها شرطاً ثلاثة هي موافقتها لأحد المصاحف العثمانية، وموافقتها العربية، وصحة سندها، فقد حكمتهم في ذلك نظرتهم إلى القراءة باعتبارها وسيلة تبعد وقرب إلى الله، وشرطأً لصحة الصلاة ومصدراً للتشريع والتحريم والتحليل.

أما اللغويون فقد كان لهم من القراءات موقف مختلف، حكمتهم فيه نظرتهم إلى القراءة باعتبارها أحد المصادر اللغوية المعتمدة، وشاهدوا لا يمكن التعامل معه بمعزل عن سائر الشواهد اللغوية. ويتبين هذا الموقف في تطبيق شروط الشاهد اللغوي على القراءة، فما استوفتها قبلوه، وما أخل بها

---

(١) مقدمة محقق كتاب المصاحف ٩.

استبعدوه. ومن هنا كان شرط اللغويين الوحيد لقبول القراءة هو «صحة روايتها عن القارئ العدل حتى لو كان فرداً». ويستوي عندهم أن تروي القراءة بطريق التواتر أو بطريق الأحاداد. كما يستوي عندهم أن تكون القراءة سبعية أو عشرية أو شاذة. بل إن ابن جنی في مقدمة كتابه «المحتسب» كان حريصاً على وضع القراءة الشاذة على قدم المساواة مع القراءة السبعية، وذلك في قوله: «إنه نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالرواية من أماته وورائه. ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه».

وإذا كان اللغويون لم يشترطوا النقل المتواتر في أي نص لغوي، فلماذا يشترطونه في القراءة القرآنية، وإذا كانوا قد سمحوا بقبول نقل الواحد إذا كان الناقل عدلاً رجلاً كان أو امرأة، حراً كان أو عبداً<sup>(۱)</sup>، فلماذا يوضع قيد على قبول القراءة دون غيرها؟

بل أكثر من هذا يصرح السيوطى بأن العدالة وإن كانت شرطاً في الراوى فهي ليست شرطاً في العربي الذي يتحجج به.

ولى جانب عدم اشتراط اللغوي التواتر لقبول القراءة لم يشترط اتصال سندها ورفعه إلى الرسول، لأنه يقبل الأخبار المرسلة التي انقطع سندتها، بل وقد يقبل نقل أهل الأهواء والبدع. ولللغوي بهذا يتعامل مع القراءة على أنها نص عربي رواه أو قرأ به من يوثق بعربيته على فرض التشكيك في صحة نسبته إلى الرسول ﷺ. وبهذا يدخل في باب الاحتجاج اللغوي كثير مما رفضه القراء والأصوليون.

وأما شرط موافقة القراء لأحد المصاحف العثمانية فلا يتقييد به

---

(۱) الاقتراح للسيوطى ص ۸۶.

اللغوي كذلك، لأن ما خالف هذه المصاحف يعد - في أدنى درجاته - من باب التفسير أو الشرح اللغوي الذي كان يسجله بعض الصحابة القراء، أو بعض المتكلمين عنهم، أو من قبيل استخدام الرخصة التي منها الرسول ﷺ إياهم في مطلع عصر الرسالة، وهي قراءة القرآن على سبعة أحرف، أو سبعة أوجه. وإذا كانت الرخصة قد زالت بزوال سببها، وبجمع المسلمين على المصحف الإمام فإن آثارها وما نتج عنها لا يمكن محوه من ذاكرة التاريخ بجرة قلم، ولا يصح تجاهله، لا باعتباره قرآنًا، وإنما باعتباره كلامًا عربيًّا فصيحًا. وإذا كان يُحظر التعبد بمثل هذا النوع من النصوص أو تمنع قراءته في الصلاة فهناك مجالات أخرى لروايته والاستشهاد به. يقول القسطلاني: «إن من قرأ بالشواذ غير معتقد أنها قرآن، ولا يوهم أحداً بذلك، بل لما فيها من الأحكام الشرعية - عند من يحتاج بها - أو الأحكام الأدبية فلا كلام في جواز قرائتها»<sup>(١)</sup> ويقول الزركشي في البرهان نقلًا عن ابن الصلاح: «وقد نُقل ما لم يستوف الشروط لفوائد، منها ما يتعلق بعلم العربية لا القراءة بها»<sup>(٢)</sup>. وبهذا ينبغي أن تدخل القراءات بجميع درجاتها ومستوياتها في الدرس اللغوي والأدبي دون حرج.

وتحتختلف نظرة اللغوي إلى القراءة - بعد ثبوتها - باختلاف الغاية من الاستشهاد بها. فإذا كانت الغاية إثبات وجود اللفظ في اللغة، أو ضبط نطقه، أو ذكر معناه، أو غير ذلك من النتائج الجزئية التي لا تعمم حكمًا، ولا تبني قاعدة - إذا كانت الغاية كذلك فلا يهم كثرة النماذج اللغوية الموقعة لهذه القراءة أو قلتها، كما لا يهم أن تكون القراءة هي النموذج الوحيد المنقول إلينا.

(١) لطائف الإشارات ١/٧٣.

(٢) البرهان ١/٣٣٢.

أما إذا كانت الغاية من الاستشهاد وضع قاعدة، أو استنباط حكم، أو تقنين نظر - فإن اللغوي حينئذ يضع القراءة إلى جانب غيرها من النصوص ويوازن بينها، وبيني القاعدة على الكثير الشائع، سواء كان مقرروءاً به أو غير مقرروء، وسواء كانت القراءة متواترة أو غير متواترة. والقراءة حينئذ لا تتميز بوضع خاص، ولا تنفرد بنظرة معينة بالنسبة لسائر المصادر اللغوية. وكيف تتميز النص القرآني نفسه لم يعط في مجال التعقيد أي ميزة على غيره من النصوص؟.

لم يتوقف اللغويون عند بعض الآيات القرآنية فحفظوها ولم يقيسوا عليها لأنها لم تأت طبقاً للنموذج الشائع في لغة العرب؟ من ما يسمح بأن يقيس المتكلم على الآية القرآنية: «إِنَّ هَذَا لِسَاحِرٍ»<sup>(١)</sup> فيرفع الطرفين بعد «إن»؟ مهما قال النحويون في تأويلها، واجتهدوا في تحريرها؟ مع أنها قراءة خمسة من السبعة هم: نافع وابن عامر وحزنة وعاصم (من روایة أبي بكر عنه) والكسائي، وقراءة أبي جعفر وخلف ويعقوب - وهم الثلاثة الذين أضفوا إلى السبعة، وقراءة الحسن والأعمش من الأربعة الذين أضفوا إلى العشرة<sup>(٢)</sup>؟.

فالقراءة إذن في مجال التقنين والتعقيد لا تعزل عن بقية المصادر اللغوية، وهي القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف<sup>(٣)</sup>، والشعر الجاهلي والإسلامي، ومأثور النثر من حكم وأمثال ونحو.. وهي توضع

(١) طه ٦٣.

(٢) معجم القراءات ٨٩/٤.

(٣) في تحرير القول عن موقف النحويين من الحديث، انظر كتابنا: البحث اللغوي عند العرب / وما بعدها. ٣٤

مع غيرها في سلة واحدة ويصنف الجميع ويحمل، ثم توضع القاعدة على ما تثبت كثرته، ويتصفح شيوخه واطراده، لأنه هو الذي يمثل اللغة المشتركة أو القاعدة التي يجب محاكاتها والالتزام بها.

وبهذا يمكننا أن نفهم - على ضوء هذا التوضيح - وجهة نظر النحويين الذين استبعدوا في مجال الاستشهاد قراءات سبعة مثل:

١ - قراءة ابن عامر: «وكذلك رُئِنَ لكثير من المشركين قتلُ أولاً دُهْمَ شركائهم»<sup>(١)</sup>. بالفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول.

٢ - قراءة حمزة: «واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام»<sup>(٢)</sup>، بالجر على عطف الظاهر على الضمير المجرور دون إعادة حرف الجر. وقد وضح أبو علي الفارسي سبب الاستبعاد، فقال: وهذا ضعيف في القياس، وقليل في الاستعمال. وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن.

٣ - قراءة معظم السبعة: «إِنَّ هَذَا لِسَاحِرَانِ» برفع الطرفين بعد إن.

كما يمكننا أن نفسر ما قد يسلو من تناقض واضطراب في موقف اللغوي حين يكون لغويًا وقارئًا في نفس الوقت. ولعل من أظهر الأمثلة على هذا حالة أبي عمرو بن العلاء الذي روى عنه قبول بعض القراءات رغم تحفظه النحويين لها، ورفض بعض القراءات رغم قراءة بعض الثقات بها.

فمن الموقف الأول قبوله قراءة حمزة: «ما أنا بصرخكم، وما أنتم

---

(١) الأنعام ١٣٧.

(٢) النساء ١.

بمُصرخيٌ<sup>(١)</sup> بكسر الياء المشددة رغم خطأ النحو لها. فهذا القبول كان بصفته قارئاً يحكم مقاييس القراءة الصحيحة، وهي صحة السندي، وموافقة رسم المصحف، وموافقة العربية ولو بوجه. ووجه موافقتها للعربية قد ذكره القراء في «معاني القرآن» حين روى أنها لغةبني يربوع<sup>(٢)</sup>.

ومن الموقف الثاني رفضه قراءة ابن مسعود والحسن وزيد بن علي وعيسى بن عمر وغيرهم: «هؤلاء بناتي هنَّ أطهَرُ لكم»<sup>(٣)</sup> فهو في رفضه هذا يحكم مقاييس النحوي الذي يبني قبوله أو رفضه على الشيوع والكثرة، وليس على مجرد السماع.

ومع هذا فنحن لا نقر اللغوين على موقفهم من القراءات في جملة أمور منها:

١ - وصفهم بعض القراءات بأنها من القبيح، أو الرديء، أو الوهم، أو الغلط.. وقد كان في إمكانهم أن يصفوها بأنها أقل فصاحة فلا تبني عليها قاعدة أو يصفوا أمثلتها بالقلة أو الندرة، أو غيرها مما لا يحقق شروط النحوي.

٢ - عدم استقرارتهم الدقيق للتراكيب النحوية التي وردت في القرآن الكريم وقراءاته، مما جعلهم يحكمون بعدم ورود الظاهرة في القرآن مع ورودها. وقد ذكر الشيخ محمد عبدالحالق عضيمة أمثلة كثيرة لذلك

(١) إبراهيم ٢٢. وانظر خزانة الأدب ٢٥٩/٢، حيث ينقل عن أبي عمرو قوله لسائله: هي جائزة أيضاً، لا تبال.

(٢) دراسات لأسلوب القرآن ٢٣/١. ولاحظ أن أبي عمرو رغم قبوله لها لم يقرأ بها لأنها ليست اللغة الفصحى.

(٣) هود ٧٨. وانظر البحر المحيط ٢٤٧/٥.

نكتفي منها بمنعهم وقوع الاستثناء المفرغ بعد الإيجاب، مع وروده في القرآن شهابي عشرة مرة منها قوله تعالى: «وَإِنَّهَا كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِينَ»<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: «لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطِي بِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

٣ - جرأتهم في رد بعض القراءات لأنها لم تثبت من طريقهم مع أنها ثابتة من طرق أخرى. ومن ذلك:

أ - إنكار أبي عمرو الضم في لفظ «العُدُوّة»<sup>(٣)</sup> وقول الأخفش: «لم نسمع من العرب إلا الكسر»، مع أن الضم مسموح، وهو قراءة معظم السبعة (من عدا ابن كثير، وأبي عمرو)<sup>(٤)</sup>.

ب - إنكار أبي عمرو قراءة: «فِيْوَمِذْ لَا يُعَذَّبْ عَذَابَهُ أَحَدْ، وَلَا يُؤْتَقْ وَثَاقَهُ أَحَدْ»<sup>(٥)</sup> بناء الفعلين للمجهول، وهي قراءة الكسائي وبعقوب. قال السخاوي: «وَإِنَّا تَوَاتِرَ الْخَبَرَ عَنْ دُونَ قَوْمٍ. وَإِنَّمَا أَنْكَرَهَا أَبُو عَمْرُو لِأَنَّهَا لَمْ تُبَلَّغْهُ»<sup>(٦)</sup>.

#### ٤ - الأهمية اللغوية والدينية للقراءات القرآنية:

لا يغيب عن البال أن القراءات القرآنية تعد كنزًا لغويًا وأدبيًا لم يكتشف بعد، وأنها بما أثارته من حوار وجدل قد أخصبت التفكير اللغوي العربي، وشحذت الهمم والعقول لمناقشتها وتحليلها والحكم عليها.

(١) البقرة ٤٥ .

(٢) يوسف ٦٦ . وانظر دراسات لأسلوب القرآن ٨/١ ، ١١ .

(٣) الأنفال ٤٢ .

(٤) معجم القراءات القرآنية ٤٥١/٢ ، ٤٥١/٢ ، ودراسات لأسلوب القرآن ٤٧/١ ، ٤٧/١ .

(٥) الفجر ٢٥ ، ٢٦ .

(٦) دراسات لأسلوب القرآن ٤٧/١ .

وهي - بالإضافة إلى هذا وذاك - يمكن أن تزود اللغوي - في فهمه وتحليله للغة العربية الفصحي وهجاتها - بمعين لا ينضب، وزاد لا ينفد. ويمكن ضرب عشرات الأمثلة للأهمية اللغوية للقراءات القرآنية، ولكننا سنكتفي بضرب الأمثلة الآتية:

- ١ - لا ينكر أحد أن القراءات القرآنية وطرق التلاوة للنص القرآني تعد المثال الحي الوحيد لكيفية نطق الفصحي قديماً وحديثاً. وكثيراً ما يحتاج اللغوي عند وصف صوت من الأصوات، أو ظاهرة صوتية معينة إلى الاستشهاد بنطق المجيدين من قراء القرآن. أما باقي المصادر اللغوية فقد وردتنا مكتوبة لا منطوقة، وكثيراً ما أوقعت طريقة الكتابة العربية في التصحيف والتحريف.
- ٢ - تشتمل القراءات القرآنية على شواهد لغوية سكتت المعاجم عن ذكرها. وربما كان أظهر مثال لذلك قوله تعالى: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ»<sup>(١)</sup>. من الفعل الثلاثي المخفف. ولكن يشيع في لغة العصر الحديث استخدام الكلمة «التقدير» من الفعل المضعف «قدّ». بمعنى عظيم أو احترم. ونفتشر في المعاجم القديمة عن سند لهذا الاستعمال فلا نجد، وتسعفنا القراءات القرآنية فتمدنا بالشاهد، وهو قراءة الحسن وعيسي الثقفي: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ..»<sup>(٢)</sup>. قال في الكشاف: وقرئ بالتشديد على معنى: وما عَظَمُوه كنه تعظيمه.
- ٣ - يمكن اتخاذ القراءات القرآنية مرتكزاً لتحقيق التيسير، ودليلًا لتصحيح

(١) الأنعام .٩١  
(٢) البحر المحيط ٤/١٧٧.

كثير من العبارات والاستعارات الشائعة الآن، والتي يتحرج المتشددون عن استعمالها. ومن أمثلة ذلك:

أ - ضبط الفعل «تَوَقَّى» بالبناء للمعلوم. ورغم أن الاستعمال الفصيح هو بناؤه للمجهول فقد جاءت القراءة القرآنية مصححة للنطق الحديث. وذلك في قوله تعالى: «وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرْدَى إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ»<sup>(١)</sup> فقد قرأها الأعمش وغيره: «ومنكم من يتوقّى»<sup>(٢)</sup>. قال النحاس في «إعراب القرآن»<sup>(٣)</sup>، وأبو حيان في «البحر المحيط»<sup>(٤)</sup>: أي يستوفي أجله.

ب - تخفييف كلمات مثل «أمسيّة»، و«أضحىّة»، و«أمنيّة». وقد ورد التخفييف في بعض القراءات مثل: «تلك أمانٰيْهِمْ»<sup>(٥)</sup>، «ليس بآمانٰيْكُمْ ولا آمانٰيْ أهل الكتاب»<sup>(٦)</sup>، «إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيّته»<sup>(٧)</sup>.

ج - يمثل باب العدد مشكلة كبيرة للمتعلم العربي، فتارة يخالف (تذكيراً وتائيناً) وتارة يوافق، وغير ذلك. وتزداد المشكلة بالنسبة للعدد من ثلاثة إلى عشرة: لأن تمييزه جمع، ولابد من رد الجمع إلى مفرده للحكم بالتذكير أو التأنيث. ويحل المشكلة أن ينصح المتalking بأن يقدم المعدود ويؤخر العدد، وحيثئذ تجوز له المطابقة

(١) الحج ٥.

(٢) معجم القراءات القرآنية ٤/١٦٦.

(٣) ٣٩٠/٢.

(٤) ٣٥٣/٦.

(٥) البقرة ١١١. والقارئون هم: أبو جعفر والحسن.

(٦) النساء ١٢٣. والقارئون هم: الحسن وشيبة وأبو جعفر والأعرج وغيرهم.

(٧) الحج ٥٢. وهي قراءة أبي جعفر.

لأنه نعم، والمخالفة لأنه عدد . وقد جاء بالوجهين قوله تعالى:  
«وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً»<sup>(١)</sup> حيث قريء كذلك «وكنتم أزواجاً  
ثلاثاً»<sup>(٢)</sup>.

د - يشيع في لغة العصر الحديث استعمال «كلاً» مع المثنى المؤنث  
المجازي التأنيث مثل: «كلا الدولتين»، و«كلا الصحفيتين»..

وقد جاءت القراءة القرآنية لتصح هذا الاستعمال، وذلك في  
قوله تعالى: «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ إِنْتَ أَكْلُهَا»<sup>(٣)</sup> ، فقد قرأها ابن  
مسعود: «كلا الجنتين آتت أكلها» قال في البحر<sup>(٤)</sup>: «أي  
بصيغة التذكير، لأن تأنيث الجنتين مجازي» .

هـ - تذكر كتب النحو أن من مواضع كسرة همزة «إن» وقوعها مفعولاً  
للقول ولكن كثيراً من المحدثين يفتحونها الآن. وقد جاء الفتح  
في بعض القراءات مثل قراءة المطوعي: «ولئن قلتم أنكم  
مبعوثون من بعد الموت...»<sup>(٥)</sup> . قال في البحر: <sup>(٦)</sup> «لأن قلت في  
معنى: ذكرت». ويجوز أن يكون على تقدير حرف الجر. وحذف  
حرف الجر قياسي مع أن.

٤ - من الممكن ضم القراءات القرآنية المتواترة والشائدة، وإعادة

---

(١) الواقعة .٧.

(٢) مختصر البديع لابن خالويه / ١٥.

(٣) الكهف .٣٣.

(٤) ١٢٤/٦ .

(٥) هود .٧.

(٦) ٢٠٥/٥ .

الدراسة لبعض الأبواب الصرفية المضطربة، مثل أبواب الفعل الثلاثي المجرد. فمن المعروف أن أبواب هذا الفعل تتوزع بين الكسر والفتح والضم في كل من الماضي والمضارع دون ضابط صارم. وأكثر الأبواب شيئاً في اللغة العربية ما كان بفتح العين في الماضي وضمها أو كسرها في المضارع (طبقاً لقاعدة المخالفة). ولكن المتحدث يقف حائراً - إن لم يرجع إلى المعجم - في كثير من الأحيان هل يخالف إلى الكسر؟ أو الضم؟.

ويوجد في أمثلة القراءات القرآنية ما يسمح بفتح باب الاختيار في حركة المخالفة فنكسر أو نضم حسب ما شاع على السنة المتفقين وبقبه العرف اللغوي الحديث. وقد وردت الأفعال الآتية - وغيرها كثير - بالكسر والضم:

- \* **﴿ثُمَّ لَنْسَفْنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفَاهُ﴾**<sup>(١)</sup>.
- \* **﴿فَكَتَمَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكُصُونَ﴾**<sup>(٢)</sup>.
- \* **﴿وَيَوْمَ يَخْشِرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**<sup>(٣)</sup>.
- \* **﴿وَيَوْمَ نَحْشِرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾**<sup>(٤)</sup> (على قراءة البناء للمعلوم).
- \* **﴿لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾**<sup>(٥)</sup>.
- \* **﴿فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّهُمْ﴾**<sup>(٦)</sup>.
- \* **﴿عَالَمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾**<sup>(٧)</sup>.

(١) طه ٩٧، ومعجم القراءات ١١١/٤.

(٢) المؤمنون ٦٦، ومعجم القراءات ٢١٧/٤.

(٣) الفرقان ١٧، ومعجم القراءات ٢٧٧/٤.

(٤) فصلت ١٩، ومعجم القراءات ٩٦/٦.

(٥) الفرقان ٦٧، ومعجم القراءات ٢٩٤/٤.

(٦) القصص ١٩، ومعجم القراءات ١٢/٥.

(٧) سباء ٣، ومعجم القراءات ١٤٢/٥.

- \* «وَلَا ضَرَبَ ابْنَ مَرِيمَ مُثْلًا إِذَا قَوْمَكَ مِنْهُ يَصْدُونَ»<sup>(١)</sup>.
- \* «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّا يَنْكِثُ عَلَى نَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>.
- \* «فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسِدُونَا»<sup>(٣)</sup>.
- \* «وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ»<sup>(٤)</sup>.
- \* «سَنُفَرِغُ لَكُمْ أَيْهَا الْقَلَانِ»<sup>(٥)</sup>.

ومن اللافت للنظر أن يكون هذا هو رأي أبي زيد الأنصاري (توفي ٢١٥هـ)، الذي عرف عنه قوله: «إذا جاوزت المشاهير من الأفعال.. فأنت في المستقبل بالخيار إن شئت قلت يفعل بضم العين، وإن شئت قلت يفعل بالكسر»<sup>(٦)</sup>.

٥ - بعض القراءات غير المشهورة لا تقل قبولا - من ناحية المعنى - عن المشهورة ومن أمثلة ذلك:

أ - قرأ الزهري: «أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ»<sup>(٧)</sup>، وقد عقب ابن جنی على هذه القراءة بقوله: «ينبغي أن يكون قرأ بذلك لأن فعلت أبلغ من فعلت فيكون على: أَوْفُوا بِعَهْدِكِي أَبَالَغَ فِي تَوْفِيْكُمْ؛ كَأَنَّهُ ضَمَانٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَعْطِيَ الْكَثِيرَ فِي مُقَابِلِ الْقَلِيلِ»<sup>(٨)</sup>.

(١) الزخرف ٥٧، ومعجم القراءات ١٢١/٦.

(٢) الفتح ١٠، ومعجم القراءات ٢٠٣/٦.

(٣) الفتح ١٥، ومعجم القراءات ٢٠٦/٦.

(٤) الحجرات ١١، ومعجم القراءات ٢٢٣/٦.

(٥) الرحمن ٣١، ومعجم القراءات ٥١/٧.

(٦) نقل ذلك عنه القิروز أبادي في مقدمة قاموسه، وأقره عليه.

(٧) بدلاً من «أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ» (البقرة ٤٠).

(٨) المحتسب ٨١/١.

ب – قرأ ابن مسعود: «كَلِمَارْدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ رُكُسُوا فِيهَا»<sup>(١)</sup>. قال ابن جنى: «وجه ذلك أنه شيء بعد شيء، وذلك لأنهم جماعة. فلما كانوا كذلك وقع منه شيء بعد شيء فطال، فلما قي به لفظ التكثير والتكرير كقوله تعالى: «وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابُ»<sup>(٢)</sup>.

ج – قريء: «لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قُولًا»<sup>(٣)</sup>، والمشهور «يَفْقَهُونَ». قال الطبرى: والصواب عندي من القول في ذلك أنها قراءتان مستفيضتان، في قراءة الأمصار غير دافعة إحداها الأخرى. وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يفهون قول غيرهم، وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك لا يكادون يفهون غيرهم لعنة بسائهم أو بمنطقهم»<sup>(٤)</sup>.

٦ – من العلماء من أقام تعدد القراءات مقام تعدد الآيات، وتعدد المعاني واعتبر ذلك ضرورة من ضروب البلاغة، يبتدئ من مجال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز<sup>(٥)</sup>.

ولا تقف أهمية القراءات عند قيمتها اللغوية، بل تضيف إلى ذلك قيمتها الدينية الكبيرة، وعلى سبيل المثال:

١ – تحوى القراءات القرآنية كثيراً من أحكام الإلقاء والتلاوة، كالوقوف على الناء المربوطة، وحذف الحركة أو تسهيلاها، وأحكام الممزة، والوقف

---

(١) بدلًا من «أركسوا فيها» (النساء ٩١).

(٢) المحتسب ١٩٤/١.

(٣) الكهف ٩٣. وهي قراءة حزء والكسائي وخلف والأعمش وغيرهم (معجم القراءات ١٢/٤).

(٤) تفسير الطبرى ١٤/١٦.

(٥) مناهل العرفان ١٤٢/١.

والإمسالة، والإدغام، والإبدال، والمد، والقصر، والتخفيم، والترقيق، وغيرها، مما يدخل تحت «علم التجويد».

٢ - بعض القراءات يعد من باب التفسير اللغوي لبعض الألفاظ، مما يكون له الأفضلية على غيره من التفسيرات، أو يلقي ضوءاً على المعنى المراد من اللفظ، ومن ذلك:

أ - **﴿إِنَّ أَرْتَنِي أَعْصُرُ حَمَراً﴾**<sup>(١)</sup>، قرأها ابن مسعود وأبي: «أعصر عنباً».

ب - **﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرُنَ مِنْهُ﴾**<sup>(٢)</sup>، قرأها ابن مسعود: «يتصدعن منه».

ج - **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾**<sup>(٣)</sup>، قرأها أبي وعلى وعائشة وغيرهم: «حطب جهنم».

د - **﴿حَتَّىٰ لَسْتَأْنُسُوا وَنُسْلِمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾**<sup>(٤)</sup>، قرأها أبي وابن عباس وابن مسعود وغيرهم: «حتى تستأندوا».

ه - **﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾**<sup>(٥)</sup>، قرأها ابن مسعود: «كالصوف المنفوش».

٣ - بعض القراءات قد يبني عليه حكم فقهي، أو يؤدي إلى استنباط هذا الحكم.. ومن ذلك:

أ - قوله تعالى في سورة المائدة: **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقةُ فَاقْطُعُوا﴾**

(١) يوسف ٣٦ . والقراءة في معجم القراءات ١٦٩/٣ .

(٢) مريم ٩٠ ، ومعجم القراءات ٦١/٤ .

(٣) الأنبياء ٩٨ ، ومعجم القراءات ١٥٢/٤ .

(٤) النور ٢٧ ، ومعجم القراءات ٢٤٦/٤ .

(٥) القارعة ٥ ، ومعجم القراءات ٢٢١/٨ .

**أَيْدِيهِمَا**<sup>(١)</sup>. وقد جاءت قراءة ابن مسعود لتحديد اليد التي يبدأ بقطعها وهي : «فاقتطعوا أيمانهم»<sup>(٢)</sup>.

ب - قوله تعالى في نفس السورة: **«فَكَفَرُتُهُ وَلَطَعَامُ عَشَرَةَ مَسْكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيْكُمْ أَوْ كَسْوَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ . فَنَّ لَرَ يَجِدُ فَصَيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**<sup>(٣)</sup> وقد قرأ ابن مسعود وأبي وغيرهما: «فَصَيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَابِعَاتٍ»<sup>(٤)</sup>، فدللت القراءة على شرط التتابع.

ج - قوله تعالى: **«يَنْهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُسْطُمُوا إِلَى الْصَّلَوةِ فَأَغْسِلُوا وُجُوهَهُمْ وَأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَرَاقِيقِ وَأَسْحَوْا بُرُءَوِيْسِكُرْ وَأَرْجُلَهُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**<sup>(٥)</sup>. فقراءة حفص بنصب «أرجلكم»، عطفاً على الوجه والأيدي. وبذلك تكون الأرجل داخلة في الأعضاء المغسلة. أما قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحزة وغيرهم فإنها بكسر «أرجلكم»<sup>(٦)</sup>، بالاعطف على «الرعوس»، فتكون الأرجل داخلة في المسح مع الرأس. وقد قال الفقهاء إن القرآن نزل بالمسح على الرأس والرجل أولاً، ثم عادت السنة إلى الغسل. ومنهم من قال إن المسح - في قراءة الجر - للخفت، والغسل - في قراءة النصب - لغيره<sup>(٧)</sup>.

(١) المائدة . ٣٨

(٢) معجم القراءات . ٢٠٨ / ٢

(٣) المائدة . ٨٩

(٤) معجم القراءات . ٢٣٦ / ٢

(٥) المائدة . ٦

(٦) معجم القراءات . ١٩٥ / ٢

(٧) تاريخ القرآن للكردي / ٢١١ ، ومناهل العرفان ١٤١ / ١

د - قوله تعالى : « وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةً ، وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلٍّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا الْسُّدُسُ »<sup>(١)</sup> محصور على جهة الأم وحدها . وقد جاءت قراءة سعد بن أبي وقاص : « وله أخ أو أخت من أم » ، وقراءة أبي « من الأم »<sup>(٢)</sup> لتبين هذا الحكم المجمع عليه ، وهو أن المراد بالإخوة هنا الإخوة لأم ، دون الأشقاء ، ودون من كانوا لأب<sup>(٣)</sup> .

هـ - وجاءت قراءة : « وَلَا تَقْرِبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرُونَ » مع « حَتَّى يَطْهَرُونَ »<sup>(٤)</sup> لت vind الجمجم بين الحكمين المختلفين . فالحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقضاء الحيض ، وتطهر بالاغتسال<sup>(٥)</sup> . فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قربان النساء . وهو مذهب الشافعي ومن وافقه<sup>(٦)</sup> .

٤ - كثير من القراءات يكمل بعضها بعضاً ، أو يفسر بعضها بعضاً . فكما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، فكذلك القراءات يفسر بعضها بعضاً ، ويفسر بعضها بعض القرآن . ونضرب لذلك الأمثلة القليلة الآتية :

أ - يقول تعالى : « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ أَيْتَ مُحَمَّدَ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَبِّهِتْ . فَإِمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَسْبِهُ مِنْهُ أَبْيَغَاءُ الْفِتْنَةِ وَأَبْيَغَاءَ تَأْوِيلِهِ . وَمَا يَعْلَمُ

(١) النساء . ١٢ .

(٢) معجم القراءات ١١٦/٢ .

(٣) تاريخ القرآن للكردي / ٩١ ، ٢١١ ، ومناهل العرفان ١٤٠/١ .

(٤) البقرة . ٢٢٢ .

(٥) تاريخ القرآن للكردي / ٩١ ، ٢١١ .

(٦) مناهل العرفان ١٤١/١ .

تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِهِ  
رَبِّنَا<sup>(١)</sup>.

فقد اختلف المفسرون في معنى الآية، فمنهم من قال إن الذي يعلم تأويله: الله والراسخون في العلم، وبذلك عطفوا «الراسخون» على لفظ الجملة. ومنهم من قال إن الذي يعلم تأويله هو الله فقط، ثم استأنف قائلاً: والراسخون في العلم يقولون آمنا به. والرأي الثاني أرجح وأوضح، ولهذا جاءت قراءة أبي وابن عباس وغيرهما: «وما يعلم تأويله إلا الله». ويقول الراسخون في العلم... - جاءت قراءتهم مرحة أن المراد هو المعنى الثاني لا الأول.

ب - يقول تعالى متتحدثاً عن فئة من اليهود: ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، وَآتَيْنَاهُمْ غَيْرَ مُسْمَعٍ، وَرَءَى نَا لَيْلًا بِالْأَسْتِهْنَمْ وَطَعَنَ فِي الدِّينِ<sup>(٢)</sup>﴾. فكانوا يسكنون على «راعنَا» لتزعمهم أنهم ي يريدون «الرعاية» مع أن قصدهم «الرعونة». ولهذا جاءت قراءة الحسن وابن حيمصن كاشفة نية اليهود حينما نوشت كلمة «راعنَا»<sup>(٣)</sup>. وهذا واضح من قول بقية الآية: ﴿ لِيَا بِالْأَسْتِهْنَمْ وَطَعَنَ فِي الدِّينِ<sup>(٤)</sup>﴾.

ج - قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلِبَ<sup>(٥)</sup>﴾، وهناك قراءة سبعية:

(١) آل عمران ٧.

(٢) معجم القراءات ٧/٢.

(٣) النساء ٤٦.

(٤) معجم القراءات ١٣٨/٢.

(٥) آل عمران ١٦١.

«وما كان لنبي أن يُفْلِّ»<sup>(١)</sup> - بالبناء للمجهول. فمعنى الأولى: أن يخون أصحابه بأخذ شيء من الغنائم خفية. ومعنى الثانية: أن يُخَوَّن - بالبناء للمجهول. وقد جاء في الأثر أن أحد المنافقين قال يوم بدر حين فقدت قطيفة حمراء من الغنيمة: خاننا محمد وغلنا، فأكذبه الله عز وجل. ولاشك أن القراءتين يكمل بعضها ببعض.

د - قال تعالى: «فَقُولُوا يَأْبَانَا إِنَّ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدَنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا»<sup>(٢)</sup>. وحيث لم يكن الأخ سارقاً في الحقيقة، وإنما كان متهمها بالسرقة، جاءت القراءة التالية لتدل على هذا المعنى، وهي: «قالوا يا أبا إنا إن ابنك سُرِّق»<sup>(٣)</sup> بالبناء للمجهول.

(١) معجم القراءات ٢/٨١، والقارئون هم: نافع وابن عامر وحنة والكسائي من السبعة.

(٢) يوسف ٨١.

(٣) معجم القراءات ٣/١٨٦. وهي قراءة ابن عباس والكسائي وغيرهما.

## (الفصل الرابع) الغريب واللغات في القرآن

### ١ - غريب القرآن:

يقسم أبو حيان في مقدمة كتابه «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» الفاظ القرآن إلى قسمين:

أ - قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة العرب والمستعربة، كمذللول السماء والأرض.

ب - وقسم يختص بمعرفيته من له اطلاع وبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه، وسموه «غريب القرآن»<sup>(١)</sup>.

غريب القرآن إذن هو الفاظه التي يفهم معناها على عامة العرب ويحتاج فهم مذلولها إلى ثقافة لغوية وأدبية خاصة.

ويبين الراغب الأصفهاني في مقدمة كتابه «المفردات في غريب القرآن» أهمية فهم غريب القرآن، باعتباره المدخل لفهم معانيه فيقول: «تحصيل معانى مفردات الفاظ القرآن الكريم في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللّين في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه»<sup>(٢)</sup>.

. (١) ص ٢٧.

. (٢) ص ٦.

وقد ألف كثير من العلماء في «غريب القرآن» وحملت تأليفهم أسماء كثيرة أشهرها ثلاثة هي «غريب القرآن»، و«معاني القرآن»، و«مجاز القرآن». وهي أسماء بدت متراوحة أو كالمترادفة في عرف المتقدمين<sup>(١)</sup>. وظهرت الحاجة إلى هذا النوع من التأليف في وقت مبكر بعد وفاة الرسول ﷺ، واشتهد حاجتهم أكثر بعد أن امتدت الفتوح، واتسعت رقعة البلاد الإسلامية.

ولعل أول عمل تم إنجازه في هذا المجال هو تفسير ابن عباس (توفي ٦٨هـ) لنحو مائتي كلمة من غريب القرآن فيها عرف بمسائل نافع بن الأزرق. وتقول الروايات إن ابن عباس كان جالساً في فناء الكعبة، وقد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عوير: «قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به»<sup>(٢)</sup>. وأخذ ابن الأزرق يسأل ابن عباس مسائل كان يجيبه عنها ويستشهد لكل كلمة يفسرها ببيت من الشعر.

ولم يكن ابن عباس بداعاً بين الصحابة في تلمس معانٍ القرآن من الشعر فهذا عمر بن الخطاب يُسأل عن معنى قوله تعالى: «أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَحْوِفٍ»<sup>(٣)</sup> فيتوقف، ويجيب شيخ من هذيل: في لغتنا، التحوف: التنقض، ويسأله عمر فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيجيب الشيخ الهذلي: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقته: **تَحَوَّفُ الرَّحْلُ** منها تامكاً قرداً **كَمَا تَحَوَّفُ نُوَدُ النَّبْعَةِ السَّفَنُ**<sup>(٤)</sup>

(١) انظر مقدمة المحقق لتفسير غريب القرآن لابن قتيبة / صفحة ج.

(٢) الإعجاز البياني للقرآن لبنت الشاطيء / ٢٦٩ .

(٣) النحل . ٤٧ .

(٤) التامك: السنام، والقرد: الذي تلبّد وبره أو تساقط، والسفن: الحديدة التي تُربّد بها القيسى.

فيقول عمر: أهـا الناس، عـلـيـكـم بـدـيـوـانـكـم لـا تـضـلـوا.. شـعـرـ الجـاهـلـيـة، فـإـنـ فـيـهـ تـفـسـيرـ كـتـابـكـم<sup>(١)</sup>.

وجاء عن كثير من الصحابة - غير عمر وابن عباس - وكثير من التابعين تفسير القرآن والاحتجاج على غريبه بالشعر. قال الزركشي في البرهان نقلـاً عن ابن الأباري: وفيه دلالة على بطلان قول من أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر، وأنهم جعلوا الشعر أصلـاً للقرآن، وليس كذلك. وإنما أراد النحويون أن يثبتوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى يقول: «إـنـا أـنـزـلـنـاهـ قـرـآنـاً عـرـبـيـاً»، ويقول «بلسان عربي مبين». <sup>(٢)</sup>.

وتالت المؤلفات في «غريب القرآن» بعد ذلك فكان منها:

أولاً: ما حمل اسم «غريب القرآن»:

- ١ - غريب القرآن لعطاء بن أبي رباح (توفي ١١٤هـ) - مخطوط<sup>(٣)</sup>.
- ٢ - تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (توفي ٢٧٦هـ) - مطبوع. وقد رتبه على ترتيب السور في المصحف<sup>(٤)</sup>.
- ٣ - غريب القرآن، المسمى بذراة القلوب لمحمد بن عبدالعزيز السجستاني (توفي ٣٣٠هـ) - مطبوع<sup>(٥)</sup>.
- ٤ - المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف

(١) الإعجاز البصري للقرآن لبنت الشاطئ، ٢٧٤.

(٢) البرهان، ٢٩٤/١.

(٣) معجم مصنفات القرآن، ٢٩٩/٣.

(٤) تفسير غريب القرآن / صفحة بـ.

(٥) معجم مصنفات القرآن، ٣٠١/٣.

بالراغب الأصفهاني (توفي ٢٥٠٢ هـ) - مطبوع. وقد رتبه حسب الحروف المجائية<sup>(١)</sup>.

٥ - تحفة الأريب، بما في القرآن من الغريب، لأثير الدين أبي حيyan الأندلسي (توفي ٧٤٥ هـ) - مطبوع. وقد رتبه حسب الحروف المجائية بالنظر إلى الأوائل. فإذا اتفقت الأوائل اعتبر الأواخر<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: ما حمل اسم «معانى القرآن»:

- ١ - معانى القرآن للفراء، يحيى بن زياد النحوي (توفي ٢٠٧ هـ) - مطبوع.
- ٢ - معانى القرآن للأخفش، سعيد بن مسعدة (توفي ٢١٥ هـ) - مطبوع.
- ٣ - معانى القرآن للنحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري (توفي ٣٣٨ هـ) - مخطوط<sup>(٣)</sup>، وقد ثنى إلى علمنا أنه طبع مؤخراً.

ثالثاً: ما حمل اسم «مجاز القرآن»:

يدخل تحت هذا الصنف: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (توفي ٢١٠ هـ) - مطبوع. وقد عنى بالمجاز «الطريق الذي يسلكه القرآن في تعبيراته». وكان يستعمل عند تفسيره للايات الكلمات: «مجازه كذا»، «تفسيره كذا»، «معناه كذا»، «غريبه»، «تأويله».. على أن معانيها واحدة أو تكاد<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المفردات / ٤.

(٢) تحفة الأريب / ٧.

(٣) معجم مصنفات القرآن ٢١٧/٤، ٢١٨.

(٤) مجاز القرآن / ١٨، ١٩ من مقدمة المحقق.

ويحتاج المعرض لبيان «غريب القرآن» - كما يقول الزركشي في البرهان - «إلى معرفة علم اللغة: اسمًا وفعلًا وحرفاً. فالحرف لقلتها تكلم النحاة على معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم. وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة»<sup>(١)</sup>.

ولا يستغني المفسر للقرآن عن معرفة هذا الفن، ولذا يقول مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب»<sup>(٢)</sup>. ويحذر الزركشي من خاطر التسريع في تدبر معاني الألفاظ، الذي يوقع في الخطأ، كما وقع جماعة من الكبار، فقد روى الخطابي عن أبي العالية أنه سُئل عن معنى قوله تعالى: «أَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ»<sup>(٣)</sup>، فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته، ولا يدرى عن شفع أو وتر. فقال الحسن: مَهْ يأبَا العالية ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم، أَلَا ترى قوله «عَنْ صَلَاتِهِمْ»<sup>(٤)</sup>؟ ووقع ابن قتيبة في خطأ مماثل حين فسر «يعشو» في قوله تعالى: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ»<sup>(٥)</sup> بأنه من عشا يعشوا إذا نظر. وقد غلطوه في ذلك، وإنما معناه: يُعرض. قالوا: وإنما غلط، لأنَّه لم يفرق بين عَشَوْتُ إلى الشيء، وعَشَوْتُ عنه.

وقد كان كثير من السلف يتوقفون في تفسير غريب القرآن، لا جهلاً، وإنما تهيباً وحذرًا من أن يزلوا. وقد كان الأصمسي - وهو من هو في

(١) ٢٩١/١١.

(٢) ٢٩٢/١.

(٣) الماعون ٥.

(٤) البرهان ٢٩٤/١.

(٥) الزخرف ٣٦.

اللغة - لا يفسر شيئاً من غريب القرآن. وحكي أنه سئل عن قوله تعالى: «شَغَفَهَا حُبًا»<sup>(١)</sup>، فسكت، ثم قال: هذا في القرآن. وسئل أبو بكر عن «الأب» في قوله تعالى: «وَفَنِكَهُهُ وَأَبًا»<sup>(٢)</sup>، فقال: «أي سماء تظليني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كلام الله مala أعلم»<sup>(٣)</sup>.

وهذه أمثلة من تفسير ابن عباس لغريب القرآن، واستشهاده عليه:

١ - سئل ابن عباس عن قوله تعالى: «يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذَهَبُ يَأْلَأُ بَصَرِهِ»<sup>(٤)</sup>، فقال: السنّا: الضوء. واستشهد بيته أبي سفيان بن الحارث:

يدعو إلى الحق لا يغري به بدلًا يجلو بضوء سناه داجي الظلم<sup>(٥)</sup>

٢ - سئل ابن عباس عن قوله تعالى: «فَاجْأَءَهَا الْمَخَاصُ إِنَّ جِدْعَ النَّخْلَةِ»<sup>(٦)</sup>، فقال: أجاءها: أجاها. واستشهد بيته حسان بن ثابت: إذ شددنا شدة صادقة فاجأناكم إلى سفح الجبل<sup>(٧)</sup>

٣ - سئل ابن عباس عن قوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَا تَنْظِمُوا فِيهَا وَلَا تَضْحَى»<sup>(٨)</sup>، فقال: لا تعرق من شدة الحر. واستشهد بقول عمر بن أبي ربيعة:

(١) يوسف .٣٠

(٢) عبس .٣١

(٣) البرهان .٢٩٥/١

(٤) التور .٤٣

(٥) مسائل ابن الأزرق، ملحقة بكتاب الإعجاز البياني للقرآن لبت الشاطيء / ٢٨٣.

(٦) مريم .٢٣

(٧) مسائل ابن الأزرق / ٢٨٩

(٨) طه .١١٩

رأى رجلاً أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فِي ضَحْنِي وَأَمَا بِالْعَشِيِّ فِي خَصْرٍ<sup>(١)</sup>

## ٢ - لغات القبائل الواردة في القرآن:

لم ينزل القرآن بلغة (لهجة) واحدة من لغات العرب، وإنما نزل باللغة العربية الموحدة التي يمكن أن توصف «بأنها اللغة الأدبية الفصحى المختارة الألفاظ»<sup>(٢)</sup>، التي تكونت قبل ظهور الإسلام، واستمدت معظم خصائصها من لهجة قريش، أو القبائل الحجازية بوجه عام، ولذا أطلق عليها تجوزاً «لغة قريش». وهي اللغة التي خطب بها الخطباء، وشعر بها الشعراء<sup>(٣)</sup>.

ومن الممكن أن تميّز بين ثلاثة مستويات للتحليل اللغوي هي :

١ - مستوى النطق والأداء، وقد كان يغلب عليه الطابع القرشي. ولهذا كانت نصيحة عثان لكتبة المصحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلغة قريش، فإنما نزل القرآن بلغتهم»<sup>(٤)</sup>. قالوا: فاختلفوا في كتابة كلمة «التابوت» أبالتاء أم باهاء، فكتبوها بالباء تبعاً لنطق قريش. وبلغ عمر بن مسعود كان يقرئ الناس بلغة هذيل: «عَنِّي حِينَ» بدلاً من «حَتَّى حِينَ» فأرسل إليه أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرئ الناس بلغة قريش.

ولعل من أهم الخصائص الحجازية النطقية الأخرى ميل الحجازيين إلى

(١) مسائل ابن الأزرق/ ٢٩٥ . وانظر من بلاغة القرآن لأحمد بدوي/ ٨٩ وما بعدها.

(٢) في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس/ ٤٠ .

(٣) السابق/ ٤٣ .

(٤) النشر ١/ ٧ .

الفتح في مقابل ميل غيرهم إلى الإملاء (أي الميل بالفتح إلى الكسر)<sup>(١)</sup>، وميلهم إلى الإظهار في مقابل ميل غيرهم إلى الإدغام<sup>(٢)</sup>. وربما كان الاستثناء الوحيد من النطق القرشي في القرآن هو نطق الهمزة. فقد ورد القرآن بتحقيقها موافقاً لنطق «تميم» وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشريقيها، ومخالفاً لنطق قريش والبيئة الحجازية التي تميل إلى التخلص منها، إما بحذفها، أو تسهيلاً لها، أو إبداؤها حرف مد<sup>(٣)</sup>.

٢ - مستوى النحو والتركيب. وقد جاء القرآن - فيما نقل فيه خلاف بين الحجازيين والتميميين - جاء بلغة الحجازيين غالباً. ولهذا يقول ابن مالك فيما نقل عنه الزركشي: «أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً، فإنه نزل بلغة التميميين. فمن القليل إدغام **﴿وَمَنْ يُسَاقِ اللَّهَ﴾** في الحشر<sup>(٤)</sup>، **﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ﴾** في المائدة<sup>(٥)</sup> في قراءة غير نافع وابن عامر. فإن الإدغام في المجزوم والاسم المضاعف لغة تميم، ولهذا قل. والفك لغة أهل الحجاز، ولهذا كثر نحو **﴿وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ﴾** في البقرة<sup>(٦)</sup>، و**﴿فَلَمْ يَمْلِلَ وَلِيَهُ﴾** في البقرة<sup>(٧)</sup>، و**﴿وَيُحِبِّكُمُ اللَّهُ﴾** في آل عمران<sup>(٨)</sup>، و**﴿وَمَنْ يَمْلِدُكُمْ﴾** في نوح<sup>(٩)</sup>، و**﴿وَمَنْ يُسَاقِ﴾** في

(١) السابق / ٦٠.

(٢) السابق / ٧٣.

(٣) السابق / ٧٥ - ٧٦.

(٤) آية ٤.

(٥) آية ٥٤.

(٦) آية ٢١٧.

(٧) آية ٢٨٢.

(٨) آية ٣١.

(٩) آية ١٢.

النساء<sup>(١)</sup> والأنفال<sup>(٢)</sup>، و﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ﴾ في التوبة<sup>(٣)</sup>.. وأجمع القراء على نصب ﴿أَلَا أَتَبَاعَ الْأَفْلَئِ﴾ في النساء<sup>(٤)</sup> لأن لغة الحجازيين التزام النصب في المنقطع، وإن كان بنو تميم يتبعون. كما أجمعوا على نصب ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ في يوسف<sup>(٥)</sup> لأن القرآن نزل بلغة الحجازيين<sup>(٦)</sup>. ويمكن أن يضاف إلى أمثلة ابن مالك مثال آخر، وهو اتجاه القرآن إلى فتح حرف المضارعة للفعل الثلاثي موافقاً لغة الحجازيين، في مقابل الكسر، وهو لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعة، وعامة العرب<sup>(٧)</sup>.

٣ - مستوى المفردات ودللات الألفاظ، وقد جاء القرآن بمعظم كلماته من اللهجة القرشية، ولكنه جاء كذلك مشتملاً على كلمات لا تنتمي إلى اللهجة قريش. وقد اختلف في تحديد القبائل الأخرى التي انضمت إلى قريش، فقيل هي: سعد بن بكر، وهذيل، وثيف، وخزاعة، وأسد، وضبة وألفافها، وتميم وقيس، ومن انصاف إليهم. وقيل: هذيل وتميم، والأزد وربيعة، وهوazen، وسعد بن بكر. وقيل: كنانة، وأسد ابن خزيمة، وهذيل، وتميم (أو تيم الرباب) وضبة، وقيس<sup>(٨)</sup>.

(١) آية ١١٥.

(٢) آية ١٣.

(٣) آية ٦٣.

(٤) آية ١٥٧.

(٥) آية ٣١.

(٦) البرهان ١/٢٨٥، ٢٨٦.

(٧) في اللهجات العربية / ١٣٩.

(٨) البرهان ١/٢١٩، ٢٢٠، والإتقان ١/٤٧ - ٤٩. وانظر ما سبق في مبحث «نزل القرآن على سبعة أحرف» ص ٥٦.

وذكر السيوطي في الإنقان قائمة طويلة لأسماء القبائل التي وردت مفردات لها في القرآن، منها: هوازن، والنخع، وعمان، وهذيل، وكتانة، وخشم، والخزرج، وقيس عيلان، وجرحم، وأزد شنوة، وكندة، وتميم، ولحم، وغسان، ومذحج... ذكر أن بعضهم أوصل عددها إلى الخمسين<sup>(١)</sup>.

وبإحصاء أسماء القبائل الواردة في كتاب أبي عبيد المسماى «لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم» نجد أنها تقرب من الأربعين، إذا رتبناها ترتيباً تناظرياً نجد في أعلى القائمة الأسماء الخمسة التالية:

قرיש	:	٩٠	مرة.
هذيل	:	٤٥	مرة.
كتانة	:	٣٢	مرة.
حمير	:	٢٦	مرة.
جرهم	:	٢٤	مرة.

ثم نجد ثانية قبائل تتراوح مرات ذكرها بين الثنتي عشرة مرة، وخمس مرات، وهي:

قيس عيلان	:	١٢	مرة
تميم	:	٨	مرات.
أزد شنوة	:	٧	مرات.
خشم	:	٧	مرات.
عمان	:	٦	مرات.

---

(١) الإنقان ١٣٣/١ - ١٣٥.

طبيء : ٥ مرات.  
كندة : ٥ مرات.  
مذحج : ٥ مرات.

وبالقى القبائل تقل عن خمسة، مثل: هوازن، بنو حنيفة، ثقيف،  
بنوعيس، جذام، خزاعة، سعد العشيرة، سليم، غسان، لخم... .

### ٣ – المَرْبَ في القرآن:

أثارت قضية «اللفظ المَرْبَ» في القرآن الكريم كثيراً من الجدل بين العلماء منذ وقت مبكر، ربما يعود إلى عصر الصحابة والتابعين. وقد تشعبت الآراء حول هذه القضية بعد أن أخذت اتجاهين:

#### الاتجاه الأول:

وهو ينكر وجود المَرْبَ أو الأعجمي في القرآن الكريم. ومن أشد المتحمسين له الإمام الشافعي (توفي ٢٠٤ هـ)، وأبو عبيدة (توفي ٢١٠ هـ)، والطبراني (توفي ٣١٠ هـ). وقد ناقش الشافعي القضية في كتابه «الرسالة»، وبدأها بقوله: «من جماع علم كتاب الله، العلم بأن جميع كتاب الله إنما أنزل بلسان العرب»<sup>(١)</sup>. أما أبو عبيدة فقد ناقشها في كتابه «مجاز القرآن» الذي شدد فيه المعارضة، وأغلظ الكلام على القائلين بوجود المَرْبَ في القرآن، فهو يقول: «أنزل القرآن بلسان عربي مبين. فمن زعم أن فيه غير

(١) الرسالة / ٢٦، مقتبس في: اللفظ المَرْبَ في القرآن الكريم ليونس شتات، والبرهان . ٢٨٧/١

العربية فقد أعظم القول. ومن زعم أن كذا بال Brittية، فقد أكابر القول...»<sup>(١)</sup>. وأما الطبرى فقد ناقش القضية في مطلع كتابه المشهور في التفسير، ورد بعنف على من أثبت وجود المعرب في القرآن بقوله: «غير جائز أن يُتوهم على ذي فطرة صحيحة مقرّ بكتاب الله، من قد قرأ القرآن، وعرف حدود الله - أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي، وبعضه نبطي لا عربي، وبعضه رومي لا عربي، وبعضه حبشي لا عربي، بعدما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه جعله قرآنًا عربياً»<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة أدلة هذا الرأي:

- ١ - أن الله جل ثناوه نفى عن كتابه صفة العجمة، ودللت آيات عديدة علىعروبة لغة القرآن، وألفاظه. فإن قال قائل: ما الحجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره؟ فالحججة فيه كتاب الله. قال الله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ»<sup>(٣)</sup>.
- ٢ - أن الاعتراف بوقوع اللفظ الأعجمي في القرآن يعطي المشركين الذين تخداتهم القرآن أن يحاکوه - العذر بأن كلماته أعمجمية لا يعرفونها، فكيف يستطيعون إذن محاکاته؟ فالله تعالى جعل القرآن «معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ودلالة قاطعة لصدقه، ولitetحدى العرب العربية به، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته. فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة»<sup>(٤)</sup>.

(١) بجاز القرآن ١٧/١، مقتبس في : اللفظ المعرب في القرآن الكريم، والبرهان ٢٨٧/١.

(٢) تفسير الطبرى ١٨/١، والبرهان ٢٨٧/١.

(٣) الرسالة ٢٨، مقتبس في: اللفظ المعرب في القرآن / ٣٠.

(٤) البرهان ٢٨٧/١.

٣— أنه إن كان هناك تشابه بين بعض ألفاظ القرآن، ولغات أجنبية، فهذا لا يعني أن هذه الألفاظ مأخوذة من تلك اللغات. أما ما ورد عن بعض الصحابة من مثل قولهم: «الكفلان»: ضيغفان من الأجر بلسان الحبشة<sup>(١)</sup>، و«أوبى»: سبّحني بلسان الحبشة<sup>(٢)</sup>، وقولهم: «في القرآن من كل لسان» فيحمل على اتفاق اللفظين في اللغتين بمعنى واحد.

وقد تبنى الطبرى وجهة النظر هذه، ودافع عنها بشدة في مدخل تفسيره، فقال: «إن الذي قالوه من ذلك غير خارج عن معنى ما قلنا - من أجل أنهم لم يقولوا: هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً، ولا كان ذاك لها منطقاً قبل نزول القرآن... فيكون ذلك قولهما خلافاً (أي: مخالفاً). وإنما قال بعضهم: حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا... ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟»<sup>(٣)</sup>.

#### الاتجاه الثاني:

وهو يثبت وجود المَرْبَبُ في القرآن، وأنشر من نادوا به: ابن عباس، وبعض الصحابة، والتابعين، وبعض اللغويين مثل أبي عبيد (توفي ٢٤٤ هـ)، والجواليقي (توفي ٥٤٠ هـ)، والسيوطى (توفي ٩١١ هـ)، والشهاب الخفاجي (توفي ١٠٦٩ هـ). وللسيوطى كتابان في الموضوع سمى أحدهما: «المذهب فيها وقع في القرآن من المَرْبَبِ»، رتب فيه الكلمات القرآنية المرببة

(١) إشارة إلى قوله تعالى: «بِئْتُكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» (الحديد ٢٨).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: «يَا جَبَلَ أُوبِي مَعَهُ» (سباء ١٠).

. ١٥ ، ١٤/١ )<sup>(٣)</sup>

على حروف المعجم. وسمى ثانيهما: «المتوكلي»، ورتب فيه الكلمات المعرّبة حسب اللغات التي أخذت منها. كما لخص كتابه «المهذب» في مؤلفه المشهور «الإتقان في علوم القرآن»<sup>(١)</sup>.

ومن الأمثلة ذات الأصول الأجنبية التي وردت في كتاب اللغات لابن عباس:

- ١ - الطور: الجبل. وافتقت فيه لغة العرب لغة السريانية<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - غيض الماء: نقص. بلغة الحبشة<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - إصري: عهدي. وافتقت لغة النبطية<sup>(٤)</sup>.
- ٤ - سجّيل: طين. وافتقت لغة الفرس<sup>(٥)</sup>.
- ٥ - هُدنا إِلَيْك: تبنا. وافتقت لغة العبرانية<sup>(٦)</sup>.
- ٦ - مُتَكَا: الأُتْرَج. بلغة توافق القبط<sup>(٧)</sup>.
- ٧ - الرقيم: الكتاب. بلغة الروم<sup>(٨)</sup>.

ويلاحظ أن مجموع ما ورد من كلمات من هذا النوع يبلغ أربعاً وعشرين كلمة فقط، ورد بعضها بعبارة: وافق لغة كذا.. وبعضها بعبارة: بلغة كذا..

(١) اللفظ المعرّب / ٣٠.

(٢) لغات القبائل / ٤٨.

(٣) السابق / ١٣٥.

(٤) السابق / ٦٩.

(٥) السابق / ١٣٩.

(٦) السابق / ١٠٥.

(٧) السابق / ١٤٦.

(٨) السابق / ١٧٤.

أما مجموعة الألفاظ القرآنية التي أوردها الجواليفي في كتابه «العرب» باعتبارها ذات أصول أعمجية فعددتها أكبر من مجموعة ابن عباس، ومنها: إبريق ، إبليس ، إنجليل ، تُنور ، جَهَنْم ، دينار ، درهم ، رَبَّانِيون ، رَنْجَبِيل ، سُندُس ، سِجِيل ، سِجِل ، سَقَر ، سِرَادَق ، غَسَاق ، فَرَدُوس ، قَسْطَاس ، قَنْطَار .. وغيرها<sup>(١)</sup>. وقد كان الجواليفي يشير أحياناً إلى أصول الكلمة الأعمجية، وأحياناً يناقش هذه الأصول، ويردّها، مؤكداً الأصل العربي للكلمة<sup>(٢)</sup>.

وأما مجموعة السيوطي فتزيد على مائة وعشرين كلمة. وقد نظم بعضها في أبيات منها:

ولينة فوْمَهَا رَهْوٌ وَأَخْلَدَ مُزْ جَاهَة وَسِيدَهَا الْقَيْوُمْ مُوقَور  
وَقُمَلْ ثُمَّ أَسْفَارٌ عَنِ الْكُتبَا وَسُجَدَا ثُمَّ رِبَّيْونْ تَكْثِير<sup>(٣)</sup>

ويلاحظ على السيوطي أنه كان يكتفي بذكر الألفاظ، وما قيل من آراء حول أصلها الأجنبي، ولكنه لم يحاول أن يناقش هذه الآراء، أو يرجع بعضها، على عكس ما كان يفعله الجواليفي.

وخلاصة أدلة الفريق المؤيد:

١ - أن الألفاظ البسيطة في القرآن الكريم بغير العربية لا تخرج عن كونه عربياً، كما أن القصيدة الفارسية لا تخرج عن فارسيتها بوجود لفظة عربية فيها<sup>(٤)</sup>.

(١) السابق / ٤٠ .

(٢) السابق / ٤٢ .

(٣) السابق / ٤٥ .

(٤) الإنقاذ / ١٣٦ .

٢— أن هذه الألفاظ أعمجية في أصوتها البعيدة، ولكن العرب أدخلوا عليها تغييرات فصارت على غرار كلامهم. وقد تسربت هذه الكلمات إلى لغة العرب عن طريق مخالطة العرب «لسائر الألسن بتجارات، وبرحلتي قريش، وسفر مسافرين؛ كسفر أبي عمرو إلى الشام، .. وعمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة.. والأعشى إلى الحيرة.. فلئت العرب بهذا كله ألفاظاً أعمجية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت بعري العربي الفصيح ووقع بها البيان. وعلى هذا المد نزل بها القرآن.. فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعمجية، لكنها استعملتها العرب، وعربتها فهي عربية بهذا الوجه»<sup>(١)</sup>. وقريب من هذا ما استدل به أبو عبيد، وإن حاول أن يظهر بمظهر الموقف بين الفريقين. يقول أبو عبيد: «والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصوتها أعمجية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بالستها، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية. ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعمجية فهو صادق»<sup>(٢)</sup>.

٣— أن وقوع بعض الألفاظ الأعمجية في القرآن لا يعنيه، ولا يقلل من بلاغته. بل هو مظاهر من مظاهر البلاغة القرآنية. يقول السيوطي: «وقد رأيت الجوهري ذكر لوقوع المعرب في القرآن فائدة أخرى، فقال:

(١) البرهان ١/٢٨٩، والإنقان ١/١٣٦، ١٣٧.

(٢) البرهان ١/٢٩٠.

إن قيل إن (إستبرق) ليس بعربي، وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة، فنقول: لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة، ويأتوا بلفظة تقوم مقامها من الفصاحة لعجزوا عنها»<sup>(١)</sup>.

أما رأينا فيتلخص فيما يأتي:

١ - فكرة التوافق بين اللغات إن قيلت في بعض الألفاظ التي قيل إنها م ureبة مثل:

أ - كلمة «إستبرق» التي قال عنها الرازي في «الزينة» إنها من موافقة اللفظ من لغة للفظ من لغة أخرى، ومعناهما واحد.

ب - وكلمة «تنور» التي قال عنها ابن جنی<sup>(٢)</sup>: «ويقال إن التنور لفظة اشتراك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم. فإن كان كذلك فهو طريف.. فإذا جاز أن يكون مشتركاً في جميع اللغات ما عدا العربية - جاز أيضاً أن يكون وفاقاً وقع فيها.. وقد يكون وفاقاً بين لغتين أو ثلاث، ثم انتشر بالنقل في جميعها».

ج - وكلمة «كنز» التي اعتبرها الشاعر في «فقه اللغة» في لغة العرب والفرس على لفظ واحد..

فإن هذه الفكرة لا يمكن قبولها في كل الألفاظ، ولا يصح أن تصبح قاعدة عامة يحمل عليها كل ما قيل عنه إنه من الألفاظ الم ureبة في القرآن، كما حاول الطبرى أن يقول في كل موقع، وكما وضحه في مقدمة تفسيره قائلاً: «ولم يستنكر أن يكون من الكلام ما يتافق فيه ألفاظ جميع أجناس

(١) المهدب للسيوطى / ١٥ ، مقتبس فى: اللفظ الم ureب / ٣١ .

(٢) الحصانص / ٣ ، ٢٨٥ / ٣ .

الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها؟<sup>(١)</sup>. والصواب عنده أن يقال عن هذه الألفاظ إنها «عربية أعممية»، أو «حبشية عربية»؛ إذ كانت الأمتان لها مستعملتين في بيانها ومنطقها<sup>(٢)</sup>.

فكلمة «مسك» مثلاً يرجع اللغويون أن تكون هندية الأصل، لأن بلاد الهند هي موطن المسك، ومنها نقلت إلى بلاد الفرس، فالعرب، ولا يوجد لهذه الكلمة أسرة اشتقاقية في العربية، وإنما معنى المادة فيها يدور حول التعلق والكف أو الامتناع<sup>(٣)</sup>.

٢ - قبول وجود المعرب في القرآن الكريم لا يعني التسليم بكل ما قيل إنه معرب في القرآن الكريم :

أ - فبعضه من قبيل تواافق اللغات كما سبق.

ب - وبعضه موجود في الأنجوارات الساميّات، فلا يقال بتعربيه، أو افتراضه من لغة أخرى، مثل كلمة «بعير»، التي عُدّت آرامية الأصل، مع أنها في الساميّات جيّعاً. فهي من المشترك وليس المفترض. ومثل كلمة «طُوبِي» التي توجد في اللغات الساميّة بصور مختلفة.

ج - وبعضه تبدو عليه المسحة العربيّة، وله قرابة اشتقاقية أو دلالية في اللغة العربيّة، مما يرجح أن يكون عربياً مثل :

\* كلمة «سراب» التي قيل إنها فارسية. ولكن مشتقات هذه الكلمة في العربيّة لا تبتعد عن معناها. وكلها تتضمن معنى الخفاء، والخداع مما يدل على عروبتها.

(١) تفسير الطبرى ١٤/١ ، ١٥.

(٢) السابق ١٦/١.

(٣) انظر النقط المعرب / ٨٥

\* كلمة «قسوة» التي قيل إنها جبشية، مع أن مادتها في اللغة العربية تدور حول الغلبة، والقهر، والعزّة، والشجاعة، والشدة والضخامة، والعظم.

\* كلمة «مائدة» التي قيل إنها جبشية، مع أنه في العربية يقال: مَادُهُمْ: تداركهم من ورطة. وماد أهله: مارهم. وماد: تَحْرُك. وماده: أعطاه. ومادهم: زادهم. ولذا تقول المعاجم العربية إن «مائدة» مشتقة من معنى «الميرة»، أو «الزيادة»، أو «الحركة»<sup>(١)</sup>.

\* كلمة «أب» التي قيل إنها آرامية أو عربية أو سريانية، مع أن دلالتها على معنى الكلأ والمرعى في العربية تدل على عروبتها. ولذا يقول الشدياق: الأب للكلأ من معنى القصد، أو من معنى الحركة المقرونة بالاشتياق؛ إذ هو عند العرب من أعظم ما يُنشوق إليه<sup>(٢)</sup>. وجعل ابن فارس «الأب» من معنى التهيو والقصد، أو معنى الرعي، وفسر الأب في الآية الكريمة بالمرعى أو الكلأ الذي تعتله الماشية<sup>(٣)</sup>.

٣ – أن ظاهرة اختلاط الأصول اللغوية موجودة في كل اللغات، ولذا ينبغي التنبه إلى أن المادة الواحدة قد تحوي في داخلها فروعًا أجنبية، وأخرى عربية. ولا يصح خلط الفروع بعضها ببعض. ومن أمثلة ذلك:

أ – كلمة «بعل» التي وردت في الآيات الآتية:

\* – ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) انظر لسان العرب، وأساس البلاغة.

(٢) سر الليل، في القلب والإبدال لأحمد فارس الشدياق / ٣٢.

(٣) معجم المقايس ٦/١. ويرد الشدياق (سر الليل / ٩٨) كلمة «الجنت» إلى الأصول العربية، ذاكراً أنها مأخوذة من معنى الكراهة.

(٤) الصافات ١٢٥ .

\* «وَإِنْ أَمْرَأً حَافَتْ مِنْ بَعْلَهَا نُشُوزًا أَوْ إِغْرَاصًا»<sup>(١)</sup>.

\* «فَالَّتَّ يَنْوِيلَنَّهُ الْدِوَانَابِعَهُ زَوْهَذَادَابَعَلَشَيْخَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

فقد تصادف اتفاق اللفظ العربي «بعل» بمعنى الزوج (أو المالك) مع اللفظ الأعجمي «بعل» اسم صنم كان لقوم إلياس<sup>(٣)</sup>.  
ولا يصح خلط أصليهما، كما لا يصح دمجها في المعاجم في مادة واحدة.

ب - كلمة «مرج» التي يدور معناها العربي حول القلق والاضطراب، كقوله تعالى: «فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ»<sup>(٤)</sup>. أما معناها الفارسي فيدور حول الأرض الواسعة التربة المشاب. ولذا قيل «إن الفاظ هذه الأسرة اللغوية بعضها يرجع إلى أم عربية، وبعضها إلى أم فارسية»، فلا ينبغي خلطهما<sup>(٥)</sup>.

٤ - أنه يجب التحفظ قبل الحكم بتعریب أي كلمة، كما يجب الرجوع إلى الأصول الاشت察قية، والعلاقات الدلالية، والحياة الاجتماعية قبل إصدار الحكم. ولذا يقول ابن السراج: «ما ينبغي أن يحذر منه كل الخدر أن يُشتق في لغة العرب شيء من لغة العجم، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت»<sup>(٦)</sup>. ويقول أحمد فارس الشدياق: «إني لا أنكر أن يكون قد دخل في لغة العرب الفاظ من لغة العجم، وهي أسماء لأشياء لم تكن معروفة عندهم كلفظة الإستبرق مثلاً. إلا أنه ما كان

(١) النساء ١٢٨.

(٢) هود ٧٢.

(٣) سر الليل / ٦٨.

(٤) سورة ق آية ٥.

(٥) أثر الدخيل على العربية الفصحى لمسعود بوبيو / ٢٥٤.

(٦) الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق / ٣١١.

بخلاف ذلك لا يصح أن يحمل عليه، فلا يصح أن يقال إن اللجام  
معرب؛ لأن العرب عرفت الخيل، وما يلزم لها قبل جميع الأمم»<sup>(١)</sup>.

---

(١) متنبّات الجواب / ١٩٠.

أهلاً وسهلاً

بـ

الباب الثاني

## الجانب الفني والبلاغي

١٢٥

المُسِرِّفُ الْهَمْجُلُ  
خواص لغة المغاربة

أهلاً وسهلاً

بـ

## (الفصل الأول) أسرار التعبير القرآني

### ١ - مقدمة :

منذ نزل القرآن الكريم معجزة الرسول الكبرى، ولغته موضع احتفاء العلماء من ذوى التخصصات المختلفة، وبيانه محور لكثير من الدراسات والأبحاث المتuelle إلى كشف غوامضه، واكتناه أسراره.

ولقد كان للقرآن فضل تجميع العرب على لغة واحدة، بما استجمع من المحسن اللغوية، وما حوى من صور الكمال البىانى. فلولا القرآن وأسراره البىانية ما اجتمع العرب على لغة واحدة، ولتبذلت لغاتهم بالاختلاط الذى وقع ولم يكن منه بد، ثم كان مصيرها العفاء والاندثار لا محالة. إذ لا يخلفهم عليها أحد إلا من هو أشدّ منهم اختلاطاً، وأكثر فساداً. وذلك معنى من أبين معانى الإعجاز اللغوى، إذ لا تجدء اتفق في لغة من اللغات غير العربية. وهو لم يتفق لها إلا بالقرآن.

ومع إيماناً بأن أسرار التعبير القرآني تفوت كل محاولة لتحديدها، وتجاوز كل طاقات النفس البشرية على مشارفة آفاقه الرحبة، وتسم بالعجز كل اجتهد لاجتلائها - فإننا سنحاول أن نرصد بعض مقوماتها، وأن نلقى نظرة عجل على أهم جوانبها وهي :

١ - جانب الصوت والأداء.

- بـ - المفردة القرآنية.
- جـ - خصائص التركيب وتأليف الجمل.
- دـ - مناسبة خواتيم الآيات لمضمونها.

## ٢ - جانب الصوت والأداء:

يشمل هذا الجانب صوراً متعددة من الأداء سنشير من بينها إلى:

- أـ - خواص التلاوة.
- بـ - تلاؤم النسيج الصوتي.
- جـ - الفاصلة القرآنية.

أما خواص التلاوة: فقد لخصها القسطلاني في «لطائف الإشارات» قائلًا عن التجويد: أن يأقى بالقراءة معوده الألفاظ، وهو تقويم حروفها، وإعطاؤها حقها، وتوفيتها جانب مستحقها، من غير إفراط ولا نفريط، ولا تكلف ولا تعسف ولا تخليط، سالمةً من تضييع اللسان، وتقدير الفم، وتعويج الفك، وقطع المد، وتطين الغنّات.. إلى غير ذلك مما تنفر عنه الطياع، وتججه القلوب والأسماع<sup>(١)</sup>.

فإذا جمع القارئ إلى هذا حسن الصوت كان أفضل. وقد وردت في هذا أحاديث كثيرة، كقول الرسول ﷺ: «لَهُ أَشَدُ أَذْنًا (ميلاً بأذنه إلى جهة من يسمعه) إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القِيْنَةِ إلى قَيْنَتِهِ»<sup>(٢)</sup> كما روى البخاري في شأن ابن مسعود أنه كان يتغنى في تجويد

(١) لطائف الإشارات ٢٠٧/١.

(٢) السابق ٢١٣/١ ، ٢١٤.

القرآن وترتيبه، وأن الرسول كانت تذرف عيناه حين يسمع القرآن بترتيبه.<sup>(١)</sup> ابن مسعود<sup>(٢)</sup>.

بل ذكر القسطلاني أن التطريب بالقراءة مسموح به، لما له من أثر في رقة القلب وإجراء الدموع، وإثارة الخشية، وإقبال النفوس على استئهامه، ولكن بشرط ألا يخل القارئ بشيء من الحروف عن مخرجه، وبشرط عدم الخروج عن حد القراءة بالتمطيط الذي يشوّش النظم، أو يفرط في المد، أو في إشباع الحركات حتى تتولد ألف، أو واو، أو ياء، أو يدغم في غير موضع الإدغام<sup>(٣)</sup>.. إلخ.

وقد ذكر العلماء في معنى مدارسة جبريل للنبي ﷺ أن معناه «تعلم خارج الحروف، وكيفية النطق بها، ليكون سُنة في حق الأمة، لتجويد التلامذة على الشيوخ قراءاتهم». ويعلق القسطلاني قائلاً: «ولا مرية أنه كما يتبعدهم معانى القرآن، وإقامة حدوده، يتبعده بتصحيح الفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة عن أئمة القراء ومشايخ الإقراء»<sup>(٤)</sup>.

ويدخل في إجادة التلاوة معرفة أحكام الوقف، وكما يقول القسطلاني: «لَمَّا كَانَ مِنْ عَوَارِضِ الْإِبْسَانِ التَّنَفُّسِ، اضطَرَّ الْقَارِئُ إِلَى الْوَقْفِ، وَكَانَ لِلْكَلَامِ بِحَسْبِ الْمَعْنَى اتِّصَالٌ يَقْبَحُ مَعَهُ الْوَقْفَ، وَانْفَسَالٌ يَحْسَنُ مَعَهُ الْقَطْعِ - احْتِاجَ إِلَى قَانُونٍ يَعْرِفُ بِهِ مَا يَنْبَغِي مِنْ ذَلِكَ»<sup>(٤)</sup>.

وقد عُرِفَ العلماء الوقف بأنه قطع الصوت على الكلمة زماناً يتنفس

---

(١) السابق ٢١٠/١.

(٢) السابق ٢١٥/١، وما بعدها.

(٣) السابق ٢٠٩/١.

(٤) السابق ٢٤٧/١.

نيه عادة بنية استئناف القراءة»، وفرقوا بينه وبين السكت الذي هو مجرد قطع الصوت زمناً دون الوقف من غير تنفس، كما في قوله تعالى:  
 ﴿يَوْمَنَا مِنْ بَعْدِنَا مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾<sup>(١)</sup>.

ولأهمية الوقف في التفريق بين المعاني قال أبو حاتم: «من لم يعرف الوقف لم يعلم القرآن». ومن أوضح الأمثلة على أهمية الوقف قوله تعالى:  
 ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جِبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>. فلو لم يقف على: «قولهم» لأوهم أن الجملة التالية وهي: «إن العزة الله جبيل» من قولهم<sup>(٣)</sup>.

وأما تلاقي التسبيح الصوتي في القرآن فقد عبر عنه الرافعي قائلاً: «هو تسايق هذه الحروف على أصول مضبوطة من بلاغة النغم؛ بالهمس، والجهر، والقلقلة، والصفير، والمد، والغنة، ونحوها»<sup>(٤)</sup>. وذكر الرمانى (من علماء القرن الرابع) في رسالته عن إعجاز القرآن - بعد أن قسم الكلام إلى متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا - ذكر ما نصه: «والمتلاحم في الطبقة العليا القرآن كله.. والسبب في التلاقي تعديل الحروف في التأليف. فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤماً. وأما التناقض فالسبب فيه ما ذكره الخليل من بعد الشديد أو القرب الشديد. وذلك أنه إذا بعد وبعد الشديد كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد؛ لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان.. وخارج الحروف مختلفة. فمنها ما هو من أقصى الحلق، ومنها ما هو من أدنى الفم ومنها ما هو في الوسائط بين ذلك»<sup>(٥)</sup>.

(١) يس ٥٢. وانظر لطائف الإشارات ١/٢٤٨.

(٢) يونس ٦٥.

(٣) لطائف الإشارات ١/٢٥١.

(٤) إعجاز القرآن ٢١٨/.

(٥) النكث في إعجاز القرآن ٨٧ - ٨٩.

أما ابن سنان الخفاجي فيرد التناقض إلى قرب المخرج وحده مستدلاً على ذلك بكلمة «ألم» غير المتنافرة، مع أنها مبنية من حروف متباينة الخارج «لأن الممزة من أقصى الحلق، والميم من الشفتين، واللام متوسطة بينهما» ثم يقول: «ومتي اعتبرت جميع الأمثلة لم تر للبعد الشديد وجهاً في التناقض»<sup>(١)</sup>.

بل قد تجاوز التلاؤم الصوتي في القرآن تركيب الكلمات، وتعديل أصواتها لتحقيق السهولة واليسر - تجاوز هذا إلى نوع من التوازن الصوتي في فواتح السور. ولذا يقول الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن»: «إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعه وعشرون حرفاً»<sup>(٢)</sup>، وعدد السور التي افتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة. وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً ليدل بالذكور على غيره»<sup>(٣)</sup>.

وقد قسموا هذه الحروف إلى أقسام، منها المهموسة والمجهورة.. وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء، لا زيادة ولا نقصان. ويضيف الباقلاني إلى ذلك أن نصف حروف الحلق (وهي العين والخاء والممزة والباء والخاء والغين)، وهو العين والخاء والباء قد ورد في هذه الفواتح. وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف حلق.

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن / ١٦٩.

(٢) عدد الحروف في الحقيقة ثمان وعشرون، لا تسعه وعشرون؛ لأن الألف لا تعد من الحروف التي بني عليها كلام العرب، فهي ترد دائمًا إما إلى الواو أو الياء.

(٣) الحروف هي: ممزة، ح، ر، س، ص، ط، ع، ق، ك، ل، م، ن، هـ، يـ.

كذلك يذكر أن نصف الحروف الشديدة (وهي مجموعة في: أجدت طبقك) وهو الطاء والقاف والكاف والممزة مذكور في جملة تلك الحروف، وكذلك نصف الحروف المطبقة (وهي الصاد والضاد والطاء والظاء) وهو الطاء والصاد مذكور في الفواحع<sup>(١)</sup>.

ألا يعد هذا التنصيف الدقيق إشارة واضحة، ودليلًا بينما على إعجاز القرآن، وكونه من عزيز حميد، علام للغيب؟.

وأما الفاصلة: فقد راعاها القرآن تحقيقاً لجمال النظم، ورعاية للجرس الصوقي والمشاكلة اللفظية<sup>(٢)</sup>. والفاصلة هي كلمة آخر الآية، أو رأس الآية كما يسميها بعضهم. وهي تقابل القافية في الشعر، والسجعة في النثر<sup>(٣)</sup>.

وليسaire طبيعة العرب في الترجم والإنشاد ختمت كثير من الفواصل بالمد والنون. ولذا يقول سيبويه: «إنهما إذا ترغما يلحقون الألف والواو

(١) إعجاز القرآن للباقلاني/ ٧٩، ٨٠. ونلقت النظر كذلك إلى بعض النتائج التي توصل إليها الدكتور رشاد خليفة باستخدام الكمبيوتر، ومنها تفوق حرف الصاد حسائياً في سورة ص، وحرف القاف في سورة ق، وحرف النون في سورة القلم التي تبدأ بالنون.

(٢) يترجح كثير من العلماء من استعمال كلمة «سجع» مع القرآن حتى لا يوصف القرآن بما كان يوصف به سجع الكهان، ويفضلون عليها كلمة «فاصلة». وقد فرق بعضهم بين السجع والفاصلة من ناحية أن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ، أما الفاصلة فيتبع اللفظ فيها المعنى. ويرى ابن سنان في «سر الفصاحة» أنه لا فرق بين السجع والفاصلة، وأن الفيصل في القبول أو الرفض هو عدم التكليف. فإذا أتى التهاب أو التقارب الصوقي طوعاً سهلاً، وتبعاً للمعنى فهو المحمود سواء كان سجعاً أو فاصلة. ولم يأت في القرآن إلا ما هو من هذا الضرب لعلوه في الفصاحة (انظر: البرهان/ ٥٣/ ١، ٥٤، ٩٦/ ٢ - ٩٨، والإتقان/ ٢٣٥ وما بعدها، والفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي/ ٩٨ وما بعدها).

(٣) الفاصلة في القرآن/ ١٣، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٨.

والباء.. لأنهم أرادوا مد الصوت<sup>(١)</sup>. ويمكن أن يضاف إلى النون الميم، فهما الصوتان الأنفيان الوحيدان في اللغة، مما يسمح بالتنغيم والترديد<sup>(٢)</sup>.

وقد تبين بالإحصاء الفعلي غلبة هذه الأصوات ومشابهاتها. فسورة البقرة تحتوي على مائتين وست وثمانين آية، خص النون منها مائة واثنتان وتسعون آية، والميم أربع وخمسون آية. وسورة النساء تحتوي على مائة وست وسبعين آية، خص الميم منها ست وخمسون آية، والراء ثلاث وثلاثون آية، واللام ثمان وعشرون آية، والنون سبع عشرة آية.

وتغلب النون في سورة آل عمران، يليها الميم، وكذلك الترتيب في حروف المائدة. وفي سورة الرحمن ثمان وسبعين آية، خص النون منها تسع وستون، والميم سبع آيات، والراء آيتان.

ومع القيمة الخاصة للنون والميم نجد القرآن يلوّن وينوع أواخر الفواصل ليحدث تنوعاً في الإيقاع تبعاً لنوع الموضوع والتعبير، وإن كان الغالب الانتهاء بحروف المد واللين، وإلحاد النون.

وقد أدت مراعاة القرآن للفواصل إلى جملة تغييرات خرجت بعض التراكيب عن النمط العادي، وقد شمل ذلك:

١ - التقديم والتأخير، كما في قوله تعالى: «قَالُوا إِنَّا بَرِّبُ هَرُونَ وَمُوسَى»<sup>(٣)</sup> لمراعاة الألف التي سادت السورة. وقارن هذا بقوله تعالى

(١) الكتاب ٢٩٨/٢، ٢٩٩، ٢٩٩، والبرهان ٦٨/١، والإتقان ١٠٥/٢.

(٢) جاء ترتيب شيوخ الأصوات في الفواصل القرآنية على النحو التالي: النون = ٣١٥٢، والميم = ٧٤٢، والراء = ٧١٠، والدال = ٣٠٨، والباء = ٢٤٥، والباء = ٢٢١، واللام = ٢١١... إلخ  
(انظر: الفاصلة في القرآن / ٢٩٦).

(٣) طه ٧٠.

في سورة الشعراة: <sup>(١)</sup> « قَالُوا إِمَّا بَرَبُّ الْعَالَمِينَ، رَبُّ مُوسَى وَهَزُونَ ». فقد ختم بهارون مراعاة للفاصلة، حيث تسيطر النون المسقوقة بعد على سورة الشعراة. وقبل هاتين الآيتين: الغالبون - يأفكون - ساجدين.

ومنه كذلك قوله تعالى: « إِنَّ عَلَيْنَا لَهُدَى، وَإِنَّا لَنَا لِآخِرَةٍ وَآلْأَوَّلِ » <sup>(٢)</sup>، حيث عدل البيان القرآني عما هو مألوف ومبتادر من تقديم الأولى على الآخرة، مراعاة للفواصل <sup>(٣)</sup>.

٢ - زيادة حرف لأجلها، كما في قوله تعالى: « وَتَطْئُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ » <sup>(٤)</sup>، لأن معظم الآيات ينتهي بآلفات منقلبة عن تنون وقفًا، فزيد على النون ألف لمناسبة نهايات الفواصل، وقبل هذه الآية: مسطورا، غليظا - إليها - بصيرا، وبعدها: شديدا - غرورا - فرارا.. إلخ.

ومثلها قوله تعالى: « فَأَضْلَلْنَا أَلْسِنَلَا » <sup>(٥)</sup>، وقوله: « وَأَطْعَنَنَا الرُّسُولا » <sup>(٦)</sup> وكذلك إلحاق هاء السكت في قوله تعالى « ماهيَة » لتحقق اتفاق الفواصل مع ما قبلها وما بعدها: « فَأَمْهُو هَاوِيَة . وَمَا أَدْرَثَكَ مَاهِيَه نَار حَامِيَه » <sup>(٧)</sup>.

٣ - حذف ياء العلة مثل قوله تعالى: « وَأَلَيْلٌ إِذَا يَسِرَ » <sup>(٨)</sup>، بدلا من: « يسرى »، لوجودها مع: الفجر - عشر - الوتر.. إلخ.

(١) الشعراء ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) الليل ١٢ ، ١٣ .

(٣) انظر البرهان ٦٢/١ ، والإتقان ٩٩/٢ .

(٤) الأحزاب ١٠ .

(٥) الأحزاب ٦٧ .

(٦) الأحزاب ٦٦ .

(٧) القارعة ٩ - ١١ . وانظر البرهان ٦١/١ ، والإتقان ١٠٠/٢ .

(٨) الفجر ٤ ، وانظر البرهان ٦٢/١ ، والإتقان ٢ / ٩٩ .

ومثله قوله تعالى: «وَمُؤْمِنُو الدِّينِ جَاءُوا الصَّخْرَ بِأَنَوَادٍ»<sup>(١)</sup> مع: بعد - العياد - البلاد - الأوتاد.. إلخ.

٤ - صرف الممنوع من الصرف، كما في قوله تعالى: «وَأَكْوَابٌ كَانَتْ قَوَارِيرًا»<sup>(٢)</sup> وقبلها: سرورا - حريرا - زمهريرا - تذليلا ، وبعدها: تقديرنا - زنجبيلا - سلسبيلا.. إلخ.

قال الزمخشري: وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة.. أجرى الفواصل مجرى أبيات الشعر.

٥ - حذف كاف الضمير، كما في قوله تعالى: «وَالصَّحَنِ وَالْيَلِ إِذَا سَجَنَ مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَنِ... أَرْبَحَدُكَ يَتِيمًا فَغَاوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى...»<sup>(٣)</sup>.

٦ - إفراد ما أصله الجمع، كقوله تعالى: «إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ»<sup>(٤)</sup>، فالالأصل: « وأنهار »، ووحد لمراعاة الفاصلة. وعكسه جمع ما أصله الإفراد، كقوله تعالى: « الْأَبَعَّ فِيهِ وَلَا خَلَلٌ»<sup>(٥)</sup>، فالمراد: « ولا خلة » لكن جمعه لأجل مناسبة رءوس الآي<sup>(٦)</sup>.

٧ - العدول عن صيغة الماضي إلى الاستقبال كقوله تعالى: «فَقَرِيقًا كَذَبُمْ وَفَرِيقًا قَتَلُونَ»<sup>(٧)</sup>، حيث لم يقل «وفريقاً قتلتكم»، كما سوى بينها في

(١) الفجر ٩.

(٢) الإنسان ١٥ ، وانظر البرهان ٦٦/١ ، والإتقان ٩٩/٢ ، ١٠٠.

(٣) الصحن ١ - ٨ ، والقدر: قلاك - قواوك - فهداك - فاغنك. وانظر الإتقان.

(٤) القمر ٥٤.

(٥) إبراهيم ٣١.

(٦) البرهان ١/٦٣ ، ٦٤ ، والإتقان ٢/١٠٠.

(٧) البقرة ٨٧.

آية أخرى وهي: **(فَرِيقًا قَاتَلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا)**<sup>(١)</sup>.

٨ - بل إننا نجد بعض القراء يختار إبدال حرف بآخر مراعاة للفاصلة. فقد قرأ الزهري، وأبو عبد الرحمن السُّلَمِي، وأبو رجاء، والشعبي الآية: **(فَاعْبُدُنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)**<sup>(٢)</sup> - قرأوها: لذكرى<sup>(٣)</sup>. قال الطبرى<sup>(٤)</sup>: أراد بها الإضافة، وصيرها ألفاً للتوفيق بينه وبين رءوس الآيات قبله وبعده. وقال الفراء: ياء إضافة حولت ألفاً لرءوس الآيات. وقال النحاس: فعل ذلك لتتفق رؤوس الآيات<sup>(٥)</sup>.

٩ - ونجد بعض القراء يفضل لفظاً على آخر بسبب ما يتحققه من انسجام وتلاويم في الفاصلة، مع ما قبلها وما بعدها. فقد قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم وغيرهم: «إِذَا كُنَا عَظَامًا نَاخِرَة»، بدلاً من «نَخْرَة»<sup>(٦)</sup>. وقد فضل القراء القراءة الأولى - وهي قراءة الأقلية - لأن الآيات الأخرى بالألف (الراجفة - الرادفة - واجفة - خاشعة - الحافرة - ناخرة - خاسرة - واحدة)<sup>(٧)</sup>.

ويلاحظ هنا عدة أمور:

١ - أن جميع الفواصل في القرآن لم تقتصر على مراعاة حسن النظم فقط،

---

(١) الأحزاب ٢٦ ، وانظر البرهان ١/٦٧ ، والإتقان ٢/١٠٠ .

(٢) طه ١٤ .

(٣) معجم القراءات ٤/٧٤ .

١١٢/١٦ .

(٤) إعراب القرآن ٢/٣٣٤ .

(٥) النازعات ١١ ، وانظر معجم القراءات ٨/٥٦ .

(٦) معاني القرآن ٣/٢٣١ .

وإنما راعت مع ذلك - وقبله - جانب المعنى، فتحققت بذلك إيقاعها الفريد، وبلاugتها العليا. ولذا يقول الرمانى في رسالته «النكت في إعجاز القرآن»: «فواصل القرآن كلها بلاعة وحكمة؛ لأنها طريق إلى إفهام المعانى التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها»<sup>(١)</sup>. وعلى سبيل المثال:

أ - حذف كاف الضمير في سورة «الضحى» في «قل»، «فأوى»، «فهدى»، «فاغنى» - لم يراع الفاصلة وحدها، وإنما حقق حكمة بلاعية. فقد حذفت من «قل» لتجنب خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإيناس بصريح القول: وما قلاك. لما في القلى من حسّ الطرد، والإبعاد، وشدة البغض.. أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوّي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء. وحذفت كاف الخطاب في الفواصل بعدها لأن السياق بعد ذلك أغنى عنها»<sup>(٢)</sup>.

ب - التقديم والتأخير في قوله تعالى: «إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَىٰ وَإِنَّنَا لِلْأُخْرَةِ وَأَلْأَوَى»<sup>(٣)</sup> ليس لمراعاة الفاصلة وحدها، ولكن لمراعاة المعنى كذلك؛ حيث جاء الكلام «في سياق البشري والوعيد، إذ الآخرة خير وأبقى، وعداها أكبر وأشد وأحزى، وبهذا الملحوظ البيان قدّمت الآخرة على الأولى في سياق البشري للمصطفى بآية الضحى: وللآخرة خير لك من الأولى..»<sup>(٤)</sup>.

(١) ص ٩٠.

(٢) الإعجاز البياني لبنت الشاطئ / ٢٥٠ .

(٣) الليل ١٢ ١٣ .

(٤) الإعجاز البياني لبنت الشاطئ / ٢٥٨ .

ومثل هذا يقال في الآية القرآنية: ﴿قَالُوا إِمَّا يُرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾<sup>(١)</sup>، التي جاءت ضمن عشر آيات اقترب فيها موسى وهارون، وكانت الآية الوحيدة التي قدم فيها هارون على موسى. بالإضافة إلى ما يتحققه هذا التقديم والتأخير من مراعاة النسق، فيه فوائد أخرى منها إعادة القصة الواحدة بلفاظ مختلفة، ومنها التنويه بشأن هارون لأنه كان أفضح من موسى<sup>(٢)</sup>. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾<sup>(٣)</sup>. فقد حقق التقديم والتأخير مراعاة الفاصلة إلى جانب ما يتحقق من تشويق بتأخير الفاعل، وتطلع النفس إلى معرفته، فإذا جاء بعد ذلك وقع بموقع<sup>(٤)</sup>.

جــ تغيير نمط التعبير، كما في قوله تعالى: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِي، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أُلْقَى﴾<sup>(٥)</sup>.

حيث لم يقل - كما هو متوقع: «إما أن نلقى». فتغيير النمط لم يحقق مراعاة النغم الموسيقي فحسب، ولكنه يكشف عن رغبة القرآن في تصوير نفسية هؤلاء السحرة، وأنهم لم يكونوا يوم تحدوا موسى بسحرهم خائفين أو شاكين في نجاحهم، وإنما كان الأمل يملأ قلوبهم في نصر مؤزر عاجل<sup>(٦)</sup>.

(١) طه ٧٠.

(٢) الفاصلة في القرآن / ١١٧ وما بعدها.

(٣) طه ٦٧.

(٤) البرهان ١/٦٢، والإتقان ٢/٩٩.

(٥) طه ٦٥.

(٦) من بلاغة القرآن / ٦٢.

٢ - أن الفواصل تبني على الوقف، وهذا شاع توارد الفواصل المختلفة في الحركة الإعرابية، كما في قوله تعالى: «مِنْ طَيْنٍ لَّا زَبٌ»، مع تقدم: «عَذَابٌ وَاصْبُ» و«شَهَابٌ ثَاقِبٌ»<sup>(١)</sup>. وكذلك: «بَمَا وَمِنْهُمْ»، مع تقدم: «هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ»، و«بِمَنْهُونَ وَأَزْدِرَ»، و«فَانْتَصَرَ»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وردت الفواصل القرآنية متباينة في حروف مقاطعها، وتسمى التجانسة أو ذات المناسبة التامة، مثل:

أ - «وَالْطُورُ / وَكَثِيبٌ مَسْطُورٌ / فِي رَقٍ مَنْشُورٍ ..»<sup>(٣)</sup>.

ب - «وَالْفَجْرِ / وَلَيَالٍ عَشِيرٌ / وَالشَّفَعُ وَالْوَتْرُ ..»<sup>(٤)</sup>.

كما وردت متقاربة في حروف مقاطعها، وتسمى ذات المناسبة

غير التامة، مثل:

أ - «الْحَمْنَ الرَّحِيمٌ / مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ..»<sup>(٥)</sup> (تقارب الميم والنون).

ب - «وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ / .. هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ»<sup>(٦)</sup> (تقارب الدال والباء).

٤ - وردت الفواصل القرآنية بصور شتى، فقد جاءت:

أ - متوازية، تتفق فيها الكلمتان في الوزن وفي حرف الفاصلة،

مثل: «فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعٌ / وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعٌ»<sup>(٧)</sup>.

(١) الصافات ٩ - ١١.

(٢) القمر ٨ - ١١، وانظر الفاصلة في القرآن / ١٣٦.

(٣) الطور ١ - ٣.

(٤) الفجر ١ - ٣.

(٥) الفاتحة ٣، ٤.

(٦) ق ١، ٢ وانظر البرهان ١/٧٢ - ٧٥، والإتقان ٢/١٠٤، والفاصلة في القرآن / ١٤٥ وما بعدها.

(٧) العاشية ١٣، ١٤.

ب - وغير متفقة في الوزن ولكن في الحروف فقط مثل:

﴿مَا كُنْتُ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا / وَقَدْ خَلَقْتُ أُطْوَارًا﴾<sup>(١)</sup>.

ج - ومتوازنة، أي متفقة في الوزن دون الحروف مثل:

﴿وَاهْتَبُوهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيْنَ / وَهَدَيْتَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

د - كما جاءت متفقة الاستلزم، وهو أن تلتزم حرفاً أو أكثر قبل حرف الفاصلة مثل:

\* ﴿فَإِمَّا أَلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرُ / وَإِمَّا أَسَأَلَ فَلَا تَنْهَرُ﴾<sup>(٣)</sup>. (الهاء قبل الراء).

\* ﴿وَإِلَّا تُسَرِّحَ لَكَ صَدَرَكَ / وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾<sup>(٤)</sup>. (الراء قبل الكاف).

\* ﴿وَالظُّرُورُ / وَكَتَبْ مَسْطُورٍ﴾<sup>(٥)</sup>. (الطاء والواو قبل الراء).

\* ﴿فَإِذَا هُمْ مُبِصِّرُونَ / .. فُمْ لَا يُقْصِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>. (الصاد والراء والواو قبل التون)<sup>(٧)</sup>.

٥ - قد تنتهي السورة بفاصلة منفردة الإيقاع تكون كالمقطع الأخير الموميء إلى الانتهاء، كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا أَلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرُ وَإِمَّا أَسَأَلَ فَلَا تَنْهَرُ وَإِمَّا يُنْعَمِ رَبِّكَ حَدِيث﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) نوح ١٣ ، ١٤.

(٢) الصافات ١١٧ ، ١١٨.

(٣) الفتح ٩ ، ١٠.

(٤) الشرح ١ ، ٢.

(٥) الطور ١ ، ٢ ، وانظر البرهان ١/٧٥ ، ٧٦ ، والإتقان ٢/١٠٤ ، ١٠٥ ، والتعبير الفني في القرآن / ٢٠٧ ، والفاصلة في القرآن / ١٤٨ وما بعدها.

(٦) الأعراف ٢٠٢ ، ٢٠١.

(٧) الفاصلة في القرآن / ١٤٦.

(٨) الفتح ٩ - ١١ ، وانظر التعبير الفني في القرآن / ٢٠٨ ، والفاصلة في القرآن / ١٤٨.

### ٣ – المفردة القرآنية:

لا تخف أسرار التعبير القرآني عند الأصوات والحرف، بل تمتد لتشمل المفردات والكلمات. وأنت تضع اللفظة القرآنية في تصاعيف الكلام - كما يقول الباقلاني - أو تقذف بها ما بين شعر فتأخذها الأسماء، وتشوف إليها النقوس، ويرى وجه رونقها بادياً غامراً سائراً ما تقرن به، كالدُّرَّةُ التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد.

وللمفردة القرآنية خصائص كثيرة نذكر من أهمها:

١ – تلاويم نسيجها الصوتي، وجمال وقوعها في السمع، وخلوها من التناقض، كما سبق أن ذكرنا.

٢ – استغلالها الجرس الموسيقي للكلمة، وما تحويه من ظلال للمعنى في إثراء معنى الكلمة، والإيحاء بمضمونها قبل أن يوحى مدلولها اللغوي به. ومن أمثلة ذلك:

أ – قوله تعالى: «وَالْيَلِإِذَا عَسَّسَ وَالصَّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ»<sup>(١)</sup>. فالمتأمل في كلمتي «عسَّس» و«تنَفَّس» يشم رائحة المعنى قوية دون حاجة إلى الرجوع إلى معجم.

ب – قوله تعالى: «يَتَبَاهَ الَّذِينَ هُمْ مُنْفَرُوْا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>. فقد اشتمل على أداء فني قام به اللفظ «أثَّاقَلْتُمْ» بكل ما يتكون من حروف، وبصورة ترتيب

(١) التكوير ١٧ ، ١٨ .

(٢) التوبة ٣٨ .

هذه الحروف، وحركة التسديد على الحرف اللثوي الثاء، والمدّ بعده، ثم مجيء القاف الذي هو أحد حروف القلقة، ثم التاء المهموسة، والميم التي تنطبق عليها الشفتان، وينخرج صوتها من الأنف.... هذا بالإضافة إلى ما يشعر به البطء في نطق الكلمة ذاتها من حركة بطيئة موجودة من المتألف.

ج - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَونَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاهُمْ﴾<sup>(١)</sup> حيث تصور «يُدَعُّونَ.. دَعَا» مدلولها بجرسها وظلها جميعاً. والدُّعَ هو الدفع في الظاهر بعنف، وهو في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتاً غير إرادي فيه عين ساكنة، يكون في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس الدُّعَ<sup>(٢)</sup>.

د - قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرِصَرًا فِي يَوْمٍ تَحْسَنْ مُسْتَمِرٌ تَنْزِعُ النَّاسَ كَانُوكُمْ أَبْغَازٌ لَخَلِ مُنْقَعِرٌ﴾<sup>(٣)</sup>. فكلمة منقرع تدل على أن التخليل قد انقلعت أصواتها من باطن الأرض، ولم تعد إلا عمداً قائمة على سطحها، فكأنها قلعت من قعرها<sup>(٤)</sup>.

٣ - اعتدالها في التركيب والوضع حتى جاءت في معظمها من أعدل التراكيب، وهو الثلاثي الذي يبدأ بحرف، ويتهي بحرف، ويتحذى من الحرف الثالث وصلة بين الحرفين. ويقل كثيراً في القرآن الرباعي،

(١) الطور . ١٣ .

(٢) التعبير الفني في القرآن / ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) القمر ١٩ ، ٢٠ .

(٤) فكرة إعجاز القرآن للرحماني / ٤١٣ .

حيث لا يكاد يبلغ بضع عشرات من الكلمات، وينخلو تماماً من الخماسي إلا ما كان من لفظ عَرب<sup>(١)</sup>.

٤ - خلوها من اللفظ الغريب المستنكر، أو الوحشى المستكره، مما جعلها قريبة إلى الأفهام، يبادر معناها لفظها إلى القلب، ويسبق المجرى منها عبارتها إلى النفس. وكما يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني: «وأنت تقرأ السورة من السور الطوال فلا تجد فيها من الغريب شيئاً. وتتأمل ما جمعه العلماء في غريب القرآن فترى الغريب منه - إلا في القليل - إنما كان غريباً من أجل استعارة هي فيه مثل: ﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ أَعْجَلَ﴾<sup>(٢)</sup>، ومثل ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ﴾<sup>(٣)</sup>، دون أن تكون اللفظة غريبة في نفسها»<sup>(٤)</sup>. وحين ترد في القرآن كلمة غريبة، أو لفظة شديدة فإنها تكون مطلوبة في محلها، محمودة لوقعها موقع الحاجة في وصف ما يلائمها، كقوله تعالى في وصف يوم القيمة: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَطَرِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>. فهي هنا محمودة في موقعها، مطلوبة في سياقها، لتبعث في النفس إيحاءات متزجة بالخوف والقلق والاضطراب. وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة «ضيزي» في قوله تعالى: ﴿تَلَكَ إِذَا قَسَّمَهُ ضِيزَى﴾<sup>(٦)</sup> (أي جاثرة ظالمة). ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه. ولو فتشت في مفردات اللغة عن الكلمة تحمل

(١) إعجاز القرآن للرافعي / ٢٢٩.

(٢) البقرة ٩٣.

(٣) الحجر ٩٤.

(٤) دلائل الإعجاز / ٣٦٠.

(٥) الإنسان ١٠.

(٦) النجم ٢٢.

محلها ما وجدت. فإن السورة التي وردت فيها الكلمة، وهي سورة النجم مفصلة كلها على الألف: «والنجم إذا هوى / ما ضل صاحبكم وما غوى / وما ينطق عن الهوى...» الخ، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل. ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام، وفي معرض الرد على المشركين الذين جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله، فقال تعالى: «أَلَمْ يَرَوْهُنَّ أَنَّا أَنْذَرْنَا لَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ إِذْ نَصَّبُ لَهُمْ أَنَّا نَحْنُ أَنْشَأْنَا إِنَّا إِذْنَنَا بِهِمْ فَمَا هُمْ بِإِيمَانٍ فَكَانَتْ غَرَبَةً لِفَظُهُ أَشَدُ الْأَشْيَاءِ ملائمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها»<sup>(١)</sup>.

٥— دقتها في الاستعمال، حتى تبدو بطريقة استعماها، وبدقّة دلالتها كأنها فوق اللغة. فإن أحداً من البلغاء لا تمتّنعوا عليه مثل هذه الألفاظ إذا أرادها، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في مواقعها؛ لأنها في القرآن تظهر في تركيب متنوع، وتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم، وتكون بتركبيها المعجز طبقة خاصة داخل طبقات اللغة. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدِيَّةً طَعَامُ مُسْكِنٍ»<sup>(٢)</sup>. فليست الإطاعة هي الاستطاعة، وإنما هي بذلك أقصى الجهد، والوصول إلى نهاية الاحتياط، فحينجاوز احتياط الصوم الطاقة إلى ما لا يطاق سقط التكليف. وبهذا التفسير للإطاعة تنتفي الحاجة إلى تقدير حرف نفي مخنوّف كما قال بعض المفسرين الذين ساواها - خطأ - بين معنى الإطاعة ومعنى الاستطاعة<sup>(٣)</sup>. كما تمثل هذه الدقة أظهر ما تمثل في لحظ الفروق الدقيقة بين

(١) إعجاز القرآن للرافعي / ٢٣٠.

(٢) البقرة ١٨٤.

(٣) الإعجاز البياني لبنت الشاطئ / ١٨٣ ، ١٨٤.

الصفات، و اختيار الصفة الملائمة، حتى تبدو كأنها الاختيار الوحيد من جملة اختيارات، كما في الأمثلة الآتية:

أ – قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، بعد قوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأُولَئِكُمْ فِتْنَةٌ﴾. فقد قصد هنا، بالتنويه بعظمته الأجر، التعمريض عن ترك الانشغال بالأموال والأولاد. وهذا فضل القرآن كلمة «عظيم» على «كبير». والفرق بينهما أن العظيم نقىض الحقير، والكبير نقىض الصغير، فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير.

ب – وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلُفُوا فِي الْكِتَابِ لَنِي شِقَاقٌ بَعِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>. فقد يتراهى أن وصف الشقاق، وهو الخلاف، بالقوة أولى من وصفه بالبعد. ولكن التأمل يدل على أن المراد هنا وصف خلافهم بأنه خلاف تبتعد فيه وجهات النظر إلى درجة يسر فيها الالتقاء. ولا يدل على ذلك لفظ غير هذا اللفظ الذي اختاره القرآن<sup>(٣)</sup>.

ج – ومثل هذا يقال في كلمة «عربيض» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَهُ الْشَّرْفُ دُوَّعَاءٌ عَرَبِيْضٌ﴾<sup>(٤)</sup> بدلا من «واسع» أو «كثير». وكذلك كلمة «غليظ» في قوله تعالى: ﴿وَأَخْذَنَّ مِنْكُمْ مِثْقَالًا غَلِيظًا﴾<sup>(٥)</sup>. كما تبدو الدقة في براعة التشبيه والتلميل. فبدلا من أن يقول تعالى: «ولا يظلمون شيئاً»، أو «ما يملكون شيئاً» قال ﴿وَلَا

(١) الأنفال . ٢٨

(٢) البقرة . ١٧٦

(٣) من بلاغة القرآن / ٦٢ ، ٦٣ .

(٤) فصلت . ٥١

(٥) النساء . ٢١

**يُظْلِمُونَ فَنِيلًا**<sup>(١)</sup> (والفتيل ما كان في شق النواة، أو ما يقتل بين الأصبعين من الوسخ)، كما قال: **وَلَا يُظْلِمُونَ نَقِيرًا**<sup>(٢)</sup> (والنقير النكتة في ظهر النواة)، وقال أيضًا: **مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**<sup>(٣)</sup> (والقطمير القشرة الرقيقة على النواة). وهي أشياء يضرب بها كلها المثل في التفاهة والحقارة والقلة.

ومن الدقة كذلك<sup>(٤)</sup> اختيار الكلمة التي توحى بالمعنى فيما لا يحسن التصرح به. وهو ما يعرف باسم «التلطف في التعبير». وأوضح مثال لذلك ما أطلقه القرآن من ألفاظ كثيرة للتعبير عن العلاقة الجنسية بين الزوج والزوجة. وقد كان في كل مرة يختار اللفظ الذي يسهم في أداء المعنى مصحوبًا بقوة جرسه ونوع صيغته، وما يملكه من إيحاء:

- \* **أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ أَرْفَاثُ الْمَنَامِ**<sup>(٥)</sup>.
- \* **وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ**<sup>(٦)</sup>.
- \* **فَلَمَّا تَغَشَّهَا حَلَتْ حَمَلَّا خَفِيفًا فَرَتْ بِهِ**<sup>(٧)</sup>.

(١) النساء ، ٤٩ ، والإسراء ٧١.

(٢) النساء ١٢٤.

(٣) فاطر ١٣.

(٤) لا تمثل الدقة القرآنية في اختيار الكلمة فقط، ولكن في تعبئتها كذلك. وحيثذا لا يملك المرء عند التأمل إلا أن يسلم بلطف العبارة، ورقة التركيب وعدوبيته. فالله تعالى يقول: **فَأَلَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا** (القصص ٣٨). وكان من الممكن أن يستعمل لفظة «أجر»، أو «قرميد»، ولكنه وضع مكانهما كلمة «الطين» التي تجمع إلى رقتها شيئاً من السخرية والتحقير لشأن فرعون الذي لم يجد وسيلة لبلوغ أسباب السموات ليطلع إلى الله موسى إلا شيئاً يصنعه هامان من الطين الذي يوحى بالتفاهة والحقارة (إعجاز القرآن للرافعي / ٢٣٣ ، ٢٣٤).

(٥) البقرة ١٨٧.

(٦) النساء ٢١.

(٧) الأعراف ١٨٩.

\* «فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِنْتُمْ»<sup>(١)</sup>.  
 \* «وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ»<sup>(٢)</sup>.  
 \* «فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَعَاهُنَّ أَجُورُهُنَّ»<sup>(٣)</sup>.  
 \* «بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»<sup>(٤)</sup>.  
 \* «أَوْلَمْسْتُمُ النَّسَاءَ قَلَمْ تَجِدُوا مَاءَ فَتَيَمِّمُوا»<sup>(٥)</sup>.  
 \* «فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ»<sup>(٦)</sup>.

٦ - تلاطم حركاتها في الوضع والتركيب، وجريها مجرى حروفها في أمر الفصاحة، وتهيئة بعضها لبعض، ومساندة بعضها ببعضًا. حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيا كان، أو ربما كانت غير مستساغة في الكلام، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبة، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد مهدت لها حتى جاءت متمنكة من موضعها، وكانت في هذا الموضع أولى الحركات بالخلفة والروعه. ومن ذلك لفظة «النُّذُر» جمع نذير. فإن الصمة ثقيلة فيها لتواليها على التون والذال معاً، فضلاً عن صعوبة الراء ونبوء في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام. ولكن هذه اللفظة جاءت في القرآن على العكس، وانتفى عنها نبوءها في قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بِطَشَنَّا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ»<sup>(٧)</sup>. تأمل موضع القلقة

(١) البقرة ٢٢٣.

(٢) البقرة ٢٣٧.

(٣) النساء ٢٤.

(٤) البقرة ١٨٧.

(٥) النساء ٤٣، والمائدة ٦.

(٦) النساء ٢٣. وانظر: من بلاغة القرآن / ٥٧ وما بعدها.

(٧) القمر ٣٦.

في دال «لقد» وفي الطاء من «بطشتنا». وتأمل الفتحات المتواالية بعد الشين إلى ما بعد الراء، مع الفصل بالمد كأنه تقليل لخفة تتابع الفتحات تمهيداً للانتقال إلى ثقل الضمة التي أصابت موضعها، وجاءت مساندة لراء «النذر»<sup>(١)</sup>.

٧ – استخدام الكلمة القرآنية الواحدة في أكثر من معنى، وهو فن ألف فيه العلماء<sup>(٢)</sup> تأليفاً مستقلاً تحت اسم «الوجوه والنظائر»<sup>(٣)</sup> ومن أمثلته ما ورد في «إصلاح الوجوه والنظائر» للدامغاني (من علماء القرن الخامس الهجري) :

**الإثم: على أربعة وجوه:**

أ – فوجه منها: الإثم يعني الشرك، فذلك قوله تعالى في سورة المائدة

(١) إعجاز القرآن للراافي / ٢٢٧ ، ٢٢٨.

(٢) ظهر أول هذه المؤلفات في أوائل القرن الثاني الهجري. وقد وصلنا كتاب لمقاتل بن سليمان البليخي (توفي ١٥٠ هـ) بحمل اسم «الوجوه والنظائر» وكتاب آخر لمارون بن موسى الأزدي (توفي ١٧٠ هـ) بنفس الاسم. ثم تابعت المؤلفات بعد ذلك حتى بلغت القمة على يد السيوطي في كتابه «معترك الأقران في مشترك القرآن» (علم الدلالة لأحمد مختار / ١٤٨).

(٣) يعرف اللغويون علم «الوجوه والنظائر» بأن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم أكثر من مرة، وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر. فلننظر كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة نفسها المذكور في الموضع الآخر. فهذه هي النظائر. أما الوجوه فتعني تفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى. فالنظائر إذن تشير إلى الألفاظ، والوجوه تشير إلى المعاني.

وهناك تفسير آخر يفهم من كلام الزركشي والسيوطي، وهو أن المراد بالوجوه اللفظ المشترك، وبالنظائر الألفاظ المتزادفة أو التي اختلف لفظها واحد معناها. وذلك لأن كل مشترك لفظي يحمل في داخله ترافقاً. فإذا قلنا إن اللسان في القرآن يعني: اللغة والدعاة والعضو المعروف، والثاء الحسن فمعنى هذا أن للسان أربعة وجوه أو أربعة معان، وهو في نفس الوقت يحمل عدة نظائر أو متزادات. فاللسان مع اللغة ترافق، ومع الدعاة ترافق ثان، ومع الثاء الحسن ترافق ثالث.. وهكذا (انظر علم الدلالة / ١٤٩).

**﴿لَوْلَا يَتَّهِمُ الْرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الْسُّخْتَ﴾**<sup>(١)</sup>، يعني الشرك.

بــ والإثم يعني المعصية، فذلك قوله تعالى في سورة المائدة: **﴿فَنِ اضْطُرْرُ فِي تَحْمِصَةٍ غَيْرَ مُنْجَانِفٍ لِّا ثِرٍ﴾**<sup>(٢)</sup>، أي غير متعمد لمعصية.

جــ الثالث: الإثم: الذنب، قوله تعالى في سورة البقرة: **﴿فَنِ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ، فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ﴾**<sup>(٣)</sup>، يعني: فلا ذنب عليه، أي ذنبه مغفور.

دــ الرابع: الإثم، يعني: الخطأ، قوله تعالى في سورة البقرة: **﴿فَنِ خَافَ مِنْ مُوْرِسِ جَنَفًا أَوْ إِنْمًا﴾**<sup>(٤)</sup>، يعني: خطأ.

ومثال آخر، الكلمة مليء: يقول الدامغاني: هي على عشرة أوجه:

أــ فوجه منها: الولي: الولد، قوله تعالى في سورة مرريم: **﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾**<sup>(٥)</sup>، يعني: ولداً.

بــ الثاني: الصاحب من غير قرابة، قوله سبحانه في سورة الإسراء: **﴿وَلَرَ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الْذُّلِّ﴾**<sup>(٦)</sup>، يعني لم يكن له صاحب متصر به في العمل.

(١) آية ٦٣.

(٢) آية ٣.

(٣) آية ٢٠٣.

(٤) آية ١٨٢.

(٥) آية ٥.

(٦) آية ١١١.

ج - الثالث: الولي: القريب.. كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ أُولِيَّاءِ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، يعني من أقرباء منفعة.

د - الرابع: الولي: الرب تعالى، قوله سبحانه في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَنْخَذُوا لِي﴾<sup>(٢)</sup>، أي ربّاً.. إلخ.

ومثل الزركشي في البرهان بأمثلة كثيرة نذكر منها قوله:

\* كل ما في القرآن من ذكر البروج فإنه الكواكب، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْبُرُوجُ﴾<sup>(٣)</sup>، إلا التي في سورة النساء: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فإنها القصور الطوال المرتفعة في السماء الحصينة.

\* كل ما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج كقوله تعالى: ﴿وَبِعُولَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدَهَنَ فِي ذَلِكَ﴾<sup>(٥)</sup>، إلا حرفًا واحدًا في الصفات هو: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾<sup>(٦)</sup>، فإنه أراد صنمًا.

\* كل شيء في القرآن من يأس فهو القنوط، إلا التي في الرعد: ﴿أَفَلَمْ يَأْيُضْ الَّذِينَ ظَاهَرُوا أَنَّ لَوْ يَسَأَهُ اللَّهُ لَهُدَى النَّاسَ بِحِি�ْعَا﴾<sup>(٧)</sup>، فإنه بمعنى العلم.

وقد عد السيوطي في كتابه «معترك الأقران» - عد من إعجاز القرآن ألفاظه المشتركة، بل عدها من أعظم إعجازاته «حيث كانت الكلمة

(١) الشورى .٤٦

(٢) آية ١٤.

(٣) البروج ١.

(٤) الآية ٧٨.

(٥) البقرة ٢٢٨.

(٦) الآية ١٢٥.

(٧) الآية ٣١.

الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل. ولا يوجد ذلك في  
كلام البشر»<sup>(١)</sup>.

٨ - ملاحظة الفروق الدلالية الطفيفة بين كلمات يستخدمها ابن اللغة العادي على أنها متداولة أو متطابقة. ومن أمثلة ذلك:

أ - كلمتنا: الغيث والمطر. وقد وردت الأولى في آيات مثل: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ»<sup>(٢)</sup>، ومثل: «وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدَ مَا قَنَطُوا»<sup>(٣)</sup>. أما كلمة مطر فقد وردت في آيات منها: «وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرًا السُّوءَ»<sup>(٤)</sup>، ومنها: «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ»<sup>(٥)</sup>، ومنها: «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقَبَةُ الْمُجْرِمِينَ»<sup>(٦)</sup>.

وقد ذهب كثير من اللغويين إلى ترادف لفظي الغيث والمطر، وتطابقهما في المعنى. ولكن تبع الاستعمال القرآني يدل على وجود صفة مميزة تفرق بينها بعد اشتراكتها في أصل المعنى. وهذا يتمثل فيما نقله الشاعري من أن المطر إذا جاء عقب المحل أو عند الحاجة إليه فهو الغيث. وفيما قاله القرطبي: «والغيث: المطر. وسيجيئ لأنك يغيث الخلق.. وعن الأصمسي قال: مررت بعض قبائل العرب وقد مطروا، فسألت عجوزاً منهم: أتاكم

(١) ٥١٤/١.

(٢) لقمان ٣٤.

(٣) الشورى ٢٨.

(٤) الفرقان ٤٠.

(٥) الشعراء ١٧٣ وغيرها.

(٦) الأعراف ٨٤.

المطر؟ فقلت: غثنا ما شثنا غيثاً». وقد عقب القرطبي نقاً عن الماوردي قائلاً: «والغيث ما كان نافعاً في وقته. والمطر قد يكون نافعاً وضاراً، في وقته وغير وقته»<sup>(١)</sup>. ولاشك أن الاستعمال القرآني يؤيد هذه التفرقة الدقيقة في المعنى.

ب - كلمتا: الوالدة والأم.

وقد وردت كلمة «الوالدة» مفردة في ثلاث آيات هي:

- \* «لَا تُضَارِّ وَلَدَةً بِوَلَدَهَا»<sup>(٢)</sup>.
- \* «أَذْكُرْ نَعْمَى عَلَيْكَ وَعَلَى وَلَدَتِكَ»<sup>(٣)</sup>.
- \* «وَبَرَا بِوَلَدَتِي وَلَرَ يَجْعَلُنِي جَبَّارًا شَقِيقًا»<sup>(٤)</sup>.

ووردت مجموعة في آية واحدة هي:

- \* «وَالْوَالِدَاتُ يُرِضِّعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّمَ الرَّضَاعَةُ»<sup>(٥)</sup>.

والأيات الأربع ترتبط بصفة الوالدية، أو الحمل والولادة التي هي أعلى درجات القرابة وأوثقها، ولذا علقت بها أحكام خاصة مثل البر وأحقية الرضاعة.

أما كلمة «أم» فقد وردت في آيات كثيرة لتشير إلى قرابة النسب مثل:

- \* «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمًّا مُؤْسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . ٢٩/١٦ .

(٢) البقرة . ٢٢٣ .

(٣) المائدة . ١١٠ .

(٤) مريم . ٣٢ .

(٥) البقرة . ٢٢٣ .

(٦) القصص . ٧ .

أو لتشير إلى صفة الأمومة التي تسبق مرحلة الولادة فلا تستحق الأم معها بعد أن تسمى والدة:

\* **﴿ حَلَّتْهُ أُمٌّ وَهُنَّ عَلَيْهِ وَهُنْ وَفَصَلُّهُ فِي عَامَيْنَ ﴾** <sup>(١)</sup>.

\* **﴿ وَإِذَا كُنْتُمْ أَجِنَّةً فِي بُطُونِ أَمَهَنْكُمْ ﴾** <sup>(٢)</sup>.

أو للإشارة إلى صلة الرضاع:

\* **﴿ وَأَمْهَنْكُمُ الَّذِي أَرْضَعْنَكُمْ ﴾** <sup>(٣)</sup>.

أو لوصف زوجات الرسول ﷺ على سبيل التشبيه:

\* **﴿ الَّذِي أُولَئِنِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ أَمْهَنْهُمْ ﴾** <sup>(٤)</sup>.

### جـ - كلمتا الهمز واللام:

وقد استعمل القرآن الكريم اللقطين في الآيات الآتية:

\* **﴿ وَيَلٌ لِكُلِّ هُمَزةٍ لِهُمَزةٍ ﴾** <sup>(٥)</sup>.

\* **﴿ وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينٍ هَمَازٌ شَاءَ تَهِيمٌ ﴾** <sup>(٦)</sup>.

\* **﴿ وَوَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَتُ الْشَّيْطَانُ ﴾** <sup>(٧)</sup>.

\* **﴿ وَلَا تَنْلِزُوا نُفْسَكُمْ وَلَا تَنْبَزُوا بِالْأَقْلَبِ ﴾** <sup>(٨)</sup>.

\* **﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطُوكُمْ مِنْهَا رَضُوا ﴾** <sup>(٩)</sup>.

\* **﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾** <sup>(١٠)</sup>.

(١) لقمان ١٤.

(٢) النجم ٣٢.

(٣) النساء ٢٣.

(٤) الأحزاب ٦.

(٥) الهمزة ١.

(٦) القلم ١١، ١٠.

(٧) المؤمنون ٩٧.

(٨) الحجرات ١١.

(٩) التوبه ٥٨.

(١٠) التوبه ٧٩.

وعلى الرغم من قول بعضهم إن الممز واللمز متادفان، فإن الاستعمال القرآني يفرق بينهما. وهذا يقول المبرد: الممز: أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع، أو يمحه على أمر قبيح يغريه به. واللمز: أجهز من الممز. وفي القرآن: «**هَمَّاتِ الشَّيَاطِينَ**» ولم يقل «**لَمَّاتِ الشَّيَاطِينَ**»؛ لأن مكايده الشيطان خفية. ويقول ابن منظور في اللسان: قوله تعالى: «**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُ فِي الصَّدَقَاتِ**»، أي: يحرّك شفتيه. ورجل **لَمَّزة**: يعييك في وجهك. ورجل **هَمَّزة**: يعييك بالغيب<sup>(١)</sup>.

٩ – استخدام الحروف استخدامات خاصة، قد تخفي على الكثيرين فيصلون القول فيها. وقد اخترنا بعض حروف الجر والعلف لنبين أسرار خصوصيتها في القرآن الكريم.

أ – من ذلك تعدية القرآن بعض الأفعال بحروف جر<sup>(٢)</sup> ليس من المعتمد تعدية هذه الأفعال بها، كقوله تعالى: «**فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**»<sup>(٣)</sup>. فالمعتمد أن يقال: «من ربهم»، أو «لربهم». ولكن لما كان مناط التعبير القرآني الدلالة على الانغماس ناسبه التعبير بـ«في» الدالة على الظرفية.

(١) انظر السيوطي في الإتقان ١٩٤ / ١ - ١٩٦ لتعريف الفروق الدقيقة بين كلمات يظن ترادفها في القرآن الكريم، مثل: الخوف والخشبة، والتباين والكبار والإعطاء والإيتاء.. الخ. والإعجاز البياني لبنت الشاطئي ١٩٤ وما بعدها.

(٢) يتحدث النحاة عادة عن إمكانية تناوب حروف الجر وتبادلها مواقعها. ولكن المحققين من اللغويين ينكرون هذا القول، كما يقول أبو هلال العسكري لأن «في» جواز تعاقبها لإبطال حقيقة اللغة، وإفساد الحكمة فيها» (الفروق ١٦ / ١٦) وأقوى ما نجد له من تأييد لكلام أبي هلال العسكري بعدم جواز هذا التعاقب الاستعمال القرآني لهذه الحروف.

(٣) التوبة ٤٥ .

وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 فليس المراد السهو في الصلاة كما قال بعضهم، لأن كل مسلم  
 عرضة له، ومن أجله شرع سجود السهو. وإنما المراد: السهو  
 عن الصلاة، والترك لها، أو الغفلة عن حكمة أدائها، مما يؤدي  
 إلى تحول الصلاة إلى مجرد ركوع وسجود وطقوس شكليّة ونفاق.  
 ولذا ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَكْنِيْعُونَ  
 الْمَاعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.  
 فال فعل «خالف» يتعدى بنفسه، فيقال: خالف أمره. ولكن لما  
 ضمّنه معنى الخروج عداه بـ«عن».

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَّا أَمْوَالُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. فلما  
 ضمّن الأكل معنى الضم، عداه بـ«إلى».

ب - وكثيراً ما يشكل حرف الجر في القرآن الكريم تعبيراً خاصاً مع  
 الفعل أو الوصف المرتبط به. ومن أمثلة ذلك:

\* قوله تعالى: ﴿إِذَا أَلْسَمَهُ أَنْشَقَتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحْقَتْ﴾<sup>(٥)</sup>

فمعنى «أذن» له هنا: مال بأذنه إليه. أو سمعه سمع طاعة.

\* قوله تعالى: ﴿Qَالَّسْلَمُ عَلَيْكَ سَاسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيْكَ إِنَّهُ كَانَ بِيْ

(١) الماعون .٥

(٢) الإنقاذ ١٤٥/١، والإعجاز البياني لبنت الشاطيء، ١٨٩، ونظريّة الحروف العاملة للهلالي / ١٦٤.

(٣) التور .٦٣

(٤) النساء .٢

(٥) الانشقاق ١، ٢٠.

**حَفِيْبًا**<sup>(١)</sup>، مع قوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيْنَهَا﴾**<sup>(٢)</sup> (السؤال في الآية عن القيمة).

فمعنى حفي به: مبالغ في إكرامه، ومعنى حفي عنه: مبالغ في السؤال عنه والبحث في أمره<sup>(٣)</sup>.

\* وقوله تعالى: **﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصْمَ الْكَوَافِرِ﴾**<sup>(٤)</sup>. فعداه بالباء ليصير معنى أمسك بالشيء: أخذ به وتعلق، مع قوله تعالى: **﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾**<sup>(٥)</sup> فعداه بـ«على» ليصير معنى أمسكه على نفسه: حبسه.

ج— وهناك نوع من حروف الجر سمّاه النحاة حرف جر زائداً، كقوله تعالى: **﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾**<sup>(٦)</sup>، وكقوله: **﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾**<sup>(٧)</sup>. وهم يعنون بزيادته زيادته في الإعراب لا في نظم الكلام، وإنما كان ذكره عثناً تعالى الله عن ذلك. ودليل زيادته في الإعراب أننا نعرب ما بعد «من» في الآية الأولى فاعلاً، وكذلك في الآية الثانية. وحكمة زيادة «من» هنا هنا إفاده الاستغراف. كما أن فائدة الحرف الزائد في مثل قوله تعالى: **﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾**<sup>(٨)</sup>، وقوله تعالى: **﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ**

(١) مريم . ٤٧

(٢) الأعراف . ١٨٧

(٣) انظر نظرية الحروف العاملة . ١٨٧

(٤) المتحنة . ١٠

(٥) الأحزاب . ٣٧

(٦) الأنعام . ٥٩

(٧) المائدة . ١٩

(٨) النحل . ٤٦

**إِمْجُونِينَ<sup>(١)</sup>** هي التأكيد، وتفوية الجهد المدلول عليه بحرف الجر السابق<sup>(٢)</sup>.

ولتجنب استعمال كلمة «زاد» مع القرآن الكريم استخدم بعضهم كلمة «صلة»، وهي أكثر تحرزاً في مجال الحديث عن القرآن<sup>(٣)</sup>.

د - ولابد أثناء حديثنا عن حروف الجر أن نشير إلى حرف «الباء» الذي سبب الخلاف في معناه خلافاً في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، أدى إلى خلاف في الحكم الفقهي، أو الرأي الكلامي، ونكتفي من هذه الباء بالمثالين التاليين:

\* قال تعالى: **﴿إِنَّا لِلّٰهِ أَذِنْنَا مَنْ نَّوِيْنَا إِذَا قُسْطَمْتُمْ إِلَى الْأَصْلَوْةِ فَاعْسُلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ إِلَى الْمَعَارِفِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾**<sup>(٤)</sup>.

فمن اعتبر من الفقهاء الباء مؤكدة زائدة أوجب مسح كل الرأس.

ومن اعتبرها للتبعيض قال إنه يكفي أقل ما يطلق عليه اسم المسح، ولو اقتصر ذلك على شعرة أو شعتين.

(١) التكوير ٢٢.

(٢) وانظر من بلاغة القرآن / ٩٥ وما بعدها، والنبا العظيم / ١٣٠ وما بعدها.

(٣) قد تأتي الزيادة في القرآن في غير حروف الجر، كما في قوله تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةِ اللّٰهِ لَنْتَ هُنَّ﴾** (آل عمران ١٥٩). ففي زيادة «ما» هنا لون من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته. فإن المراد من الآية تصوير لين النبي ﷺ لقومه، وأن ذلك رحمة من الله. ف جاء المد في «ما» وصفاً لفظياً يؤكّد معنى اللين ويفخمه. وفوق ذلك فإن طريقة النطق به تشعر بانعطاف وعنابة لا يبتداً هذا المعنى باحسن منها في بلاغة السياق. ثم كان الفصل بين الباء الجارة وبجرورها (وهو لفظ الرحمة) مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى، وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه.

(٤) المائدة ٦.

ومن اعتبرها للإلصاق، وأنها داخلة على محل المسح لا على آلة،  
كقوله: مسحت برأس اليتيم، قال إن المسح لا يتناول المحل  
كله. ولذا يكفي مسح بعض الرأس. وقد بينَ الرسول ﷺ هذا  
البعض بمقدار الناصية، وهو ربع الرأس.

\* قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ إِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

من قال إن الباء للمقابلة، وهي الداخلة على العروض تصور  
إمكانية إعطاء المقابل مجاناً على سبيل التفضل.

ومن قال إنها للسيبية (وهم المعتزلة) منع إمكانية دخول الجنة  
تفضلاً من الله دون عمل؛ لأن المسبب لا يوجد بدون السبب.  
فإذا انتقلنا إلى حروف العطف نجد القرآن الكريم يستعمل  
كثيراً منها استعمالات خاصة، ومن ذلك:

أ - ما يعرف بواو الشهانية. وهي نوع من واو العطف تأتي بعد  
السبعة إيداناً بتهام العدد. فإن السبعة عند العرب هي العقد  
الثامن كالعشرة عندنا. فيأتون بحرف العطف الدال على المغايرة  
بين المعطوف والمعطوف عليه. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَبَقُولُونَ  
ئَلَّا نَّهَا رَأَيْعُهُمْ لَكُلِّهِمْ وَيَقُولُونَ نَحْمَسَةَ سَادِسُهُمْ كَلِّهِمْ رَجَمَ  
يَالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَانِيَهُمْ كَلِّهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> (لاحظ الواو قبل:  
ثامنهم). وقوله تعالى: ﴿أَتَتَبِعُونَ، الْعَيْدُونَ الْحَمْدُونَ  
السَّتِحُونَ، الْرَّاكِعُونَ، السَّاجِدُونَ، الْأَكْرَمُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٣)</sup>، حيث سبقت الصفة الثامنة بحرف العطف.  
ومثله قوله تعالى: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَلِيلَاتٍ تَبَيَّنَتِ عَيْدَاتٍ

(١) التحـلـ . ٣٢

(٢) الكـهـ . ٢٢

(٣) التـرـةـ . ١١٢

**سَيِّحَتْ تَبَيْتْ وَأَبَكَارَاهُ**<sup>(١)</sup>. وحمل بعض اللغوبين على ذلك قوله تعالى في أبواب النار: «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَّرًا، حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتُحَتْ أَبْوَابُهَا»<sup>(٢)</sup> (بدون الواو لأنها سبعة أبواب، كما في قوله تعالى: «هَلَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ بُزُّةٌ مَقْسُومٌ»)، وقوله في أبواب الجنة: «وَسِيقَ الَّذِينَ آتَقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَّرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتُحَتْ أَبْوَابُهَا»<sup>(٣)</sup> (بالواو)، لأن أبواب الجنة ثانية كما جاء في الحديث النبوى: «ما منكم من أحد يتوضأ فليبلغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثانية، يدخل من أبها شاء»<sup>(٤)</sup>.

ب - ومن ذلك أيضا الفاء التي تفيد التعقيب عند النهاة، وعليه قوله تعالى: «فَازَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَانْجَرَجُهُمَا مَا كَانَا فِيهِ»<sup>(٥)</sup>. وقد

استشكل معنى التعقيب في عدة آيات منها:

\* «وَكُمْ مِنْ قَرِيرَةٍ أَهْلَكَنَا هَا فَجَاءَهَا بَاسُنَا بَيْنَنَا»<sup>(٦)</sup>.

إذ البأس في الوجود قبل الهاك. وأجيب بأن المراد: أرداها إهلاكها. أو لما كان الهاك ومحىء البأس متقاربين في المعنى جاز تقديم أحدهما على الآخر.

(١) التحرير ٥.

(٢) الزمر ٧١.

(٣) الحجر ٤٤.

(٤) الزمر ٧٣.

(٥) انظر تفصيلات أخرى عن هذه الواو: تفسير القرطبي ٢٧١/٨، ٢٧٢، ٣٨٢/١٠، ٣٨٣، ٣٨٢/١٥، ٢٨٥/١٥، ٢٨٦، ٢٨٦، ومن أسرار التعبير القرآني بعد الفتاح لاشين/ ٨٤ وما بعدها.

(٦) البقرة ٣٦.

(٧) الأعراف ٤.

\* وحمل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَنِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(١)</sup>، أي فإذا أردت فراءة القرآن، فافعل ذلك.

\* كما استشكلت الفاء في آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿فُمْ إِنْ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فِي نِعْمَتِكُمْ إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، مع قوله في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنِيشُكُمْ إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقد وجه المعنى بأن الحساب على دفعات، فتحمل «الفاء» على أول المحاسبين، وهم أمة محمد ﷺ، و«ثم» التي تفيد التراخي على الباقيين.

جـ - وقد أثارت «أو» في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفِ أَوْ يَزِيدُونَ﴾<sup>(٤)</sup> خلافاً بين النحاة حول معناها. فمنهم من قال إنها بمعنى «بل».

والصحيح - كما قال ابن جني - أنها تأتي دائماً لأحد الشيدين أين كانت، وكيف تصرفت. وهي في الآية - كما في غيرها - تفيد الشك، وذلك أن هذا الكلام خرج حكاية من الله عز وجل لقول المخلوقين. وتأنيله عند أهل النظر: وأرسلناه إلى جم لو رأيتموه لقلتم أنتم فيهم: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون<sup>(٥)</sup>.

١٠ - استخدام المفردات والجموع استخدامات خاصة تثبت أن نظم القرآن مادة فوق الصنعة، ومن وراء الفكر، وخارج قدرة الإنسان:

(١) التحل ٩٨.

(٢) الزمر ٧.

(٣) الأنعام ٦٠.

(٤) الصافات ١٤٧.

(٥) المصادف ٤٦/٢.

أ – فَانْتَ تُرِي بعْض الْأَلْفَاظ لَمْ يَأْتِ فِي الْقُرْآن إِلَّا جَمِيعًا، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ مِنْهُ صِيغَةُ الْمُفْرَد. فَإِذَا احْتَاجَ الْقُرْآن إِلَى هَذِهِ الصِّيغَةِ اسْتَعْمَلَ مَرَادِفَهَا، كَلْفَظَةً «الْلَّب» فَإِنَّهَا لَمْ تَرُدْ إِلَّا جَمِيعًا، كَقُولَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيَدَكَ أَوْلُوا الْأَلْبَاب﴾<sup>(١)</sup>، وَقُولَهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَاب﴾<sup>(٢)</sup>، وَنَحْوُهُمَا. وَحِينَ أَرَادَ الْقُرْآنَ الْمُفْرَدَ لَمْ يَسْتَعْمِلْ كَلْمَةً «لَب» إِلَّا وَضَعَ مَكَانَهَا كَلْمَةً «قَلْب» كَقُولَهُ تَعَالَى: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمَع﴾<sup>(٣)</sup>. وَالسُّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ الْبَاءِ شَدِيدٌ، وَقَدْ تَلَأَ حَرْفًا شَدِيدًا كَذَلِكَ وَهُوَ الْلَامُ. فَلِمَ لَمْ يَكُنْ هُنْكَ فَصْلٌ بَيْنَ الْحُرْفَيْنِ يَتَهَيَا مَعَهُ الْاِنْتِقَالُ، وَيَحْسَنُ مَعَهُ النُّطُقَ أَسْقَطَهُ الْقُرْآنُ مِنْ نُظُمِهِ الْبَيْتَةِ<sup>(٤)</sup>. وَكَذَلِكَ لَفْظَةً «الْكَوْب» الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الْقُرْآنُ جَمِيعًا لَمْ يَأْتِ بِهَا مُفْرَدًا؛ لَأَنَّهُ لَا يَتَهَيَا فِيهَا مَا يَجْعَلُهَا فِي النُّطُقِ مِنَ الظَّهُورِ وَالرَّقَّةِ وَحَسْنِ التَّنَاسُبِ كَلْفَظَ «أَكْوَاب» الَّذِي هُوَ الْجَمِيعُ<sup>(٥)</sup>.

وَعَكَسَ هَذَا لَفْظَةً «الْأَرْضِ». فَإِنَّهَا لَمْ تَرُدْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مُفْرَدَةً حَتَّى إِذَا ذَكَرَتِ السَّماءُ جَمِيعًا، وَكَانَ الْمَقَامُ يَقتَضِي جَمِيعَ «الْأَرْضِ». وَتَأْمَلُ قُولَهُ تَعَالَى: ﴿أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾<sup>(٦)</sup> – تَجَدُّدُ الْآيَةِ قَدْ حَوَّتْ سَرَّ الْفَصَاحَةَ وَذَهَبَتْ بِهِ، حِيثُ لَمْ تَقْلِ «سَبْعَ أَرْضِينَ» هَذِهِ الصَّعُوبَةُ النُّطُقِيَّةُ

(١) إِبْرَاهِيمٌ ٥٢.

(٢) الزَّمَرٌ ٢١.

(٣) قٌ ٣٧.

(٤) الْإِنْقَان١/١٩٣، وَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ لِلرَّافِعِيٖ ٢٣٢/٢٣٢.

(٥) الرَّافِعِيٖ / ٢٣٢.

(٦) الْطَّلاق٢/١٢.

التي تدخل للفظ، وتخل بالنظم، وفضلت عليها: «ومن الأرض مثليهن» التي تخرج الكلمة من الجفاء إلى الروعة، وتتلاءم مع ما جاورها من فواصل حيث تلاها: «يتنزل الأمر بيتهن». <sup>(١)</sup>

ب - وهناك ظاهرة أخرى تتعلق باستعمال بعض الجموع للمفرد الواحد، والتferiq الدقيق بينها في المعنى. وبتبني هذه الجموع في القرآن الكريم يتبيّن عدم صحة ما يقوله النحاة عن تحصيص أوزان من الجمع للدلالة على القلة، وتحصيص أوزان أخرى للدلالة على الكثرة، كما يتبيّن عدم دقة المعجمين حين يخلطون الجموع بعضها البعض، ولا يفرقون بينها في المعنى.

ومن أمثلة تعدد الجموع استعمال القرآن كلمتي «شیع» و«أشياع» جمعاً للمفرد شیعه، ومن ذلك قوله تعالى:

\* «إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا» <sup>(٢)</sup>.

\* «وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا أَشْيَاعًا كُفَّهُلْ مِنْ مَذْكُورٍ» <sup>(٣)</sup>.

فإذا علمنا أن المراد بالأشياء في الآية الثانية: أمثلهم من الأمم الماضية، ومن كان مذهبهم - علمنا أن معنى القلة غير مراد هنا، بل المراد الكثرة، فكيف يقال إن وزن «أفعال» من جموع القلة؟.

كذلك إذا نظرنا إلى جانب المعنى، وجدنا أن «الأشياء» و«الشیع» ليسا متطابقين في المعنى، وإن كان مفردهما واحداً،

(١) الإنchan ١٩٢/١، والرافعي ٢٣٣/.

(٢) القصص ٤.

(٣) القمر ٥١.

وهو كلمة «شيعة». فكلمة «شيعة» تعني: «فُرْقة»، وهي تحمل في داخلها معنى الاتفاق والاختلاف. فأفراد الشيعة أو الفرقة متفقون. ولكنهم كمجموعة يختلفون عن الشيع أو الفرق الأخرى. ولم يستعمل القرآن لفظ «شيع» إلا حينما عن الإشارة إلى الاختلاف والتفرق. كما لم يستعمل لفظ «أشیاع» إلا حينما عن الإشارة إلى الاتفاق أو التجمع. فالأمر إذن يدور حول هذين الملمحين، ولا علاقة له بقلة أو كثرة. وتأملوا الآيات القرآنية الآتية:

- \* «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيعَ الْأَوَّلِيَّةِ»<sup>(١)</sup>.
- \* «إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا»<sup>(٢)</sup>.
- \* «إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا»<sup>(٣)</sup>.
- \* «مِنْ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا»<sup>(٤)</sup>.  
تجدوها جميعاً تشير إلى التفرق والاختلاف.

ثم تأملوا الآيتين الآتتين، وما كل ما ورد من النوع

الآخر:

- \* «وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا أَشْيَاعُكُرْ فَهَلْ مِنْ مَذَكَرٍ»<sup>(٥)</sup>.
- \* «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَسْتَهِنُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) الحجر . ١٠ .

(٢) الأنعام . ١٥٩ .

(٣) القصص . ٤ .

(٤) الروم . ٣٢ .

(٥) القمر . ٥١ .

(٦) سباء . ٥٤ .

تجدوهما تشيران إلى الاتفاق والتجمع.

ومثال ثان على قضية الجموع المتعددة: جمع «عين» في القرآن الكريم. فقد ورد المفرد في القرآن بمعنى آلة البصر، كقوله تعالى: «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفَسَ يَأْتِيْنَسِ، وَالْعَيْنَ يَأْتِيْنَعِينِ..»<sup>(١)</sup>. وورد كذلك بمعنى عين الماء كما في قوله تعالى «فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «فَانْجَرَثَ مِنْهُ أَنْتَاعَشَرَةَ عَيْنًا»<sup>(٣)</sup>.

فإذا نظرنا إلى الجمع وجدناه قد ورد في القرآن بصيغتين هما: «أعين» و«عيون» ليس على حسب القلة والكثرة كما يدعى النحاة، ولكن حسب المعنى كما يبدو من تتبع الآيات القرآنية.

فكيف يستساغ معنى القلة في آيات مثل:

\* «فَلَمَّا أَقْوَاسْهُرُوا عَيْنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُوْهُمْ»<sup>(٤)</sup>.  
\* «هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ إِيمَانًا، وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ إِيمَانًا»<sup>(٥)</sup>.

\* «وَفِيهَا مَا تَسْتَهِيْنَ الْأَنْفُسُ وَتَلَدُّلَ الْأَعْيُنِ»<sup>(٦)</sup>.

مع أن معنى الكثرة هو الأنسب والأكثر ملاءمة للسياق؟

إن معنى المفرد - في الحقيقة - هو الذي وجّه الجمع إلى «أفعال»

(١) المائدة .٤٥

(٢) الغاشية .١٢

(٣) البقرة .٦٠

(٤) الأعراف .١١٦

(٥) الأعراف .١٧٩

(٦) الزخرف .٧١

تارة، وإلى «فُعول» تارة أخرى، فلم ترد «أعين» في القرآن الكريم إلا جمعاً للعين الباصرة، مثل:

\* «وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذَا تَقِيتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا»<sup>(١)</sup>.

\* «تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ»<sup>(٢)</sup>.

\* «وَلَوْنَسَاءُ لَطَمَسَنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ»<sup>(٣)</sup>.

كما لم ترد «عيون» في القرآن الكريم إلا جمعاً لعين الماء مثل:

\* «إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعَيْنٌ»<sup>(٤)</sup>.

\* «فَانْخَرَجُوكُمْ مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْنٌ»<sup>(٥)</sup>.

\* «وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتٍ مِنْ تَحْيِلٍ وَاعْتَدْنَا فِيهَا مِنْ عَيْنٍ»<sup>(٦)</sup>.

\* «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْنٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامِ كَرِيمٍ»<sup>(٧)</sup>.

\* «إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي ظِلَّلٍ وَعَيْنٌ»<sup>(٨)</sup>.

ومثال ثالث الكلمة «عبد» التي تعني في لغة العرب: الإنسان، حراً كان أو رقيقاً، كأنه يذهب بذلك إلى أنه مربوب لخالقه. كما تعني في لغة العرب: الملوك، خلاف الحر.

(١) الأنفال . ٤٤

(٢) المائدة . ٨٣

(٣) يس . ٦٦

(٤) الذاريات . ١٥

(٥) الشعراو . ٥٧

(٦) يس . ٣٤

(٧) الدخان . ٢٦ ، ٢٥

(٨) المرسلات . ٤١

وقد ذكرت المعاجم لهذا المفرد عدة جموع للتكسير، ورد منها في القرآن الكريم جمعان هما: «عبيد»، و«عباد». وقد التزم القرآن استعمال «العباد» جمعاً لـ «عبد» بمعنى الأول وهو مطلق الإنسان أو المخلوق، واستعمال «العبيد» جمعاً لـ «عبد» بمعنى الثاني، وهو الملوك.

ولم يخرج القرآن عن ذلك إلا في حالات نادرة، ولأسباب بلاغية، فقد وردت «العباد» بمعنى «المخلوقين» في ست وتسعين آية، ووردت بمعنى «العبيد» والملوكين في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَامَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> للإشارة إلى أنه يجب معاملتهم كبشر لهم كامل الحق في الحياة، وبخاصة لما يتميزون به من صلاح وطاعة لله. كما أن القرآن استعمل العبيد بمعنى «العباد» أو «المخلوقين» حين أراد نفي الظلم عنه تعالى ، فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ يُظْلِمُ لِلْعَبْدِ﴾<sup>(٢)</sup>، لأن نفي ظلم السيد لعبد نفي لتصور أقل ذرة من الظلم عنه، ونفي لتصور الظلم عنه لسائر الأجناس من باب أولى<sup>(٣)</sup>.

---

(١) النور . ٣٢

(٢) فصلت . ٤٦

(٣) وانظر الإنقاذ للسيوطى ١٩٢/١ - ١٩٦ ففيه حديث متع عن أسرار إفراد بعض الكلمات وجمع بعضها الآخر في القرآن مثل إفراد الريح أو جمعها، وإفراد النور وجمع الظلمات، وإفراد سبل الحق وجمع سبل الباطل، وإفراد السمع وجمع البصر.. وكذلك بيانه الفرق بين بعض الجموع وبعض، مثل الفرق بين «أبرار» و«بررة»، وبين «إخوة» و«إخوان» وغيرها.

#### ٤ - خصائص التركيب وتأليف الجمل:

إذا كنا قد كشفنا شيئاً من أسرار التعبير القرآني في جانب الصوت المفرد، أو الكلمة المؤلفة فإن الحاجة إلى كشف أسرار التركيب القرآني، ونظم كلماته أشد. فالقرآن ما صار معجزاً إلا «لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعان»<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت أبرز جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن من جهة نظمه أو تأليف جمله، ولذا يقول الباقلانى: «ليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنما هو في نظمها وإحکام رصفها.. وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتاخرة، ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض»<sup>(٢)</sup>. وفضل الباقلانى القول في بديع نظم القرآن وعجب تأليفه، وذكر له أسباباً كثيرة منها:

١ - مبaitة نظم القرآن للمعهود من نظام جميع كلام العرب. فليس القرآن شرعاً ولا سجعاً ولا خطابة، وليس جارياً مجرى الرسائل.

٢ - تفرد القرآن - دون جميع أنواع الكلام - باحتواه على هذا القدر الوافي من الفصاحة والإبداع بهذا الطول، وعلى هذا القدر.

٣ - تميز القرآن - على كثرته وطوله - بالفصاحة المطلقة، وبديع التأليف والنظم، دون وقوع أي خلل أو تفاوت أو تباين فيه مما اختلفت الأغراض وتصرفت الوجوه<sup>(٣)</sup>.

(١) القرآن - إعجازه وبلغته لعبدالقادر حسين / ١٠٨ .

(٢) السابق / ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) إعجاز القرآن له / ٦٦ - ٧٠ .

وتساءل عبد القاهر الجرجاني في كتابه «دلائل الإعجاز» عن أوجه الإعجاز اللغوي في القرآن، وعن الشيء الجديد الذي أتى به القرآن للأسلوب العربي، وهل هو حروفه، أو ألفاظه، أو دلالات ألفاظه، أو تركيب حركاتها وسكناتها، أو غرابة بعض ألفاظه... ثم انتهى إلى تقديم نظرية التي تقوم على عنصرتين لغويتين، وهما الاختيار والتأليف. أما الاختيار في يتم على مستوى الأصوات وتناسقها، وعلى مستوى الأدوات والكلمات، واستغلال الفروق الدقيقة بينها، وعلى مستوى المعانى النحوية التي يفرق بينها بالتقديم أو التأخير، وبالتعريف أو التكير، وباختيار نوع معين من المعرفة، وبالحذف أو الذكر.. وغير ذلك. وأما التأليف فيتعلق بوضع الكلمة في مكانها المناسب من العبارة، وقوتها الإحكام والتسلس克، وتناسقها مع ما قبلها وما بعدها، «وهل يقع في وهم وإن جهد أن تتفاصل الكلمتان المفردتان من غير أن يُنظر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن...، وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمتها معناها لمعنى جاراتها؟.. وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة.. إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكّن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما...؟»<sup>(١)</sup>.

ويلح السيوطى على نفس الفكرة، فيبني أن تكون فصاحة القرآن في ألفاظه لأن ألفاظه هي ألفاظ العرب، أو في معانيه لأن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدمة. ثم يلخص موطن الخلاف، أو موضع الإعجاز اللغوي في القرآن في قوله: إن «الإعجاز المختص بالقرآن إنما يتعلق بالنظام

(١) دلائل الإعجاز / ٩٠، ٩١. وانظر ٩٥ وما بعدها.

المخصوص، وحسن التأليف، والثمام الكلمات»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد الرافعي على نفس الفكرة فيقول إن إعجاز القرآن قد جاء «من طرق نظمه، ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته»<sup>(٢)</sup>. ويقول عن أسلوب القرآن إنه «مبادر بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلاغة في ترتيب خطابهم، وتتنزيل كلامهم. على أنه يؤتي بعضه بعضاً، وتناسب كل آية منه كل آية أخرى في النظم والطريقة، على اختلاف المعاني وتباين الأغراض»<sup>(٣)</sup>.

فماذا في القرآن من جمال النظم، وبديع التركيب، وتناسق الأجزاء؟ تعالوا نستعرض بعض النماذج القرآنية - على سبيل المثال لا الحصر - لمستجدلي سر عظمتها:

١ - قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاهَلَّ تَفْتَأِرْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾<sup>(٤)</sup>. حين أقى بأغرب ألفاظ القسم، وهو الناء، فإنها أقل استعمالاً، وأبعد من أفهم العامة بالنسبة للباء والواو. أقى بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء، وتنصب الأخبار («ماتزال») أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالاً). كما أقى بأغرب ألفاظ الأهلak وهو الحَرَض. فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة لفظة من جنسها في الغرابة توخيًا لحسن الجوار.

وحين أراد غير ذلك قال: ﴿ وَاقْسَمُوا بِإِلَهٍ جَهْدًا إِيمَانِهِمْ ﴾<sup>(٥)</sup>، فأقى

(١) القرآن - إعجازه وبلاغته / ١٣.

(٢) إعجاز القرآن له / ١٨٩.

(٣) السابق / ٢٠١.

(٤) يوسف .٨٥

(٥) النور .٥٣

بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها<sup>(١)</sup>.

٢ - قوله تعالى: «وَقِيلَ يَنْأِرُضُ أَبْلَعَيْ مَاءَكَ وَيَسْمَاءَ أَفْلَعَيْ وَغِيَضَ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوْتَ عَلَى الْجُهُودِيَّ وَقِيلَ بَعْدَ الْقُوْرُمِ الظَّاهِرِيَّنَ»<sup>(٢)</sup>.

يقول الجرجاني: لقد نادى الله سبحانه وتعالى الأرض بحرف النداء «يا» لأنها نزلا منزلاً الكائن الحي العاقل. وهذا معنى نفسي: لأنها يشير إلى تجسيد الأرض وإعطائها صفة الكائن العاقل، وكونها من يسمع ويعي. وذلك التجسيد يشير إلى أن كل الكائنات أمام الله سواء؛ فهو خالقها، وهو الذي يستطيع أن يوجه إليها الخطاب فتسمع وتطيع. ثم جاء العنصر التالي للنداء، وهو الأمر في «أبلعي». وبالإضافة إلى ما فيه من معانٍ يحملها توجيه الأمر إلى الأرض فإن فيه تناسقاً على مستوى التأليف، حيث يعد النداء مهدداً للأمر وتنبيهاً للنفس إلى ما سيلاقى عليها.

ويأتي في النداء عنصر آخر وهو اختيار حرف النداء «يا» دون «أي» أو «أيتها». كما يأتي في الأمر عنصر آخر، وهو الاختيار اللفظي لمادة «بلغ» دون مادة «شرب» مثلاً. فلهذا الاختيار دلالة خاصة؛ لأن مادة البلع تدل على سعة الخلق، وسرعة الاتهام، وهمما مقصودان هنا للدلالة على سرعة عودة الحياة على الأرض إلى وضعها الطبيعي ..

ثم أضيف الماء إلى الكاف دون أن يقال: أبلعي الماء. وفي أثناء ذلك وجه الأمر إلى الأرض بما هو من شأنها، وهو بلع الماء، وإلى السماء بما يخصها، وهو الكف عن إنزال المطر. واختير الفعل المبني للمجهول

(١) الإنegan ٢/٨٨، وإعجاز القرآن البياني لخفي شرف/ ٢٢١، ومعترك القرآن ١/ ٢٨٩.

(٢) هود ٤٤.

«غيش» للدلالة على أن هذا لم يتم إلا بأمر آمر، وقدرة قادر، وأتبع ذلك بجملة تأكيدية تقريرية هي «قضى الأمر»، ذكرت بعدها الفائدة من كل هذه الأمور، والغاية منها وهي «استوت على الجودي». وأضمر السفينة ولم يصرح بها تفخيمًا لها، دلالة على عظم شأنها. وأخيراً قوبلت «قيل» في الخاتمة، بـ«قيل» في الفاتحة<sup>(١)</sup>.

وسمي السيوطني ما في هذه الآية من بيان «حسن النسق» وشرحه بقوله: «وهو أن يتكلم المتكلم بكلمات متواترات معطوفات متلاحقات تلاحقاً سليماً مستحسناً بحيث إذا أفردت كل جملة منها قامت بنفسها، واستقل معناها بلفظها»<sup>(٢)</sup>.

٣ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِّقُ الْحَيَّ وَالَّتَّوَيْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ﴾<sup>(٣)</sup>.

قد يتسائل متسائل عن سر نظم الآية، ولماذا جاء قوله تعالى: «وخرج الميت من الحي»، بصيغة اسم الفاعل مخالفًا لما جاء عليه أمثاله في سورة «آل عمران» مثلاً حيث يقول سبحانه **﴿وَنُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَنُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ﴾**<sup>(٤)</sup>، وفي سورة «يونس»<sup>(٥)</sup>، وسورة الروم<sup>(٦)</sup> فلماذا جاء في هذا الموضع من سورة الأنعام على ما جاء عليه مخالفًا لأمثاله؟

(١) دلائل الإعجاز / ٩١، ٩٢.

(٢) معرك الأقران / ١، ٤٠٤، ٤٠٥. وانظر من بلاغة القرآن / ٥٥، فصل «بدائع القرآن»، ص ٢٥٢.

(٣) الأنعام / ٩٥.

(٤) آية ٢٧.

(٥) آية ٣١.

(٦) آية ١٩.

يجيب ابن أبي الإصبع بقوله: إنما جاء كذلك توكياً لحسن الجوار ، ليأتي نظم الجملة الثانية على ما أتى عليه نظم الجملة الأولى: «إن الله فالق الحب والنوى».. لتعادل الفاظ النظم عند التركيب. ولو جاء هذا اللفظ في سورة الأنعام كما جاء أمثاله في «آل عمران» وغيرها لخرج نظم الآية عن الاعتدال. ذلك أن استخدام اسم الفاعل في سورة الأنعام يتلاءم مع ما جاوره من أسماء الفاعلين، كما أن استخدام صيغة الفعل في بقية السور يتلاءم مع ما جاوره من صيغة الأفعال في السور الأخرى.

وقد أوجبت البلاغة أن يأتي خبر «إن» في الجملة الأولى بصيغة اسم الفاعل: «إن الله فالق..» للدلالة على المضي، في حين أن المضارع يدل على الحال أو الاستقبال. ولما كانت الآية مسوقة للتمدح بالقدرة المطلقة كان التمدح بها مع الإتيان بصيغة اسم الفاعل أبلغ؛ لأنه يدل على قدم القدرة، ويلزم من قدمها قدم الموصوف بها.

ولما كان التمدح بمجرد خلق الحب والنوى في باطن الأرض هو تمدح بما لا يراه الناس ولا يتتفعون به أخبر بأنه يخرج نباتاً من باطن الأرض (حياناً من ميت) ليتم التمدح. ووجب أن يكون الإخبار هنا بصيغة المضارع ليقع الإخبار على ترتيب الواقع في الوجود، لا يتقدم منه ما يجب تأخيره، ولا يتأخر ما يجب تقديمها؛ إذ كان انفلاق الحب والنوى في باطن الأرض مقدماً على خروج النبات إلى ظهر الأرض.. فكان مقتضى النظم الإتيان بصيغة المضارع الدالة على الحال والاستقبال بعد اسم الفاعل الدال على المضي..

واقتضى حسن النظم كذلك تقديم ذكر الحب على النوى لكون الحب قوت المخاطب وقوت دوابه. وأردف الحب بالنوى لأن في النوى إشارة

إلى ما يعتد به على المخاطب أيضاً من الثمرات التي يتفكه بها، وتتنوع له الملاذ بسببيها<sup>(١)</sup> ..

٤ - قوله تعالى: ﴿أَلَرْتُرَا وَكَيْفَ خَاقَ اللَّهُ سَبِيعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾<sup>(٢)</sup>.

النظرة السطحية تفهم من نسق الآية أن القمر نور، والشمس نور، ولكن اختلف اللفظان ليكون في ذلك تنوع بلغ.

ولكن من يعلو عن هذه المنزلة يفهم أن القمر أضعف نوراً من الشمس؛ لأن هذه عبر عنها بالسراج، ولفظ السراج يحضر في النفس شعاعاً متقداً، فكانه نور منبعث من نار.

ومن يدقق أكثر يرى أن الغرض هو التعبير عن الشمس بأنها تجمع بين النور والحرارة، ولذلك فائدة في الحياة. والنور نفسه لا تقاد تحس فيه حرارة - وهو ما ينطبق على حال القمر - وإنما الحرارة تحس في السراج ووجهه، وهو ما ينطبق على حال الشمس<sup>(٣)</sup>.

٥ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِيْ أَخْرُجُوا إِلَى الْحُرُّ وَالْعَبُدُ بِالْعَبَدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنَّمَا قَاتَبَ الْمَعْرُوفَ، وَادَّأَ إِلَيْهِ بِالْحَسْنَى. ذَلِكَ تَحْكِيمٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَ لَيْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَمَّا عَذَابُ الْيَمِّ﴾<sup>(٤)</sup>.

لم تنس الآية في معمعة براهيئها وأحكامها حظ القلب من تشويق وترقيق، وتحذير وتنفير، وتهويل وتعجب. لذا بدأت بالنداء: «يَا أَيُّهَا

(١) إعجاز القرآن البياني لغفي شرف / ٣٦٩، ٣٧٠.

(٢) نوح ١٦، ١٥.

(٣) إعجاز القرآن للرافعي / ٢٠٧.

(٤) البقرة ١٧٨.

الذين آمنوا»، للاستدراج إلى الطاعة. واستخدمت لفظ «أخيه» لترقيق العاطفة بين الواترين والموتورين. ثم أضافت إليه لفظي «معروف»، و«إحسان» لزيادة الترقيق. وتلت ذلك بذكر فضل الله عليهم في هذا التخفيف ، والامتنان بهذا التيسير: «ذلك تخفيف من ربكم ورحمة». وانتهت الآية بالتهديد والوعيد لمن يقابل كل هذا الإحسان بالإساءة، وكل هذا التسامح بالاعتداء<sup>(١)</sup>.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِّنْ أَهْلِبُشَرَىٰ، قَالُوا: سَلَامًا، قَالَ سَلَامٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

اشتلمت الآية على درجة عالية من البلاغة حين اختارت الجملة الخاصة للمعنى الخاص. لقد حيت الملائكة إبراهيم بجملة فعلية هي: «سلاماً»، التي تقديرها: نسلم عليك سلاماً. فرد إبراهيم التحية بأحسن منها حين عبر بالجملة الاسمية، وهي: «سلام»، التي تقديرها: سلام عليكم.

والفرق بين الجملتين أن الجملة الفعلية تفيد التجدد والحدث، أما الاسمية فتفيد الثبوت والاستقرار<sup>(٣)</sup>.

٧ - قوله تعالى في وصف خمور الجنّة: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾<sup>(٤)</sup>، جاء بتقديم الجار وال مجرور. أما قوله تعالى في وصف القرآن فقد جاء بتأخير الجار والمجرور: ﴿لَا رَيْبٌ فِيهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) النبأ العظيم لعبد الله دراز / ١١٦ .

(٢) هود ٦٩ .

(٣) التعبير الفني في القرآن لبكرى أمين / ١٨٩ .

(٤) الصافات ٤٧ .

(٥) البقرة ٢ .

لماذا؟ ..

لأن القرآن أراد بتقديمه الجار والمجرور في الآية الأولى أن يفيد قصر عدم وجود الغول (الذى يغتال العقول) على خمور الجنـة، ليـفـيدـ فيـ الوقت ذاتـهـ أنـ سـائـرـ الـخـمـورـ وـهـيـ خـمـورـ الدـنـيـاـ فـيـهاـ الـغـوـلـ وـالـإـسـكـارـ وـتـخـرـيـبـ الـعـقـولـ.

أما تأثير الجار والمجرور في الآية الثانية فلأنه لم يرد القصر. وإنما أراد فقط أن ينفي الريب عن القرآن دون أن يتعرض للكتب السماوية بمدح أو قدح. ولو عكس الترتيب وقال «لا فيه ريب» لأدى إلى نفي الريب عن القرآن، وإثباته - في الوقت ذاته - لغيره من الكتب، وهذا غير مراد<sup>(١)</sup>.

٨ - وقد وردت في القرآن آياتان متشابهتان كل التشابه، ولم يكن الفرق بينهما إلا بتقديم ضمير، وتأخير آخر. وبهذا التقديم والتأخير اختلف المعنى اختلافاً تاماً، واختلف نوع المخاطب باختلاف الضمير.

قال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُّ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ»<sup>(٢)</sup>. وقال: «وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

في الآية الأولى: «من إملاق»، وفي الثانية «خشية إملاق».

في الآية الأولى: «نحن نرزقكم وإيامهم»، وفي الثانية «نحن نرزقهم وإياكم».

الآية الأولى خطاب للفقراء الذين يعيشون فعلاً في فقر شديد،

(١) التعبير الفني في القرآن لبكرى أمين / ١٨٩.

(٢) الأنعام ١٥١.

(٣) الإسراء ٣١.

ويقتلون أولادهم لأنهم لا يجدون هم ما يأكلون فضلاً عن أولادهم.  
والآية الثانية خطاب للأغنياء الذين يعيشون يومهم في بحبوحة وغنى،  
ويخشون أن يأتي يوم يصابون فيه بفقر، أو يخشون إن كثُر عدد  
أولادهم ألا يرثوا المال الكثير، فتقل سعادتهم، ويتسائل فرجمهم  
ونعيمهم، ولذلك فهم يلتجأون إلى قتل أولادهم بطريقة من الطرق.

فعبارة الآية الأولى تضمنت «من» التي تفيد السببية والتعليق. وقدم  
فيها ضمير المخاطب «نرزقكم» على ضمير الغائب « وإيام » لأن حاجة  
الفقير إلى أن يأكل هو ألم من حاجة ابنه الذي ولد أو لم يولد..  
لأن الصغير لا يأكل إلا إذا كان أبوه قد عمل وربح وجاء له ب الطعام.  
أما إذا كان الأب جائعاً، أو غير قادر على العمل فإنه يموت أولاً، ومن  
ثم يموت أبناؤه بموته.

أما الثانية التي هي خطاب الأغنياء، فقد استخدمت الكلمة «خشية»  
التي توحّي الخوف الآتي عبر المستقبل، لا الخوف الآني. وقدم فيها  
ضمير الغائب العائد على الأولاد؛ لأنه هو الأهم والمقدم<sup>(١)</sup>.

## ٥ - مناسبة خواتم الآيات لضمونها:

جاءت خواتم الآيات متنسقة متناسبة كل التنساب مع معاني الآيات  
وموضوعاتها وسياقاتها التي ترد فيها، وأغراضها التي جاءت من أجلها.  
وهذا الاتساق والتناسب واضح جلي في بعض الآيات لا يحتاج إلى كثير  
فكراً، أو كبير عناء، مثل:

(١) التعبير الفني للقرآن لبكرى أمين / ١٩٠ . وانتظر تحليلاً دقيقاً لأيات البقرة: «ومن الناس  
من يقول آمنا» إلى «إن الله على كل شيء قدير» (آيات ٨ - ٢٠): من بلاغة القرآن / ٢٨  
وما بعدها. وسيأتي مزيد بيان لأسرار التعبير القرآني في البحث الخاص بالإعجاز البلاغي  
للقرآن، والفصل الخاص ببدائع القرآن.

- \* «أَنْزَلْهُ بِعِلْمٍ، وَالْمَلَائِكَةُ يَسْهُدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا»<sup>(١)</sup>.
- \* «وَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ»<sup>(٢)</sup>.
- \* «أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلِلآخرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا»<sup>(٣)</sup>.
- \* «إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ»<sup>(٤)</sup>.
- \* «وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»<sup>(٥)</sup>.
- \* «ثُمَّ أَنْشَأَنَّهُ خَلْقًا آنَّهُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»<sup>(٦)</sup>.

ولكنه في بعضها الآخر يحتاج إلى تمعن وتأمل وتدبر، مما حدا بدائرة المعرف البريطانية إلى القول بأن هذه الخواتم قد سبقت بطريقة اعتباطية وأن القرآن يعطي القارئ انطباعاً بأنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية؛ بدليل ختمه آيات بـأن الله عليم، وأخرى بـأن الله حكيم، وثالثة بـأن الله يعلم مالاً تعلمون. وكثير من هذه الخواتم لا علاقة لها بما قبلها، وإنما وضعت فقط لتميم السجع<sup>(٧)</sup>.

(١) النساء . ١٦٦.

(٢) آل عمران . ٨.

(٣) الإسراء . ٢١.

(٤) القصص . ٧٦.

(٥) القصص . ٧٧.

(٦) المؤمنون . ١٤.

ومن المدهش أن يرد في الأثر أن الرسول حينها كان يملي زيد بن ثابت هذه الآية نهض معاذ بن جبل فقال قبل أن يتمها الرسول: «فتبارك الله أحسن الحالين»، فضحك الرسول وقال له: بها ختمت (من بلاغة القرآن/ ٧٦)، والتعبير الفني في القرآن لبكري أمين / ٢٠٥).

(٧) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية / ٨٢.

ويكفي للرد على هذه المزاعم الباطلة أن نستعرض بعضًا من هذه الآيات التي انغلقت مفاتيحها أمام بعضهم وغمض مقصدتها عليهم:

١ - قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنَ لَا يَشْعُرُونَ»<sup>(١)</sup>.

مع قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا آنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السَّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْسَّفَهَاءُ وَلَكِنَ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(٢)</sup>.

هل جاء ختام الآيتين عشوائياً؟

لا. وإنما جاء ملاءمة معنى الآية التي ختمها. فلما كانت الآية الأولى تتحدث عن الفساد في الأرض ب أعمال يشعر بها، وتلك قضية تتعلق بالحواس الظاهرة ختمت بقوله تعالى: «ولكن لا يشعرون»؛ لأن المشاعر هي الحواس. ومثله قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ، بَلْ أَحِيَاهُ وَلَكِنَ لَا يَشْعُرُونَ»<sup>(٣)</sup>.؛ لأن الرؤية إحدى الحواس. وقوله تعالى: «مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ»<sup>(٤)</sup>، لأن العذاب مما يشعر به ويحس<sup>(٥)</sup>. ولكن لما كانت الآية الثانية تتعلق بالسفه، وهو الجهل، وهو أمر يتعلق بالتفكير والعقل ناسب أن تختتم ببني العلم<sup>(٦)</sup>.

٢ - في سورة الأنعام<sup>(٧)</sup> وردت الآيات الثلاث:

(١) البقرة ١١، ١٢.

(٢) البقرة ١٣.

(٣) البقرة ١٥٤.

(٤) الزمر ٥٥.

(٥) التعبير الفني في القرآن لبكرى أمين / ١٨٤.

(٦) من بلاغة القرآن / ٣١، وقضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية / ٨٨.

(٧) الآيات ٩٧ - ٩٩.

أ - ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لَتَهتَّدُوا بِهَا فِي ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَلَّنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

ب - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةً فَسْتَقِرُّوْ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَلَّنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

ج - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْجَرَ جَنَّا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.  
لماذا هذه المخالفة في ختام الآيات؟

للأسباب الآتية:

أ - لما كانت قضية النجوم مما يعلمه العرب ، ويمكن أن تعرفه الأمم الساذجة ختمت الآية الأولى بـ «يعلمون».

ب - ولما كانت قضية النفوس دقيقة لا يطلع عليها إلا الخاصة، ختمت الآية الثانية بـ «يفقهون». لأن الفقه أخص من العلم، فهو العلم بدقةائق الأمور .

ج - ولما كانت الآية الثالثة تظهر فيها دلائل القدرة الإلهية كإنزال المطر وإخراج النبات ختمت بـ «يؤمنون»<sup>(۱)</sup>.

٣ - في سورة القصص<sup>(۲)</sup> وردت الآيات:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْأَيَّلَ سَرَمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِضَيَّاً، أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْنَّهَارَ سَرَمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِلَيْلَ سَكُونَ فِيهِ أَفَلَا تُتَصْرِّفُونَ﴾.

(۱) من بلاغة القرآن/ ۸۳، وقضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية / ۸۹.

(۲) الآيات ۷۱، ۷۲.

لماذا اختلف ختام الآيتين؟

لقد ختمت آية الليل بالسمع؛ لأن دوام الليل فيه إعمال حاسة السمع  
وتعطيل حاسة البصر.

وختمت آية النهار بالبصر؛ لأن دوام النهار - وهو ظرف لأعمال الناس  
وتصرفاتهم - يناسبه البصر<sup>(١)</sup>.

٤ - في سورة الجاثية<sup>(٢)</sup> :

أ - «فَإِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ».

ب - «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْثُثُ مِنْ دَأْبَةٍ إِذَا يَأْتِي لِقَوْمٍ يُوقَنُونَ»

ج - «وَأَخْتَلَفُ الْبَلِيلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ،  
فَأَخْيَاهُ بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَتَصْرِيفُ الرِّيحَ إِذَا يَأْتِي لِقَوْمٍ  
يَعْقُلُونَ».

أ - جاءت فاصلة الآية الأولى: «للمؤمنين» دون غيرها لأن الله سبحانه ذكر العالم جملة في قوله: «السموات والأرض». ومعرفة ما في العالم من الآيات الدالة على أن مخترعه حكيم قادر مختار، فرع عن التصديق بوجود صانع على هذه الصفات، والتصديق يناسب الإيمان.

ب - أما فاصلة الآية الثانية فجاءت بعد الدعوة إلى التأمل في خلق الإنسان، وتدبير خلق الحيوان. وهذا يزيد الإيمان قوة ويقينا.

ج - أما فاصلة الآية الثالثة فجاءت بعد معرفة جزئيات العالم، واختلاف الليل والنهار، وتصريف الرياح، ونزول المطر، وإنبات النبات الذي به يعمر الكون.. وهي أمور يقتضي

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية / ٨٩.

(٢) الآيات ٣ - ٥.

تدبرها رجاحة عقل، ورصانة تأمل بعد أن يدرك الشخص أن من صنع هذه الجزئيات هو الذي صنع الكليات. فناسب هنا أن يأتي الختام بالعقل؛ لأن مضمون الآية يحتاج إلى تدبر وإعمال فكر ورجاحة عقل<sup>(١)</sup>.

٥ - قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوعِ فَدَعَلُونَ»<sup>(٢)</sup>.  
لم يقل: «مؤدون»، أو «معطون»، أو «مؤتون» أو نحوها لأن هذه العبارات لا تستوي في مراد الآية. إن هذه الكلمات تفيد حصول الاسم فقط، ولا تزيد على مجرد الإخبار عن أدائها. ولكن المراد هنا المبالغة في أدائها، والمواظبة على إخراجها حتى أصبح صفة لازمة لهم، وصار أداء الزكاة فعلًا لهم مضافاً إليهم يُعرفون به، فهم له فاعلون<sup>(٣)</sup>.

٦ - قوله تعالى: «إِن تُعَذِّبْهُمْ فَلَنَهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>(٤)</sup>.

لم تنته الآية بـ: «فإنك أنت الغفور الرحيم» مع أن المقام مقام صفح وغفران لحكمة تظهر بالتأمل.  
إذا أمعن الإنسان النظر وجد أن الذي استحق العذاب لا يستطيع أن يغفر له إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه، وكانت سلطنته أعلى السلطات، وقوته أعظم القوى، وعزته فوق كل عزة. ومن كان كذلك يجب أن يكون متوصلاً بالحكمة التي تضع الشيء في محله. فحين جاءت

(١) إعجاز القرآن البصري لحفني شرف / ٢٢٢.

(٢) المؤمنون ٤.

(٣) بيان إعجاز القرآن للخطابي / ٤١.

(٤) المائدة ١١٨.

الفاصلة بالعزة، للإشارة إلى أن القادر على العقاب عزيز دائمًا، وهو قادر على المغفرة، كما هو قادر على العقاب - لم يكن كافيًّا أن يقتصر على وصف العزة؛ لأنَّه ليس كل قادر عادلًا أو حكيمًا، فقرنَت العزة بالحكمة<sup>(١)</sup>.

والمعنى: إن تغفر لهم، وهم مستحقون للعذاب، فلا اعتراض عليك من أحد في ذلك، والحكمة متحققة فيها فعلته<sup>(٢)</sup>.

٧ - ختمت كثير من الفوائل بأساء الله تبارك وتعالى، إلا أن هذه الأسماء قدْم بعضها تارة، وأخر أخرى. والعادة إذا اجتمعَت الرحمة والمغفرة أن تتقديم المغفرة فيقال: «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»<sup>(٣)</sup>، «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»<sup>(٤)</sup>، «إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»<sup>(٥)</sup>. وهذا شيءٌ طبيعي؛ لأن المغفرة ستر الذنب، والرحمة تفضل وإنعام. وستر الذنب مقدم؛ لأن التخلية مقدمة على التحلية، كما يقولون.

ولكن آية واحدة في القرآن قدمت فيها الرحمة على المغفرة، وهي قوله تعالى:

«يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) التعبير الفني في القرآن لبكري أمين/ ٢٠٤، وأصله في الإنقاذ للسيوطى (النوع التاسع والخمسون: في فوائل الآى). ونظير ذلك قوله تعالى في سورة التوبه ٧١: «أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم»، وفي سورة المحتoteca ٥: «واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم»، وغيرهما.

(٢) الإنقاذ ٢/ ١٠٣ ، ومن بلاغة القرآن / ٧٧.

(٣) البقرة ١٨٢ .

(٤) البقرة ٢١٨ .

(٥) يوسف ٩٨ .

(٦) سبا ٢ .

فما السبب؟

سياق الآيات يحتم ذلك. فالفاصل الأولى كلها كان يقتدمها ما يشعر بالذنب والخطأ أو التقصير، لذا كانت المغفرة أولاً. ولكن هذه الآية لم يقتدم فيها شيء من هذا، وإنما كل الذي ذكر هو حمد الله الذي له ما في السموات والأرض، ويعلم ما في باطن الأرض، وما يخرج منها، وداخلها وخارجها، وما ينزل من السماء، وما يصعد إليها. ففي هذا من صالح الناس الكثير، وهو لا يعود أن يكون رحمة من الله تبارك وتعالى، لذلك قدمت الرحمة على المغفرة<sup>(١)</sup>.

٨ – جاءت بعض الآيات في القرآن مختلفة الفواصل مع أن المتحدث عنه

فيها واحد ومن ذلك:

- أ – «وَإِنَّكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ.. وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ الْإِنْسَنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ»<sup>(٢)</sup>.  
ب – «أَفَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَحْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ.. وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ»<sup>(٣)</sup>.

ذلك أن القرآن قد راعى في الآية الأولى موقف الإنسان من نعم الله فهو ظلوم كفار، فختمت الآية بما يناسب ذلك. وراعى في الآية الثانية مقابلة الله نكران الجميل، وكفران النعم بالغفران والرحمة، فختمت الآية بما يناسب الحديث عن الله جل وعلا<sup>(٤)</sup>.

(١) قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية / ٩٣. وانظر كذلك من بлагة القرآن / ٧٦ وما بعدها. وانظر في تقديم المغفرة على الحلم في البقرة (٢٢٥) والحلم على المغفرة في فاطر (٤١) والإسراء (٢٥): قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية / ٩٤، ٩٥.

(٢) إبراهيم .٣٤

(٣) النحل ، ١٧ ، ١٨ .

(٤) من بлагة القرآن / ٨٤، والتعبير الفني في القرآن لبكري أمين / ٢٠٥.

٩ – وقد يكون اختلاف الفوائل مع تماثيل ما سبقها بقصد تعديل الأوصاف وأثباتها حتى تستقر في النفس مثل:

\* **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكُ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾**<sup>(١)</sup>.

\* **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكُ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**<sup>(٢)</sup>.

\* **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكُ هُمُ الْفَسِقُونَ﴾**<sup>(٣)</sup>.

فالآيات تريد أن تشير إلى أن من لم يحكم بما أنزل الله ساتر لما أنزل الله، ظالم لنفسه، فاسق بهذا الستر. أو تريد أن تقول إن من لم يحكم بشرع الله فقد كفر به، وظلم نفسه وغيره، وخرج عن حدود الاستقامة والعدالة<sup>(٤)</sup>.

١٠ – وأخيراً نقول: جاء في الآثار أن عربياً سمع قارئاً أخطأ فقرأ: «إإن زللتكم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم»، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا. إن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه. ثم رجع إلى القرآن فوجد القاريء قد أخطأ، ووجد صواب الآية كما توقع، وهو: **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**<sup>(٥)</sup>.

(١) المائدة .٤٤.

(٢) المائدة .٤٥.

(٣) المائدة .٤٧.

(٤) التعبير الفني في القرآن لبكري أمين / ٢٠٦.

(٥) البقرة ٢٠٩. وانظر: المعجزة الكبرى لأبو زهرة/١٣٤، والتعبير الفني في القرآن لبكري أمين / ٢٠٥.

## (الفصل الثاني) إعجاز القرآن

### ١ - إعجاز القرآن وبداية التأليف فيه:

الإعجاز لغة مصدر «أعجز»، يقال: أعجزت فلاناً: إذا جعلته عاجزاً. وأصطلاحاً اتصف الشيء بأنه أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، مقررون بالتحدي، سالم من المعارضة<sup>(١)</sup>.

أما العجزة فهي اسم فاعل من أعجز، لحقته تاء التأنيث، ثم صارت تطلق على ما يأتي به النبي من فعل خارق للعادة يؤيد به نبوته<sup>(٢)</sup>.

والمراد بإعجاز القرآن كونه أمراً خارقاً للعادة، لم يستطع أحد معارضته برغم تحديه لهم، وتصديهم لمعارضته.

وقد ظلت قضية الإعجاز القرآني مطروحة على الأجيال، يتناولها علماء الكلام والتفسير حتى استقلت بتأليفات مفردة منذ القرن الثالث الهجري.

وقدم القرن الرابع رصيده المتمثل في:

- ١ - النكت في إعجاز القرآن للرماني (توفي ٣٨٤هـ).
- ٢ - بيان إعجاز القرآن للخطابي (توفي ٣٨٦هـ).

(١) فكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمسي / ٧.

(٢) السابق / ٩، وانظر مناهل العرفان ١/٦٦.

### ٣ - إعجاز القرآن للباقلاني (توفي ٤٠٣ هـ).

ثم جاء القرن الخامس فبرز فيه عبدالقاهر الجرجاني الذي قدم عمالين حول إعجاز القرآن هما:

- ١ - دلائل الإعجاز.
- ٢ - الرسالة الشافية (في إعجاز القرآن) <sup>(١)</sup>.

وتتوالت المؤلفات - بعد ذلك - وامتد التأليف في إعجاز القرآن حتى العصر الحديث. وهذا وجه آخر من أوجه الإعجاز القرآني «أن يظل معروضاً على الأجيال تتوارد عليه جيلاً بعد جيل، وهو رب المدى، سخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه مبلغاً امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح، وفوق كل طاقة» <sup>(٢)</sup>.

### ٤ - التحدي وآيات المعاجزة:

إذا كان القرآن قد جاء شاهداً واضحاً، ودليلًا قاطعاً على نبوة هذا البشر الرسول، فقد أثار المشركون حوله شبّهات كثيرة.

وإذا كان القرآن قد فرض إعجازه البصري من أول المبعث على هؤلاء الذين سبقو لليمان، فهو قد فرضه كذلك على من ظلوا في سفهم وشركهم. وكان هذا سبب تحبطهم فيما خلعوا عليه من صفات بقصد الانتقاد منه، وتفير الناس من سماعه، كقولهم إنه أساطير الأولين، أو إنه يعلم بشر، أو وصفهم إياه بأنه إفك، أو افتراء، أو أضغاث أحلام.

(١) انظر فكرة إعجاز القرآن للحمصي، في أماكن متعددة، وبنّت الشاطيء في مدخل كتابها: الإعجاز البصري للقرآن.

(٢) الإعجاز البصري للقرآن لبني الشاطيء / ٢٨.

ومنهم من كان أقل سفاهة فوصفه بأنه شعر، أو أنه كهانة، أو أنه سحر. وقد صدقوا في وصفهم القرآن بالسحر - لا بالمعنى الذي أراده أبو جهل بن هشام<sup>(١)</sup>، ولكن باعتبار ما يحويه من سحر البيان، وما يتمتع به من قوة التأثير<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل هذا العناد والتحدي منهم، كان لابد للقرآن أن يتحداهم علانية وبقوة، ليبين أنه معجزة النبي إليهم، يتحدى العرب والإنس والجinn أن يأتوا بمثله أو بجزء منه.

والمراد بالتحدي الإثبات بما هو مثل القرآن في كل شيء، كما يستفاد من لفظ المائة. ويشمل ما في القرآن من بيان رفيع، وأسلوب معجز، ونظم فريد، وعاطفة متاججة، وجمع بين الفكر والخيال، وحسن معرفة في خطابة النفس... وما فيه من علم، وأخبار عن الماضي والمستقبل. وهذا كله مما تعجز مؤهلاً لهم وثقافتهم عن مثله<sup>(٣)</sup>.

وآيات التحدي في القرآن متعددة. فقد وردت في خمس سور هي:  
البقرة ويوسف وهود والإسراء والطور، ونصها:

١ - آية البقرة: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا، فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ، وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) وهو قوله: إن محمداً جاء بكلام هو السحر، يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته.

(٢) انظر: الإعجاز البياني لبنت الشاطيء / ٣٤ - ٤١.

(٣) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٢٤.

(٤) آية ٢٣.

٢ - آية يومنس: «أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةِ مِثْلِهِ وَادْعُوا مِنْ أَسْتَطْعُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ»<sup>(١)</sup>.

٣ - آية هود: «أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورَاتِ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَّاتِ وَادْعُوا مِنْ أَسْتَطْعُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ»<sup>(٢)</sup>.

٤ - آية الإسراء: «قُلْ لَئِنْ جَمْعَتِ الْأَنْسُ وَالْأَخْنُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْصِمُ ظَهِيرًا»<sup>(٣)</sup>.

٥ - آية الطور: «أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلَمَّا أَتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَدِيقِينَ»<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف العلماء في ترتيب مراحل التحدي ودرجاته:

١ - فالسيوطبي يذكر أن القرآن تحداهم أولاً بآياتها بمثله، وأمهلهم سنين طوالاً فلم يقدروا (آية الطور). ثم تحداهم عشر سور منه (آية هود). ثم تحداهم بسوره، وكرر هذا التحدي (البقرة - يومنس). فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسوره تشبهه حكم عليهم القرآن بالعجز (آية الإسراء)<sup>(٥)</sup>.

٢ - ويخالف الشيخ محمد رشيد رضا الرأي السابق، لأنه من غير الممكن أن تكون آية من سورة متأخرة، قد نزلت قبل سورة متقدمة. ويرى أن

(١) آية .٣٨.

(٢) آية .١٣.

(٣) آية .٨٨.

(٤) الآياتان .٣٣ ، .٣٤.

(٥) الإتقان ٢/١١٧، وانظر: فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٢١.

القرآن في تحديه كان حريصاً على أن يفند التهم المختلفة. وهذا عبر عن المعنى الواحد بالعبارات المختلفة، دون تناقض بينها، أو في شيء منها.

فالتحدي بالسور العشر يفتَّن بهمَّتين وجههما الكفار للنبي هما: افتراء القرآن، وافتراء أخباره وقصصه. فكان التحدي بالعشر حتى يتسع القدر للأخبار والقصص. أما التحدي بالسورة فكان مطلقاً. وبهذا اختلف موضوع التحدي في كل.

وترتيب آيات التحدي عندَه - حسب تاريخ النزول:

أ - الإسراء، وفيها ذكر للقرآن كله (وإن لم يكن بصورة التحدي في نظره).

ب - يونس، وكان التحدي فيها بسورة.

ج - هود، وكان التحدي فيها بعشر سور.

د - الطور، وكان التحدي فيها بجملة القرآن.

ه - البقرة، وكان التحدي فيها بسورة.

بل وأكثر من هذا يجدد الشيخ رضا السور العشر التي رأى أن القرآن عناها بما جاء به التحدي في سورة هود وهي: الأعراف - يونس - هود - مريم - طه - الشعراء - النمل - القصص - ص - القمر. وهي السور التي جمعت بين القصص وقوة التعبير وجماله<sup>(١)</sup>.

ولا تخرج الدكتورة بنت الشاطيء في ترتيبها لآيات التحدي أو المعاجزة - كما سمتها - عما قاله الشيخ رضا، وإن كانت قد أضافت بعض إيضاحات بتعليقاتها على هذه الآيات.

وبهذا صار الترتيب عندها:

(١) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٣٢٦ - ٣٢٧.

أ - آية الإسراء المكية. وفيها إقرار ببشرية الرسول، وتحذ جهير لأولئك الذين أبوا إلا نفوراً واستكباراً.

ب - وبعدها نزلت آية يونس تتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فحسب مثل القرآن.

ج - بل لماذا لا يأتون عشر سور مثله مفتريات، وقد زعموا أن محمداً افتراء؟ بهذا تحذتهم آية هود التي نزلت بعد سورة يونس مباشرة.

د - بل لماذا لا يأتون - ولللغة لغتهم، والبيان طوع المستهم - بحديث مثله؟ كما تحذتهم آية الطور.

ه - وبعدها في مستهل العهد المدني نزلت آية البقرة أولى السور المدنية، والتحدي فيها بسورة من مثله، إنهاء لهذا الجدل الذي طال<sup>(١)</sup>.

٣ - ويرى سيد قطب أن فكرة التسلسل في التحدي من الكل إلى الجزء فكرة غير صائبة. وهو يرى أن التحدي كان يلاحظ حالة القائلين، وظروف القول. لأن القرآن كان يواجه حالات واقعة محددة مواجهة واقعية محددة. فأقى بالتحدي دون مراعاة التدرج في الكم؛ لأن التحدي كان بنوع القرآن لا بمقداره. وعندئذ يستوي الكل والبعض والsurah، ولا يلزم الترتيب. وإنما هو مقتضى الحالة التي يكون عليها المخاطبون، ونوع ما يقولون عن هذا القرآن في هذه الحالة. فهو الذي يجعل من المناسب أن يكون التحدي بسورة، أو عشر سور، أو بمثل هذا القرآن<sup>(٢)</sup>.

(١) الإعجاز البياني لبنت الشاطيء / ٥٨ - ٦٠.

(٢) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٣٥٧.

ولكن.. إلى من اتجه هذا التحدي؟

لابد أولاً من التفرقة بين إدراك المعجزة وبين المعاجزة. فإدراك المعجزة ميسر لكل العرب في عصر المبعث، لا ينفرد به بلغاؤهم دون عامتهم. أما المعاجزة فتحمل التحدي للإنس والجن جيئاً، لكن الخطاب فيها موجه إلى المشركين العرب الذين جادلوا في المعجزة. والمقام يقتضي أن من يتصدرون، للتحدي، إن استطاعوا، هم أعلى البلغاء مرتبة، وأقدرهم على البيان، إذ تفرض طبيعة الموقف ألا يتنتظر من عامة مشركي العرب التعرض لهذا التحدي. وإنما يندب له بطبيعة الحال من يتوهם في طاقته القدرة عليه. ومعنى هذا أن المعاجزة تمت في مواجهة أمراء البيان، وإن أطلق التحدي عاماً للناس جيئاً<sup>(١)</sup>.

سؤال آخر: هل كان التحدي موجهاً إلى العرب في عصر المبعث؟ أو أنه قائم أبداً على امتداد الزمان؟.

وللإجابة عن السؤال لا بد أولاً من التفرقة بين الإعجاز والتحدي. فالإعجاز قائم في كل العصور، باق على مر الدهور لا يختص به أهل زمان دون زمان. أما التحدي فكان للعرب في عصر المبعث؛ لتميزهم على غيرهم بما أوتوا من لسان عربي يدركون أسرار بيانيه. فمناط التحدي إذن هو عجز بلغاء العرب في عصر المبعث عن معارضنة القرآن دون أن يفهم من هذا أن حجة إعجازه خاصة بعصر دون عصر أو على العرب دون العجم. وما من شك في أن عجز البلغاء من العصر الأول عن معارضنة القرآن، وفيهم أصل الفصاحة برهان فاصل في قضية التحدي التي حسمت في عصر المبعث<sup>(٢)</sup>.

(١) الإعجاز البياني لبنت الشاطيء / ٦١.

(٢) السابق / ٦٥ - ٦٨.

سؤال آخر: لماذا كان التحدي؟

قيل بأن يأتوا بمثل القرآن في كل شيء. وقيل بمثله بياناً ولغة وأسلوباً. واختار الثاني الأستاذ محمود شاكر فقال: «إنما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه، لا شيء خارج عن ذلك. فما هو بتحدى بالإخبار بالغيب المكون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنزيله، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا شيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان»<sup>(١)</sup>.

ويكرر نفس المعنى في مكان آخر فيقول: «ما في القرآن من حقائق الأخبار عن الأمم السابقة، ومن آباء الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لا يعرفه البشر من أسرار الكون.. كل ذلك معزز بما طلبوها، وهو أن يستعينوا في لفظه وبيانه انفكاكه عن نظم البشر وبيانهم، وأنه كلام رب العالمين»<sup>(٢)</sup>.

وهو في هذا لا يختلف كثيراً عما قرره الشهاب الحفاجي من قبل حينما رأى أن المثل المتحدي به هو المائل في البلاغة، والأسلوب المعجز، وحسن النظم، وغرابة البيان<sup>(٣)</sup>.

ولم يذكر التاريخ أن أحداً قد أجب على هذا التحدي، وإنما ذكر خادج من محاولات ساذجة تمت على أيدي بعض المتبين أو الأدعية، وثبتت في مدها؛ لأنها معارضات لم تساو القرآن أو تقاربه، وإنما لاشتهر أمرها، ولقضت على سلطانه.

(١) مقدمته لكتاب الظاهرة القرآنية /١٧، ١٨.

(٢) السابق /٢٢.

(٣) فكرة إعجاز القرآن للحمصي /١٧٩.

وهكذا ظل تحدي القرآن للكافة دون تعقيب. وثبت أن إعجازه الأدبي قد أفحى فعلاً عبريات ذلك العصر .

### ٣ – قدر المعجز من القرآن :

تعددت الآراء حول هذه القضية :

١ – فقيل هو جميع القرآن. قال السيوطي : والآيات القرآنية ترده<sup>(٢)</sup>.

٢ – وقيل هو مقدار ما يؤدي فكرة كاملة. فربما نقص عن مقدار سورة الكوثر كآية: **﴿وَلَكُمْ فِي الْفِصَاصِ حَيَاةٌ يَنَاوِلُ الْأَلْبَابُ﴾**<sup>(٣)</sup>. وربما زاد عليها كثيراً، أو كان آية واحدة كآية المدaine<sup>(٤)</sup>.

وأصحاب هذا الرأي يقولون إن التحدي لم يقع بطلاق سورة، بل بسورة تبلغ مبلغاً يتبيّن فيه رتب ذوي البلاغة<sup>(٥)</sup>.

٣ – ويرى ابن قيم الجوزية أن أي سورة في القرآن معجزة؛ لأنها تحتوي على وجوه الإعجاز كلها، يتساوی في ذلك أطول سورة كالبقرة، وأقصر سورة كالكوثر. ثم أخذ يعدد أوجه الإعجاز في هذه السورة بعد أن أجملها في واحد وعشرين وجهاً<sup>(٦)</sup>. ومن هذا الرأي ابن كثير الذي صرّح بأن «كل سورة من القرآن معجزة لا يستطيع البشر معارضتها»،

(١) السابق / ٢٥ - ٢٧ ، والظاهرة القرآنية / ٢٣٠ ، ٢٣١ ، والمعجزة الكبرى لابو زهرة / ٧٦.

(٢) الإنقان / ١٢٣ / ٢.

(٣) القراءة / ١٧٩.

(٤) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٢٤.

(٥) السابق / ٣٧٧.

(٦) السابق / ١٤٤.

طويلة كانت أو قصيرة»<sup>(١)</sup>. ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في تأييد هذا الرأي: «وإذا قيل إن التكير في قوله: بسورة، يصدق على أصغر سورة وهي سورة الكوثر، وسلمنا أنه لا يظهر فيها اعجاز النظم والأسلوب، فلنا إنها معجزة بما فيها من الإيجاز، وخبرَي الغيب في أولها وأخرها»<sup>(٢)</sup>.

٤ - ويرى الفخر الرازي أن السور القصار ليست معجزة، وأن القول إن الإتيان بمثل سورة الكوثر، أو سورة العصر، أو قل يا نبيها الكافرون - خارج عن مقدار البشر يعد مكابرة<sup>(٣)</sup>. ولكنه أخرج نفسه من شبهة وصف بعض القرآن بعدم الإعجاز بقوله: «فإن بلغت السورة في الفصاحة حد الإعجاز فقد حصل المقصود. وإن لم يكن كذلك، كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزاً». وبذل جمع الرازي بين القول بالبلاغة، والقول بالصرفة.

٥ - أما ابن حزم الأندلسي فيرى أن أي مقدار من القرآن معجز، يتساوی في ذلك قليله وكثيره. وهو يرد على من قال بأن أقل المعجز مقدار أصغر سورة احتجاجاً بقوله تعالى: ﴿فَقُوْتاً سُورَةٌ مِّنْ مِثْلِهِ﴾<sup>(٤)</sup>. بما يأتي:

- أ - لم تقل الآية إن ما هو أقل من سورة ليس بمعجز.
- ب - ما هو المقصود بالسورة؟ فهو عدد آياتها؟ أم عدد كلماتها؟ أم عدد حروفها؟ فإذا كان المعجز سورة كاملة كانت سورة البقرة

(١) السابق / ١٥٠، والإتقان / ٢/ ١٢٣.

(٢) فكرة إعجاز القرآن للرحمي / ٣٢٠.

(٣) السابق / ١٥٠، ١٥١.

(٤) البقرة / ٢٣.

إلا آية منها غير معجزة. وإذا كان المعجز مقدار السورة آيات، وأقلها ثلاث، كانت آية المدائية غير معجزة، وكان **﴿وَالْفَجْرُ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ﴾**<sup>(١)</sup> معجزاً مثل سورة البقرة.. وذلك يبطل إعجاز: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾**<sup>(٢)</sup>. وهو نقض لقولهم إنه في أعلى درجات البلاغة، وإذا كان المعجز مقدار السورة ككلمات أو حروفًا، فذلك مردود عليه بقوله تعالى: **﴿فَأَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ﴾**<sup>(٣)</sup> لأنهم جعلوا معجزاً ما ليس بسورة، ولم يقل تعالى: مقدار سورة<sup>(٤)</sup>.

#### ٤ – الإعجاز البلاغي للقرآن:

رغم تعدد أوجه الإعجاز في القرآن يظل إعجازه البلاغي أو البياني أهم جانب من جوانب إعجازه<sup>(٥)</sup>. لأنه الواضح بالنسبة للعرب، ولأنه هو الذي شده به العرب عند أول نزوله فحيرهم، وهم المدركون لأساليبه، العارفون لمناهجه<sup>(٦)</sup> ومن أجل هذا جاءت المصنفات الأولى في الإعجاز أشبه بباحث بلاغية تتناول أبواباً قدروا أن إعجاز القرآن يعرف بها<sup>(٧)</sup>.

(١) الفجر ١ - ٣.

(٢) البقرة ١٧٩.

(٣) البقرة ٢٣.

(٤) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٨٢، ٨٣.

(٥) وهذا يقول ابن الأثير: إن الإعجاز سيبقى في البيان دون غيره، وإن ثبت أن هناك إشارات علمية أو عددية معجزة. (انظر: من أساليب البيان في القرآن لأبو حمدة ٤/٤).

(٦) المعجزة الكبرى لأبو زهرة ٩٧.

(٧) الإعجاز البياني لبنت الشاطئ ٦٩، ٧٢.

ويترفع عن هذا الوجه من الإعجاز وجه آخر - اعتبره الخطابي وجهاً مستقلاً من وجوه الإعجاز، وهو «صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس». فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منتبراً إذا قرع السمع خلص إلى القلب، وأنشأ فيه الروعة والمهابة، واستبشرت به النفوس، وانشرحت الصدور. وكم عدو للرسول أقبلوا يريدون اغتياله وقتلها، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وصارت عداوتهم موالة، وكفراً بهم إيماناً<sup>(١)</sup>.

والأخبار كثيرة ومستفيضة عن دهشة العرب أمام القرآن، وعن الأثر الفعال الذي كان يتركه سماع القرآن عليهم، كافرهم قبل مسلمهم:

١ - قصة إسلام عمر نفسه قصة تهز النفوس. فقد أسلم بعد أن سمع القرآن لأول مرة، فرق قلبه، ودخل في دين الله. لقد «خرج عمر يوماً متوضحاً بسيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه.. فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاد دينها، وسب أهتها، فأقتلها.. فقال نعيم: .. أفلأ ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: خاتك وابن عمك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد - والله - أسلماً.. ورجع عمر عامداً إلى أخته وخالته وعندهما خباب.. وقد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما. فلما دخل قال: ما هذه الهينية التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً. قال: بلى والله. ولقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه. وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة لتكلفه

(١) بيان إعجاز القرآن / ٦٤. ويقول الخطابي: وفي إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب.. الخ.

عن زوجها، فضررها فشجها. فلما فعل ذلك قالت له أخته: نعم، قد أسلمنا وأمننا بالله ورسوله، فاصنعوا ما بدا لك. فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع فارعو، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفًا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وقرأ من سورة طه: ﴿طَهُ مَا أَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَقَ﴾ . حتى بلغ ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾<sup>(١)</sup> ، فقال عمر: ما أحسن هذا الكلام وأروعه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه من مكتمه فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأحد العمررين (يعني بالأخر: عمرو بن هشام المعروف بأبي الحكم وبأبي جهل) .. فقال له عند ذلك عمر: دلي يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم..» وذهب إلى الرسول ﷺ وأسلم<sup>(٢)</sup>.

٢ - وإن خبر مشهور كذلك خبر تحرير النفر من قريش على رأسهم الوليد بن المغيرة في أمر القرآن وماذا يقولون فيه. لقد اثمرت قريش يومئذ حين حضر الموسم لكي يقولوا في هذا الذي يتلى عليهم وعلى الناس قوله واحدًا لا يختلفون فيه.. فلما آل الأمر إلى الوليد بن المغيرة رد كل أقوالهم بالحججة عليهم قائلاً: «والله إن لقوله حلاوة، وإن أصله لعنة، وإن فرعه جنة»<sup>(٣)</sup> . وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً (أنه كاهن أو مجنون أو شاعر أو ساحر) إلا عرف أنه باطل. وإن أترب القول فيه لأن تقولوا ما قاله أبو جهل بن هشام إنه ساحر جاء بقول يفرق بين المرأة وأبيه، وبين المرأة وأخيه، وبين المرأة وزوجه، وبين المرأة

(١) طه ١ - ٨.

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي / ٦٤، ٦٥، والتعبير الفني في القرآن لبكرى أمين / ٥ - ٦.

(٣) وفي رواية: إن له حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لعرق، وإن أعلىه لمشر (انظر البرهان الكاشف لابن الزملكانى / ٥٦).

وعشيرته»<sup>(١)</sup>.

٣ – وهذا مصعب بن عمير يسمع أسيد بن حُضير (وهو أحد كباري حي بني عبدالأشهل بيتر) بعض القرآن فيعلن إسلامه من فوره. وما زال أسيد بسعده بن معاذ (أحد كباري الحي نفسه) حتى صحبه إلى أسد بن زرار (الأنصاري الخزرجي).. . وحين طلب منه أن يسمع القرآن من مصعب، وتلا مصعب بعض الآيات نفذت إلى قلب ابن معاذ فمزقت عنه حجب الغفلة وغشاوة الضلال وأعلن إسلامه. وعاد إلى قومه يبلغهم بإسلامه «فوالله ما أمى في حي بني عبدالأشهل رجل أو امرأة إلا مسلماً ومسلمة».

٤ – وفي حديث العقبة نجد أن وفد الخزرج قد أسلم بمجرد أن تلا عليهم النبي آيات من القرآن. ثم لما عادوا إلى المدينة أظهروا الإسلام، فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن، حتى لقد قيل: «فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المدينة بالقرآن»<sup>(٢)</sup>.

٥ – وبعث الملا من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليعرض عليه أموراً أرسلوه بها، فقرأ عليه الرسول آيات من سورة فصلت، فعاد عتبة بعدها إلى قريش مأخذوا. فلما أقبل عتبة وأبصره قومه صالحوا: أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به<sup>(٣)</sup>.  
ومصدق هذا في قوله تعالى: «لَوْأَنَّا هَذَا أَلْقَاهُ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتُهُ

(١) الإعجاز البياني لبنت الشاطئ، عن السيرة لابن هشام، والظاهر القرآنية / ٤١، ٢٣، والتعبير الفي في القرآن للكري أمين / ١٤٦.

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي / ٦٤، ٦٥، ٦٤، والإعجاز البياني لبنت الشاطئ، عن السيرة لابن هشام / ٤١، ٣٥، ٣٦.

(٣) بيان إعجاز القرآن للخطابي / ٦٤، ٦٥، ٦٤، والإعجاز البياني لبنت الشاطئ، عن السيرة لابن هشام / ٤١، ٣٥، ٣٦. وانظر: المعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٧٠ - ٧٣، ومن أساليب البيان في القرآن لأبو حدة / ٨.

خَشِعَا مُتَصَدِّقًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>، وَفِي قَوْلِهِ: «اللَّهُ تَرَأَّسَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كَتَبَنَا مُتَشَدِّقًا مَثَانِي نَقْشَرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبِّهِمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>»، وَفِي قَوْلِهِ: «إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجَدًا، وَيَقُولُونَ سَبِّحُنَّ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَقْعُولًا. وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونَ وَيَرِيدُهُمْ خُشُوعًا<sup>(٣)</sup>».

فَمَاذا في القرآن من أوجه البلاغة التي فاق بها سائر البلاغات؟ وما مظاهر إعجازه البيان؟ وما المعنى الذي يتميز به لفظه عن سائر أنواع الكلام؟ .

لقد حار العلماء في الإجابة عن هذه الأسئلة، حتى اكتفى بعضهم بالقول «قد يوجد للكلام عدوة في السمع، وهشاشة في النفس دون أن يوقف لذلك على علة» وعقب الخطابي على ذلك بقوله: «وهذا لا يقنع ولا يشفي». وإنما هو إشكال أحيل به على إبراهيم<sup>(٤)</sup>. ومع ذلك فإن من اجتهد منهم اعترف بعجزه وقصوره، ولم يدع أنه اهتدى إلى أسرار الإعجاز القرآني، أو أحاط بجوانب الموضوع علمًا.

ومن بمجموع ما قيل يمكن استخلاص الأوجه الآتية على سبيل الإجمال:

١ - نظم حروفه، والثبات كلماته، وعجب تأليفه، ووضع كل لفظ موضعه على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، وتعليق هذه الألفاظ بعضها

(١) الحشر. ٢١.

(٢) الزمر. ٢٣.

(٣) الإسراء ١٠٧ - ١٠٩.

(٤) بيان إعجاز القرآن للخطابي/ ٢٢.

بعض، وبناء بعضها على بعض، وجعل هذه بسبب من تلك<sup>(١)</sup>، ومراعاة التلاويم بين معان الكلمات المفردة، واجتماعها منظومة لتوسيع معنى شاملًا.

وصدق الرافعي حين وصف نظم القرآن فذكر أن فيه عزة وغرابة جعلناه فوق محاولة تقليده: غريب تأليفه في بنائه، ونظامه الفريد الذي اتخذ في رصف حروفه، وكلماته وجمله وأياته قد خرجت به عن هيئة كل نظم تعاطاه الناس أو يتعاطونه<sup>(٢)</sup>.

٢ - خروجه عن المعهود من نظام كلام العرب وأوجه خطابهم، واختصاصه بأسلوبه التميز. واختلافه في تصرفه عن طرق كلامهم المعتمد، فهو ليس بشعر، ولا بكلام موزون غير مقفى، ولا بكلام مسجوع، ولا مرسل إرسالاً. ولكنك مع ذلك تقرأ بضع آيات منه فتشعر بتوقعه موزون من تتبع آياته.. وتتجدد في تركيب حروفه تناسقاً عجيباً.. بحيث يؤلف اجتماعها بعضها إلى بعض لحناً يفرض نفسه على صوت القارئ ..

وإذا كانت كل شطارة من شطرات الشعر لا تتصف بجمال النظم وحسن النسق إذا فصلت عن أختها، أو عنها يتبعها ويسبقها من شعر، فهو عكس ما هو مشاهد في القرآن من أن كل آية ذات نسق كامل، وبلاعنة لا مثيل لها، ومعان ساحرة لا يختلف في ذلك وجيزةها وتطويرها<sup>(٣)</sup>.

(١) إعجاز القرآن للرافعي / ٢٠٩ وما بعدها، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر / ٩٨، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٩٠، وفكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٨٩، ٣٧٦.

(٢) إعجاز القرآن للرافعي / ٢٠٩ وما بعدها.

(٣) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٥١، ٢٣٠، ٣٠٣، ٤٠٤، وإعجاز القرآن للباقلاني / ٦٦، ٦٧، ومن بلاغة القرآن / ٩١، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٩٠، ٩١، وإعجاز القرآن البayanى لحفني / ٣٥٣.

ويعبّر مالك بن نبي عن هذه الفكرة بأسلوبه الخاص فيقول: «تميّز اللغة الجاهلية بالتعبير الموسيقي الموزون في شكل أبيات من شعر، وبالتعابير المجازية التي تستعير عناصرها من سماء بلا سحاب، وصحراء بلا حدود.. وقد جاء القرآن فطوى بعقريته الخاصة هذه اللغة كيما يعبّر عن فكرة عالمية، واختار القرآن للتعبير عن هذه النكارة صورة جديدة هي الجملة. فالآلية القرآنية قد أقصت شعر البدائية جانباً، وإن ظل نسقه باقياً؛ إذ هي تحررت من الوزن فحسب، فاتسع مجالها»<sup>(١)</sup>.

٣ - مادة صوته وائلف حركاته وسكناته، وما يحيوه من إيقاع موسيقي، ولحن عجيب لا يوجد في أي كلام آخر. وفي هذا اللحن اتساق وائلف يشبه أثر الموسيقى والشعر، ويزيد عليهما أنه دائماً في لحن متنوع متجدد يطرد الملل منهَا تكررت التلاوة. وقد كان هذا هو أول شيء أحسّته الأذن العربية من يوم نزل القرآن، حتى خيل إليهم أنه شعر، لأنّهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة، أحذتهم منها هزة<sup>(٢)</sup>.

٤ - التحام أجزائه بعضها ببعض، سواء على مستوى السورة كلها، أو على مستوى الآية مع الآية التي تسبّقها أو تتبعها. وهذا الالتحام متوفّر على السواء في السور التي أنزلت آياتها متفرقة، أو نزلت آياتها دفعة واحدة. وما يشير الدّهشة حقاً أنه رغم نزول القرآن منجماً بحسب الحوادث، وكان النجم منها يوضع في مكان كذا من سورة كذا، ولا يراعي فيه التالي التاريخي للتزوّل، فقد يوضع نجم متّأخر قبل نجم

(١) الظاهرة القرآنية / ٢٣١.

(٢) المعجزة الكبرى لأبو زهرة / ١٠١، والتعبير الفني لبكري أمين / ١٨٦، وفكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٣٣٢، ٣٦٥، ٣٧٦.

متقدم - رغم هذا فقد تكون من هذا المجموع على هذه الصورة سور متكاملة في المعانى منسجمة في المباني، دون أن يكون فيها أدنى خلل.

وقد اختار الدكتور عبدالله دراز سورة البقرة - على طولها وكثرة نجومها وبعد الفترات بينها، وعدم توالي هذه النجوم في التزول بحسب ترتيب الآيات في السورة - ل يجعلها شاهداً على حسن الانسجام والارتباط. وقد أبدع الدكتور دراز في بيانه نظام عقد المعانى في السورة، وترتبط آيات كل قسم، وترتبط كل قسم مع ما قبله وبعده<sup>(١)</sup>. وختم دراسته بقوله: «لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه هو معجزة المعجزات»<sup>(٢)</sup>.

وقد تحدث العلماء كذلك عن وحدة السورة وتلامح أجزائها مهما تعددت أغراضها، وكثير تصريف الحديث، أو تلوين الخطاب فيها، ومما تنقلت بين الموضوعات المختلفة، من تشريع وقصص ومواعظ وحجاج ووعد ووعيد. فكان السورة في ائتلافها، وتناسق أجزائها بناء هندسي قد أحكم فيه، وزاد إتقانه، حتى صار كلا لا يتجزأ<sup>(٣)</sup>. كما تحدثوا عن التلامح، وعلو الأسلوب، وعدم التناقض الموجود في أوجه القراءات المختلفة. واعتبروا من الإعجاز تعدد القراءات والحرروف مع وحدة الأسلوب<sup>(٤)</sup>.

(١) النبا العظيم / ١٦٣ وما بعدها.

(٢) السابق / ٢١١. وانظر: فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ١٦٥، ٣٨٢، ٣٨٣، وإعجاز القرآن البياني لخفي / ٢٦٥.

(٣) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١٢، وإعجاز القرآن البياني لخفي / ٢٦٣. ومن بلاغة القرآن / ٥٢.

(٤) منهاج العرفان ١٤٢/١.

٥ — دقة تعبيره. وسلامة ألفاظه مما يشين اللفظ، واختيار كلماته بحيث لا يمكن إبدال الكلمة من القرآن بأخرى تnob عنها تماماً. فالقرآن شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدي به المعنى ليصور به ما حدث أو سيحدث أحسن تصوير وأبلغه. وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿يَسُوْمُونَكُمْ سُوَّاءَ الْعَذَابُ وَيُذْبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> فاختيار الفعل «ذبح» مع تضييف عينه للدلالة على كثرة القتل، ووحشية الصورة التي تم بها القتل. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَحَّافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَوْسًا قَطَرِيرًا. فَوَقَّنَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّنَهُمْ نَضْرَةً وَسَرْوَرًا﴾<sup>(٢)</sup>. فقد جاءت الكلمة «العوس» وصفاً لليوم للكشف عن نظر الكافرين إلى ذلك اليوم، وأنهم بجدونه عابساً مكفراً شديداً السواد بعد فقدتهم الأمل فيه. كما جاءت الكلمة «قطير» بجوارها لتزيد بثقلها الإحساس بثقل هذا اليوم. وجاءت كلمتا «نصرة» و«سرور» في المقابل لتعبرا بكل دقة عن المظهر الحسي لهؤلاء المؤمنين وما يbedo على وجوههم من إشراق، وما يملأ نفوسهم من بهجة<sup>(٣)</sup>.

وسبب هذه المزية التي ينفرد بها القرآن أن المعنى الواحد يمكن أن يعبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض. وكذلك كل واحد من جزأي الجملة قد يعبر عنه بأفضل ما يلائم الجزء الآخر. ولا بد من استحضار معاني الجمل، أو استحضار جميع ما يلائمها من ألفاظ، ثم استعمال أنسابها وأفضضلها. واستحضار هذا متعدد على البشر، وهو

(١) إبراهيم ٦.

(٢) الإنسان ١٠ ، ١١.

(٣) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٣٣٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، وإعجاز القرآن البصري لخني / ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٤١١ ، ٢٢٩ ، والإنقان للسيوطى ١٢٥/٢. وانظر ما سبق في فصل «أسرار التعبير القرآني».

حاضر وحاصل في علم الله.. ولذا كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه. يقول الخطابي: «إن علم البشر لا يحيط بجميع الأسماء والألفاظ التي هي ظروف المعانى وحوملها، ولا تدرك أفهمهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها، وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها، إلى أن يأتوا بكلام مثله»<sup>(١)</sup>.

٦ - تنوع موضوعاته، رغم ما قد يبدو في بعضها من تكرار. وأكثر ما يظهر ذلك في القصص القرآني الذي وإن بدا مكرراً، فإنه لم ينشئ في الحقيقة أي نوع من التكرار نظراً لتقديمه في صور مختلفة، وبأساليب متنوعة. فكل مشهد في القصة مختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته. وذلك لون من الإعجاز شبيه بالإعجاز في خلق ملايين الناس. كلهم ناس، ولكن لكل ساحتته وسمته في هذا المتحف الإلهي العجيب.

والحكمة من تكرار القصص القرآني تثبت بعض المعانى في الأذهان بأشكال متعددة. وكذلك التفنن في القول ليتجلى إعجاز القرآن، وقصور الطاقة البشرية عن تقليده. ومن أجل هذا لا تعثر في القرآن على معنى يتكرر حرفيأً، وبأسلوب واحد. ويلاحظ - مع تغير الأسلوب اللفظي - تغير طريقة التصوير والعرض. وخذ مثلاً على ذلك قصة نوح عليه السلام، واختلاف أسلوبها بين سورة هود<sup>(٢)</sup>، والقمر<sup>(٣)</sup> ونوح<sup>(٤)</sup>.

(١) بيان إعجاز القرآن للخطابي / ٢٤ . وانظر معركت القرآن للسيوطى ٢٨/١ .

(٢) انظر من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ - الآية ٢٥ وما بعدها.

(٣) انظر الآيات ٩ - ١٥ .

(٤) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٣٤٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

٧ - تصویره الفني، مع الإبداع في العرض، والجمال في التنسيق، والقوة في الأداء. وقد كان هذا هو الملح الثانى - إلى جانب الإيقاع الموسيقي - الذي لفت نظر العرب منذ اللحظة الأولى. وما يدل على ذلك أنهم سحرروا به منذ أول نزوله، دون أن يظهر إعجازه التشريعي، وصلاحيته لكل زمان ومكان، دون احتواء على أخبار الغيب، أو العلوم الكونية في خلق الإنسان والكون. وهذا يقول سيد قطب: «كانت السمة الأولى للتعبير القرآني اتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية، وإبرازها في صورة حسية، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية والحوادث الماضية والقصص المروية والأمثال القصصية ومشاهد القيامة وصور النعيم والعقاب والنهاج الإنسانية... كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخيل الحسي الذي يفعّلها بالحركة المتخيلة»<sup>(١)</sup>.

وقد ظهر بالإحصاء أن أكثر من ثلاثة أرباع القرآن يستخدم طريقة التصوير في التعبير. ولا يُستثنى من هذا إلا مواضع التشريع، وبعض مواضع الجدل، وقليل من الأغراض الأخرى التي تقتضي التقرير الذهني المجرد<sup>(٢)</sup>.

ويعبر عبدالقاهر الجرجاني عن هذه الفكرة حين يذكر أن القرآن يتميز بالصورة الجميلة التي تنقل المعنى من السذاجة إلى الخلية في التعبير، والجمال في الأداء<sup>(٣)</sup>.

(١) السابق / ٣٤٦.

(٢) السابق / ٣٤٧. وانظر إعجاز القرآن البياني لحفني / ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة ١٤٢.

(٣) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٨٦، ٨٧.

٨ - في القرآن ما هو أروع وأبدع من التألف اللفظي ، وهو النظر إلى دلالة الألفاظ من حيث هي أداة لتصوير المعاني ، ونقلها من نفس المتكلم إلى نفس السامع ، وهي أعظم الناحيتين أثراً في الإعجاز اللغوي . فاللغات تتفضل من حيث هي بيان أكثر مما هي أجراس وأنغام . وقد صيغت معانٍ القرآن بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم ، وعلى تباعد أزمنتهم وبلدانهم ، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم . فالآلية تعطي كلاماً منهم من معناها بقدر ما يفهم ، وما يفهم المتأخرون من معانيه . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْلَهَا﴾<sup>(١)</sup> . فالعربي العادي يفهم منها معنى الانبساط والاتساع . والمثقف يفهم منها معنى التكوير والاستدارة ، وكلاهما موجود في اللغة<sup>(٢)</sup> .

٩ - طور القرآن ألفاظ اللغة فقلها من قابلية التعبير عن الحياة البسيطة الخارجية والداخلية البدوي إلى قابلية التعبير عن الثقافة الجديدة ، والحياة الوليدة . فانتقلت اللغة العربية - في شكل طفرة - من المرحلة اللهجية الجاهلية إلى لغة منظمة فنياً . وبهذا أوجد القرآن ظاهرة فريدة في تاريخ اللغات . إذ لم يحدث للغة العربية تطور تدريجي ، بل شيء يشبه الانفجار الثوري المباغت<sup>(٣)</sup> .

١٠ - اشتمل القرآن على صور من البديع لا تجتمع في عمل أدبي واحد ، على نحو ما سنفصل القول في الفصل الخاص ببدائع القرآن .

(١) النازعات ٣٠ .

(٢) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٤٠٥ ، ٣٧٧ .

(٣) الظاهرة القرآنية / ٢٣١ - ٢٣٣ .

ولله در الزركشي الذي قدم في كتابه البرهان صورة فنية في وصف القرآن جاء فيها أنه «سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره. بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحتها على كل مقول، وتضافر إيمانه وإعجازه، وتباهت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه»<sup>(١)</sup>.

وصدق ابن حزم حين رفض عقد أي مقارنة بين بلاغة القرآن وبلاوغة أي مخلوق على وجه الأرض؛ لأن «القرآن في أعلى درجات البلاغة من حيث إن الله قد بلغ به ما أراد. فهو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها. وليس هو أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين؛ لأنه ليس من نوع كلامهم، لا من أعلىاته، ولا من أدناه، ولا من متوسطه»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) البرهان ٣/١، ٤.

(٢) فكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٨٢.

أهلاً وسهلاً

بـ

## ( الفصل الثالث )

### بدائع القرآن

#### ١ - مقدمة :

يعنى ببدائع القرآن ما فيه من ألوان البديع، وفنون البيان، ووجوه تحسين الكلام. وأشهر من كتب فيها ابن أبي الإصبع المصري (توفي ٤٦٥هـ) الذي ألف كتاباً أسماه «بديع القرآن» لإثبات إعجاز القرآن البياني<sup>(١)</sup>.

وليست ببدائع القرآن حلية تقترن، ولا زينة يستغنى عنها الكلام، ولا زخرفة يأتي دورها بعد استيفاء المعنى. وإنما هي سمات تبرز إلى الوجود - داخل نظم خاص به - الصور البينية والمحسنات البديعية دفعة واحدة. فكأنما هذا المحسن البديعي جاء في مكانه ليقوم بنصيبيه في أداء المعنى أولاً. أما ما فيه من جمال لفظي، فقد جاء من أن تلك الكلمة بالذات يتطلبها المعنى، ويقتضي المجيء بها<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان ابن أبي الإصبع قد سبق بعض البلاغيين الذين استشهدوا بعض آيات من القرآن على بعض الألوان البديعية، كابن المعتز، وأبي

---

(١) معرك القرآن للسيوطى . ٣٧٣ / ١.

(٢) من بلاغة القرآن لأحد بدوي / ١٨١ .

هلال العسكري والرماني - فإن ذلك لم يكن على سبيل الحصر لهذه الأنواع، كما هو الحال لديه<sup>(١)</sup>. وإذا كان كتاب الرماني (توفي ٢٣٨٦هـ) «النكت في إعجاز القرآن» قد حوى عشرة فنون اعتبرها أقسام البلاغة، فقد حوى كتاب ابن أبي الإصبع نحوً من مائة فن بديعي، لا تقتصر فقط على تلك الفنون التي ضمها فيما بعد «علم البديع»، وإنما تضم كذلك فنوناً من التعبير صفت فيما بعد تحت «علم المعانى»، أو «علم البيان»، كالمجاز والاستعارة والكناية والتمثيل والتشبيه والإيجاز والإطناب<sup>(٢)</sup>. بل ذكر السيوطي أن من العلماء من أوصل بدائع القرآن البلغة إلى مائتي نوع<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان قد وجد من بين الباحثين في إعجاز القرآن من أخرج الألوان البديعية من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن<sup>(٤)</sup> - فقد وجد من بينهم الفريق المقابل الذي حصر إعجاز القرآن في أدائه البياني، وفنه البديعي. ولكن معظمهم وقف موقفاً وسطاً، لا يستبعد فيه فنون البديع، ولكن - في نفس الوقت - لا يحصر مظاهر الإعجاز فيها.

ومن هؤلاء أبو بكر الباقلاني الذي بعد أن عرض لأوجه البلاغة عنده (هي هي أوجه البلاغة عند الرماني) أخذ يضرب أمثلة لها من القرآن والشعر والنثر. وربما بدأ بتقديم هذه الشواهد من كلام البشر ثم عقب عليها بقوله: «ونظير ذلك في القرآن»، أو «ومثله في القرآن»، مما يدل على أنه لا يمنع وجود المثل أو النظير للقرآن في هذه الفنون<sup>(٥)</sup>. كذلك يصرح

(١) إعجاز القرآن البياني لحفني / ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) انظر الإنقاذ للسيوطى / ٢ / ٨٣ .

(٣) معرك الأقران / ١ / ٣٧٣ .

(٤) إعجاز القرآن البياني لحفني / ١٢٧ .

(٥) الإعجاز البياني لبنت الشاطيء / ١٠٠ ، ١٠١ .

الباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن» بأن «كل ما يمكن تعلمه، وتهيأ تلقته، ويمكن تحصيله.. فلا يجب أن يطلب وقوع الإعجاز به»<sup>(١)</sup>. ويستنكر الباقلاني على بعض الناس أن «يأخذ إعجاز القرآن من وجوه البلاغة.. التي تسمى البديع»<sup>(٢)</sup>، أو أن يقول «إن بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الإعجاز من غير أن يقارنه ما يتصل به الكلام ويفضي إليه، مثلما يقول: إن ما أقسم به وحده بنفسه معجز، وإن التشبيه معجز، وإن التجنيس معجز، والمطابقة نفسها معجزة»<sup>(٣)</sup>. وينص الباقلاني التشبيه بالذكر فيقول: «أما الآية التي فيها ذكر التشبيه فإن أدعى إعجازها لأنفاظها ونظمها وتأليفها فإني لا أدفع ذلك، وأصححه. ولكن لا أدعى إعجازها لوضع التشبيه»<sup>(٤)</sup>.

ونستعرض الأن عدداً من هذه البدائع التي اشتمل عليها القرآن، والتي عاد جانب من إعجازه إليها، لنرى مالها من قيمة فنية، وما احتوته من مظاهر الإعجاز البياني.

## ٢ – التشبيه :

يكثُر التشبيه في القرآن الكريم، وهو يكثُر كذلك في لغة العرب. يقول المبرد: «لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد». وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم عبدالله بن محمد بن الحسين (توفي ٤٨٥هـ) في كتاب أسماء «الجمان»، في تشبيهات القرآن.

.٣٥٤ ص (١)

.٣٤٣ ص (٢)

.٣٤٤ ص (٣)

.٣٤٤ ص (٤)

وقد قال ابن أبي الإصبع في تعريف التشبيه: «هو إخراج الأغمض إلى الأظهر»، والغرض منه تأسيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي، ومن بعيد إلى قريب<sup>(١)</sup>.

وفي القرآن من روائع التشبيه الكثير، وهو يحقق إلى جانب الإيضاح، والانتقال من المجهول إلى المعلوم ميزات أخرى، مثل الاقتصاد في التعبير، والتأثير العاطفي، وإظهار شعور المتكلم نحو شيء ما.

وللتخييل القرآني خصائص كثيرة أهمها:

١ - استمداد عناصره، وانتزاع أجزائه من الطبيعة (حيوان - نبات - جاد) لتقريب الصورة وشدة إيضاحها، وتيسير إدراك جمالها على كل شخص. ومن ذلك تشبيهاته بالعرجون<sup>(٢)</sup>، وبأعجاز النخل<sup>(٣)</sup>، وبالعصف المأكول<sup>(٤)</sup>، وبالشجرة الطيبة<sup>(٥)</sup>، وبالحبة أبنت سبع سنابل<sup>(٦)</sup> (نبات)، وتشبيهاته بالعنكبوت<sup>(٧)</sup>، وبالحمار<sup>(٨)</sup>، والكلب<sup>(٩)</sup>، والفراش<sup>(١٠)</sup>.

(١) معترك الأفران للسيوطى ٢٦٩/١، والإتقان له ٤٢/٢، وبديع القرآن لابن أبي الإصبع / ٥٨.

(٢) قوله تعالى: «والقمر قدorna، منازل حتى عاد كالمرجون القديم» (بس ٣٩).

(٣) قوله تعالى: «تنزع الناس كأئم أعجاز نخل متقر» (القمر ٢٠).

(٤) قوله تعالى: «فجعلهم كصف ماكول» (الفيل ٥).

(٥) قوله تعالى: «ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة» (إبراهيم ٢٤).

(٦) قوله تعالى: «كمثل حبة أبنت سبع سنابل» (البقرة ٢٦١).

(٧) قوله تعالى: «كمثل العنكبوت اخذب بيته» (العنكبوت ٤١).

(٨) قوله تعالى: «مثلاً الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً» (الجمعة ٥).

(٩) قوله تعالى: «فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تركه يلهث» (الأعراف ١٧٦).

(١٠) قوله تعالى: «يُوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمُبْثُوثِ» (القارعة ٤).

والجِمَال<sup>(١)</sup>، والأنعام<sup>(٢)</sup> (حيوان)، وتشبيهاته بالعهن المنفوش<sup>(٣)</sup>،  
والجبال<sup>(٤)</sup>، والحجارة<sup>(٥)</sup>، والخشب<sup>(٦)</sup> (جاد)<sup>(٧)</sup>.

٢ - أنه ليس عنصراً إضافياً في الجملة، ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى  
بدونه. وهو ضروري في الجملة، ومطلوب للمعنى ليصبح قوياً.

٣ - دقته المتناهية. فالقرآن يصف ويقييد حتى تصبح الصورة دقيقة أخاذة  
واضحة. فهو لم يكتف في تشبيه الجبال يوم القيمة بالعهن، بل وصفه  
بالمتفوش.

٤ - ما يتصل به من دقة فائقة في اختيار الألفاظ المchorة الموحية. ومن  
ذلك تفضيل القرآن لكلمة «بنيان» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ  
يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَانُوكُمْ بَنِيَّنَ مِنْ صُوصٍ﴾<sup>(٨)</sup>، لما تثيره الكلمة في  
النفس من معاني الالتحام، والاتصال، والاجتماع القوي، مما لا يشار  
في النفس عند سماع كلمة «حائط»، أو «جدار» مثلاً<sup>(٩)</sup>.

٥ - تعديل المشبه به في بعض الأحيان مع وحدة المشبه، لمحأ لصلة تربط

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرِ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهَا جَاهَةٌ صَفْرٌ﴾ (المرسلات ٣٢، ٣٣).

(٢) قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْأَنْعَامُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الأعراف ١٧٩).

(٣) قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجَبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ﴾ (القارعة ٥).

(٤) قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تُحْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجَبَالِ﴾ (هود ٤٢).

(٥) قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْمَعْجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةَ﴾ (البقرة ٧٤).

(٦) قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مَسْنَدٌ﴾ (المائدون ٤).

(٧) التعبير الفني في القرآن لبكري أمين / ١٩٤، وإعجاز القرآن البياني لحفني شرف / ٣٢٣، ٣٢٤، ومن بلاغة القرآن لأحمد بدوي / ١٩٠، ١٩٦ وما بعدها.

(٨) الصف ٤.

(٩) الحاشية قبل السابقة. وانظر الجمان في تشبيهات القرآن لابن نافع البغدادي / ٣٤٩، ٣٥٠.

بين هذا الأمر وما يشبهه، من أجل تثبيت الفكرة في النفس، أو تسجيلها من عدة زوايا. ومن ذلك تصوير حيرة المنافقين واضطراب أمرهم، فإن هذه الحيرة يشتند تصورها لدى النفس إذا هي استحضرت صورة الساري قد أوقد ناراً تضيء طريقه، فعرف أين يمشي. ثم لم يلبث أن ذهب الضوء، وشمل المكان ظلاماً دامساً.. أو إذا استحضرت صورة هذا السائر تحت صيب من المطر، قد صحبه ظلمات ورعد وبرق.. وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَلِ الَّذِي أَسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَتِ الْيُّخْرُونَ .. أَوْ كَصَبَّ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلْمَتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ .. ﴾<sup>(١)</sup>.

وأهم ما يهدف إليه التشبيه القرآني التصوير والتأثير في العاطفة، فترغب أو ترهب. ولذلك كان للكافرين والمنافقين والمرشكين نصيب وافر من التشبيه الذي يزيد نفستهم وضوحاً. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ، يَجْعَلُ لَهُ أَصْدِرَهُ، ضَيْقَاهُ جَائِمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا، وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْ لَنِيْكَ كَالْأَنْعَمْ بِلَ هُمْ أَضَلُّ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وحين أراد أن يبين قدرة الله تعالى على أن يأتي بيوم القيمة بأسرع مما يتصور المتصورون جاء إلى أسرع ما يرى الرائي فاختنذه مثلاً يؤدي إلى الهدف المراد: ﴿ وَلَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا مِنْ أَسَاطِيرٍ إِلَّا كَمْحَ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) البقرة ١٧ - ١٩. وانظر من بلاغة القرآن / ٢٠٢.

(٢) الأنعام ١٢٥.

(٣) الأعراف ١٧٩.

(٤) النحل ٧٧.

وَحِينْ يَجِيءُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَسْتِيقْظُ النَّاسُ دُونَ أَنْ يَشْعُرُوا بِأَنَّهُمْ قَدْ مَضُوا عَلَيْهِمْ حِينْ طَوِيلٍ مِّنَ الدَّهْرِ مِنْذُ فَارَقُوا حَيَاتِهِمْ . وَبِوَرْدِ الْقُرْآنِ مِنَ التَّشْبِيهِ مَا يَصُورُ هَذِهِ الْحَالَةِ النُّفُسِيَّةِ فَيَقُولُ : « وَيَوْمَ يُخْرِسُهُمْ كَمَا أَنَّ لَمْ يَلْبِسُوهُ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ الْنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بِنَفْسِهِمْ »<sup>(١)</sup> ، وَيَقُولُ : « كَمَا هُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوهُ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ صُحْنَهَا »<sup>(٢)</sup> . وَحِينْ يَبْعَثُ النَّاسُ يَخْرُجُونَ مِنْ أَجْدَاهُمْ فِي كُثُرَةٍ لَا تَعْرِفُ النَّفْسُ مَدَاهَا ، فَيَرِسِّمُ الْقُرْآنُ الصُّورَةَ الَّتِي تَدْلِلُ عَلَى الْغَزَارةِ وَالْحُرْكَةِ وَالْأَبْنَاعِ فِي تَشْبِيهٍ بَدِيعٍ : « خُشَّعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَادِ كَمَا هُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ »<sup>(٣)</sup> . وَحِينَهَا يَرِيدُ تَصْوِيرَ ضَعْفِهِمْ وَتَهَافُطِهِمْ يَجِدُ فِي الْفَرَائِشِ صُورَهُمْ فَيَقُولُ : « يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَائِشِ الْمَبْثُوثِ »<sup>(٤)</sup> ; وَحِينْ يَرِيدُ تَصْوِيرَ مَا سَيْلَقَاهُ الْمُجْرَمُونَ مِنْ ذُلَّةٍ وَخُزْيٍ وَهُوَانٍ يَجْعَلُ طَعَامَهُمْ مِنْ شَجَرِ الرِّزْقِ يَتَناولُونَهُ فِي حِسْنَوْنَ بَنِيرَانَ تَحْرُقُ أَمْعَاهُمْ ، فَكَأْنُوا طَعَمُوا نَحَاسًا ذَائِبًا ، أَوْ زَيْتًا مُلْهَبًا : « إِنَّ شَهْرَتَ الْرِّزْقُومْ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمَهْلِ يَغْلِيُ فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ » . وَحِينْ يَشْتَدُ بَهْمُ الظَّمَاءِ ، وَيَسْتَغْشِيُونَ بِغَاثُونَ بَمَاءِ كَالنَّحَاسِ الذَّائِبِ ، أَوْ الرِّزْقُوتِ الْمُلْهَبِ يَشْوِي وَجْهَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغْشِيُوا يُغَاثُوا بِمَاءِ كَالْمَهْلِ يَسْوِي الْوُجُوهَ »<sup>(٥)</sup> . حَقًا إِنَّهُ تَشْبِيهٌ يُشَيرُ فِي النَّفْسِ الْخُوفِ وَالْأَنْزَاعِ .

وَهَكُذا نَرَى أَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ التَّشْبِيهِ فِي الْقُرْآنِ تَمْثِيلُ الْغَاثِبِ حَتَّى يَصْبِحَ حَاضِرًا ، وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ النَّاثِي حَتَّى يَصِيرُ قَرِيبًا دَانِيًّا<sup>(٦)</sup> .

(١) يُونُس ٤٥.

(٢) النَّازُعَاتِ ٤٦.

(٣) الْقَرْمَرِ ٧.

(٤) الْقَارِعَةِ ٤.

(٥) الدَّخَانِ ٤٣ - ٤٦.

(٦) الْكَهْفِ ٢٩.

(٧) مِنْ بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ / ٢٠٤ وَمَا بَعْدُهَا ، وَالتَّعْبِيرُ الْفَنِيُّ فِي الْقُرْآنِ لِبَكْرِيِّ أَمِينَ / ١٩٦ ، ١٩٧ .

وفي القرآن من أنواع التشبيه الكثير:

أ - ففيه من التشبيه البليغ، الذي حذفت منه أداته للمبالغة، كقوله تعالى **﴿وَأَزْوَاجُهُ أَمْهَاتِهِمْ﴾**<sup>(١)</sup>، وقوله: **﴿وَهِيَ تُمُرُّ مِنَ السَّحَابِ﴾**<sup>(٢)</sup>.

ب - وفيه من التشبيه المقلوب، الذي تدخل فيه الأداة على المشبه لا المشبه به قصدًا للمبالغة، فيجعل المشبه أصلًا، والمشبه به فرعًا، كقوله تعالى: **﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾**<sup>(٣)</sup>. إذ الأصل: «إِنما الربا مثل البيع» لأن الكلام في الربا لا في البيع. فعدلوا عن ذلك، وجعلوا الربا أصلًا ملحقاً به البيع في الجواز، وأنه الخليل بالحلل<sup>(٤)</sup>. ومثله قوله تعالى: **﴿أَفَنَ يَخْلُقُ كَمَنَ لَا يَخْلُقُ﴾**<sup>(٥)</sup>. فالمراد: «أفمن لا يخلق كمن يخلق»؛ لأن الخطاب لعبدة الأوثان، فخالف في خطابهم لأنهم بالغوا في عبادتهم وغلوا حتى صارت عبادة الأوثان عندهم أصلًا في العبادة، فجاء الرد على وفق ذلك<sup>(٦)</sup>.

ج - وفيه من تشبيه التمثيل الذي يبرز قوة التشبيه البينية، ويعطي الفكرة عن طريق الصورة التمثيلية المركبة الأجزاء، مما يتبع لها حرية الحركة، في حين لا يعدو التشبيه المفرد أن يكون صورة ساكنة لمنظر واحد. هذا بالإضافة إلى ما يتحققه عرض الصورة التمثيلية عقب الفكرة التي يراد توضيحها وتكييفها في ذهن السامع - ما يتحققه من تقديم الفكرة مصحوبة بالدليل، والدعوى متبوعة بالحججة.

(١) الأحزاب .٦

(٢) النمل .٨٨. وانظر الجمان / ١٦٠ .

(٣) البقرة .٢٧٥ .

(٤) معرك القرآن / ٢٧٤، وإعجاز القرآن البصري لحنى / ٣٣٠ .

(٥) التحلل .١٧ .

(٦) الحاشية قبل السابقة.

\* تأمل مثلاً قوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا النَّوْرَةَ كُمْ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمْلَى الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يُنْسَى مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَيْنِتِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. فقد يتوهم متوهם أن المعنى يفهم لو اقصر في التشبيه على «مثلهم كمثل الحمار الذي لا يعقل». ولكن الصورة تزداد قوة والتصاقاً حين يقرن بقية أجزائها إليها، من حمل الأسفار، وعدم الفقه بما فيها، واعتقاد أنها كبقية الأحوال تتغلب الكاهل، وتتجهد القوى. وذلك في جميع أبعاده يطابق حال اليهود، وقد منحوا التوراة لتكون لهم نبأ يستقون منه الحكمة والهداية. ولكنهم حملوها، واكتفوا بإثقال سواعدهم بها دون أن يتدبرونها. فتمام الصورة لا يحصل إلا بتجميع هذه الأجزاء، وإلحاق تلك القيود. ومن هنا تبرز الصورة قوية في التعبير، صادقة في الأداء.

\* ومثله قوله تعالى: «كَانُوكُمْ حُمَرٌ مُّسْتَنْفِرٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ»<sup>(٢)</sup>، تصويراً لنفرة الكفار من الدعوة الإسلامية. فلا يكفي في تصوير حالتهم وصفهم بالحمر. فهم يتصفون بصفة أخرى، وهي البعد عن الاسترشاد، ورفض الهداية، والابتعاد بسرعة عن الداعي لأن شيئاً يخthem على المرب. وهذه الحالة لا يكفي لتصويرها تشبيههم بالحمر، ولذا جاء بلفظ «مستنفرة» للإشارة إلى اندفاعها، سواء بنفسها أو غيرها. وزاد الصورة وضوحاً وتمكيناً في النفس حينما الحق بها جزئية الفرار من أسد هصور يطلبها طعاماً لأننيابه ومخالبه فتجدها تتفرق في كل مكان، هائمة على وجهها، والخوف الشديد يملأ صدرها<sup>(٣)</sup>.

(١) الجمعة ٥.

(٢) المدثر ٥٠، ٥١.

(٣) النكت للرماني ٧٨، وإعجاز القرآن البياني لحفني ٣٣٩، ومن أساليب البيان لأبو حمدة ٧٦، ١٠٠، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة ٢٦٩ وما بعدها.

\* ومثله قوله تعالى: «إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا وَأَزَّنَنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِنَّاتُ الْأَرْضِ مَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضُ زُنْفَهَا وَأَزْيَنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدْرُونَ عَلَيْهَا، أَتَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَتَغْرِي أَلَامِنِ»<sup>(١)</sup>. ففيه عشر جمل، وقد وقع التركيب من مجموعها، بحيث لو سقط منها شيء اختلف التشبيه. إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تفضيها، وانقراض نعيمها، واغترار الناس بها، بحال ماء نزل من السماء، وأنبت أنواع العشب، وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروش إذا أخذت الثياب الفاخرة. حتى إذا طمع أهلها فيها، وظنوا أنها مسلمة من الجوابع أتاها بأس الله فجأة فكانها لم تكن بالأمس.

وموضع الجمال الحقيقي في هذا المشهد - مشهد الحياة القصيرة التي توشك أن تزول - هو في تناسق هذه الجمل العشر، والصور التي تطويها كل جملة منها في أوقات يتناولت عرضها الخيالي طولاً وقصراً. فهناك مراحل أبطأ فيها التصوير وتمهل، ومنها ما اندفع فيها وأسرع حتى تم لهذا المشهد القرآني من الإعجاز بالألفاظ الجامدة ما لا يتم للفنان من الإبداع بالريشة والألوان.

لقد استخدمت في هذا المشهد الوسائل المقصرة لعرض مراحل النبات، وهي إلغاء التعقيبية التي تطوي المشاهد بسرعة عظيمة. ما كاد الماء ينزل من السماء حتى اختلط به نبات الأرض مباشرة، وأصبح فجأة في متناول الناس يأكلونه، والأنعام تتمتع به. ولكن أهل الأرض المتمتعين بنباتها البهيج يمتد بهم الغرور، ويلجؤون في اللهو، كأنهم يعيشون أبداً. غارقين في متعها، متغلبين

(١) يونس . ٢٤

في نعائتها، مسحورين بزخرفها، فاستخدمت «حتى» الدالة على امتداد الصورة امتداداً يعرف أوله ويجهل منتهاه.

وقد شخصت الأرض مرتين، وقامت بحركتين، إذ أخذت زخرفها، وأزيئت، كما تفعل العروس في يوم جلوتها. وهي قد تطلبت الزينة تطلبأً، وسعت إليها سعيأً، فلم تُزيَّن، وإنما أزيئت.

ومع ازدياد غرور الناس، وإيقانهم الكاذب بقدراتهم الخارقة على كل شيء، وتطاولهم.. صورت الأمadas الطويلة كأنها مضات خيالية تتلاشى كما تتلاشى الأطيف، ففي لحظة من ليل أو نهار يأتي تلك الأرض أمر الله، فيطوي تلك الأخيلة الكواذب.. في وقت كل مع البصر.. فصار النبات حصيناً هشياً تذروه الرياح<sup>(١)</sup>.

\* ومثله قوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ يُقَبِّعَةٌ يَحْسِبُهُ الْظَّمَآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدُ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>. فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ماتقع عليه، وجمع بينها: بطلان المتشوه مع شدة الحاجة وعظم الفاقة.. ولو قيل: «يحسبه الرائي ماء» ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغاً. وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأن الظمان أشد حرصاً على الماء، وتعلق قلب به. وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعدوية اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة؟.

\* قوله تعالى: «مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِرَبَّهُمْ كَرَمَادٍ أَشَدَّتْ بِهِ

(١) النكت للرماني / ٧٦، ٧٧ والإتقان لسيوطى ٤٢/٢، ٧٠، ومن أساليب البيان لأبو حمدة / ٧٠، ٩١، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ٢٦٣ - ٢٦٦ .

(٢) النور ٣٩.

**الرَّجُحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مَا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ**<sup>(١)</sup>. وهو تشبيه قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه. واجتماع المشبه والمشبه به في الهاك، وعدم الانتفاع، والعجز عن الاستدراك لما فات. وفي ذلك الحسرة العظيمة، والموعظة البليغة.

\* وكذلك قوله تعالى: **﴿أَعْلَمُوا أَنَّا حَيْوَةً الدُّنْيَا لَعْبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَانِيرٌ بَيْنَكُمْ، وَتَكَافِرُ فِي الْأُمَوَالِ وَالْأُولَادِ، كَثُلَّ غَيْثٌ أَغْبَبَ الْكُفَّارَ نَبَانُهُ﴾**<sup>(٢)</sup>. فقد أخرج فيه ما لم تغير به عادة إلى ما قد جرت به. وقد اجتمعا في شدة الإعجاب، ثم في التغيير بالانقلاب. وفي ذلك احتقار للدنيا، وتحذير من الاغترار بها، والسكون إليها<sup>(٣)</sup>.

وأسرار خلود تشبيهات القرآن كثيرة، منها:

١ - أنها تشتمل على عناصر قوية تحكمها من البقاء والاستمرار، ومتداها بعدد من الحيوية لا ينفد. فقد استمد القرآن عناصر هذه التشبيهات من الطبيعة نفسها، كما سبق أن ذكرنا، كما أن تماسك الصور التشبيهية في القرآن، هذا التماسك الشديد جعلها بحيث لو حاولنا فصل أحد أجزائها، لأنفطر عقد الصورة وانتشرت معالم الجمال فيها<sup>(٤)</sup>.

(١) إبراهيم ١٨.

(٢) الحديد ٢٠.

(٣) النكت للرماني / ٧٥ - ٧٧، ومن أساليب البيان لأبو حدة / ٥٧ وما بعدها و ٧٤ وما بعدها، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٢٦٢ وما بعدها.

(٤) إعجاز القرآن البياني لحفني / ٣٣٦، ٣٣٧.

٢ - أنها تعبّر عن الإحساس والشعور النفسي معاً، وترسم الصورة كما تحس بها النفس، وليس في شكلها الجامد الخارجي، ويتبّع هذا مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرُ قَدْرَنَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيمَ﴾<sup>(١)</sup>. فالعرجون القديم أقدر على تصوير القمر كما تراه العين وتحس به النفس. فالقمر بعد تنقله في منازله يصبح دقيقاً نحيلًا محدودياً كأنه كوكب تائه لا أهمية له. فالوصف بالقديم يصور هيئة الظل آخر الشهر، ويحمل إلى نفوسنا صالة حجمه وقوسه. ومثله قوله تعالى متحدثاً عن سفينة نوح: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجَبَالِ﴾<sup>(٢)</sup>. فالجبال تصور للعين هذه الأمواج الضخمة التي تبرز ما يحس بها ركاب السفينة من فزع. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَحُورُ عَيْنٍ كَامْثَلِ الْلَّؤْلُؤِ الْمَكْنُوبِ﴾<sup>(٣)</sup>. فليس اللؤلؤ المكنون لوناً فحسب، وإنما هو لون صافٌ حي فيه نقاء وهدوء. وهي أحجار كريمة تCHAN ومحرص عليها. وللنساء نصيّهن من الصيانة والحرص، وهن يتخدن من هذه الحجارة زينة لهن. فقربت بذلك الصلة، واشتدا ارتباطاً. فليس الحسن وحده هو الجامع والرابط، ولكن للنفس نصيب أيضاً<sup>(٤)</sup>.

٣ - أنها تحوي كثيراً من اللقطات الفنية التي تعزّز المعاني والمقدّسات، وتوظفها في خدمة النص. وهكذا تقوم القناطر باستمرار ما بين المعاني والنصوص من جهة، وعناصر البيئة المحلية من جهة أخرى.

(١) بس ٣٩.

(٢) هود ٤٢.

(٣) الواقعة ٢٢ ، ٢٣.

(٤) من بلاغة القرآن/ ١٩٢ وما بعدها، والتعبير الفني في القرآن ليكري أمين / ١٩٣ ، ١٩٤ . والجمان/ ٢١٥.

انظر مثلاً إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَكُنْتَهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَنَشَّلَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْكَهُ يَلْهَثُ ..﴾<sup>(١)</sup>. فنحن أمام توظيف جديد لعناصر البيئة الإنسانية، وفتح باب منتقل فيه من المعلوم إلى المجهول. إن نفسية الكافر وما يدور فيها من تهويات، وما يعتمل فيها من أفكار أمر يجهله المسلم لأنه لا يعلم ما في الصدور. ولكن المسلم يعلم أن الكلب يلهم إن حل عليه، ويلهم إن ترك، واللهath دليل ضعف وعجز.

وإذن فقد قامت قنطرة بين أمر كان مجهولاً، وهو أمر معنوي، وأمر محسوس معلوم. وبذا غدا التشبيه تقريراً إلى المسلم وشرحأً وإيضاحاً وقوة برهان. ثم إن المعلوم أمر محسوس موجود في كل زمان ومكان. كان موجوداً زمن الرسول، وهو قائم اليوم، وسيظل قائماً<sup>(٢)</sup>.

٤ - أنها تهدف من إلباس الأمر المعنوي ثوب الأمر المحسوس - وهو من أكثر التشبيهات وروداً في القرآن - جعل الصورة ظاهرة واضحة للعيان. انظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَآذَنَنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِسْتَىٰ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْبِغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِنَافِغِهِ ﴾<sup>(٣)</sup>. فالذين يعبدون غير الله تعالى، ويتعلقون بأوهام الاستجابة وتلبية

(١) الأعراف ١٧٦.

واللهث أن يخرج الحيوان لسانه مرطباً بلعابه في حال عطشه أو جوعه أو إعيائه، أو إهاجته وذعره. ويقولون إن أحسن أحوال الكلب أن يكون منه اللهث في كل أحواله. ولذا شبه القرآن حال من ينسليح من الهداية إلى الغواية، وما يصبح فيه من حال هياج مستمر، بحال الكلب في أحسن أحواله وأذله. (انظر المعجزة الكبرى لأبو زهرة/١٢٢). وهناك تفسير آخر لللهث بأنه التنفس الشديد الذي يلحق الحيوان من شدة الإعياء (انظر: الجمان/٥٠).

(٢) من أساليب البيان لأبر حمدة ٦٦، ٦٧.

(٣) الرعد ١٤.

الرغبات - وهو أمر يتصل بالمعتقدات الذاتية لكل إنسان، وهو أمر نفسي معنوي لا يقف على دخилته إلا رب العالمين - تشبه حا لهم حال من يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، وما هو ببالغه، وهو أمر محسوس موجود في كل بيته وكل زمان. وهكذا يكتسب المجهول لدى المسلم قوة الوضوح، من خلال المعلوم المحسوس الذي له قوة التجربة العلمية في التحقق والتثبت والمعاينة. ويقول سيد قطب: «وهي صورة تلح على الحس والوجدان، وتحتذب إليها الالتفات، فلا يستطيع أن يتحول عنها إلا بجهد ومشقة. وهي من أعجب الصور التي تستطيع أن ترسمها الألفاظ»<sup>(١)</sup>. وكذلك قوله تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِبِّاً صَرِّصَرًا فِي يَوْمٍ تَحِسُّ مُسْتَمِرٌ، تَنْزِعُ النَّاسَ كَانُوهُمْ أَجْحَازٌ تَحْلِي مُنْقَعِرٍ»<sup>(٢)</sup>. فلما كان إهلاك الله قوم عاد بالرياح التي تقلع الناس وتقتلهم من المشاهد الرهيبة التي طواها الزمن السحيق، ولم يعد يحيط به خبرا إلا رب العالمين، فإن قنطرة المشابهة قامت بنقل مدينة الأشباح وأثار القوم إلينا عبر صورة حسية مألوفة ومعلومة تجري العادة بثيلها وتتوفر في كل زمان ومكان ينبع في النخل. وهكذا نقلت أسرار الماضي عبر صورة حسية لها قوة التجربة. ومع ذلك زخرت الصورة بعدد من الإيحاءات النفسية. ففي اختيار النخل إيحاء بطول أجسام القوم، كما جاء في مكان آخر من القرآن «وَزَادَ كُرْبَةً فِي أَنْخَلْقَ بَصَّطَةً»<sup>(٣)</sup>. كما أن قوله تعالى: «تَنْزِعُ النَّاسَ» مليء بالإيحاء أيضا؛ إذ لم تجر العادة بأن تصل الريح إلى داخل البيوت وأن ترفع أهلها

(١) من أساليب البيان لأبو حمدة، ٦٨، ٦٩، وانظر التصوير الفني في القرآن لسيد قطب، ٣٥، والجهاز ٩٦.

(٢) القمر، ١٩، ٢٠.

(٣) الأعراف، ٦٩.

وتحملهم بقوة، ثم تلقاهم على الأرض جثثاً هامدة. كما أن في التعبير بـ«تنزع» إيحاء آخر بما كان لقوم عاد من استقرار ورسوخ وعكن في الأرض<sup>(١)</sup>.

### ٣ – الاستعارة:

تلجاً اللغة إلى الاستعارة لتحقيق مبدأ اقتصادي. فبدلاً من وضع لفظ جديد لكل معنى جديد – وهو ما لا سبيل إليه – تلجاً اللغة إلى الاستعارة، فتنتقل اللفظ من معناه الذي وضع له في أصل اللغة إلى معنى آخر له صلة وثيقة بالمعنى الأول<sup>(٢)</sup>.

وتتجاوز استعارات القرآن هذا الهدف القريب، فلا تجد استعارة فيه إلا وهي مستخدمة استخداماً فنياً يجعلها جزءاً متلاحماً مع سائر أجزاء البناء الذي وردت فيه؛ وهذا قيل إن سر جمال الاستعارة القرآنية يتمثل في حسن تصويرها، وإيصالها للمعنى، وإيجازها في أدائه، و اختيار ألفاظها، ليتألف بعضها مع بعض من ناحية، ولتألف مع معانيها من ناحية أخرى، و مراعاة حسن تشبيهها الذي بنيت عليه، ووضع الأمور المعنية في صورة حسية<sup>(٣)</sup>.

وتعد الاستعارة لوناً من ألوان التصوير القرآني الشائعة فيه، وأداة من

(١) من أساليب البيان لأبو حمدة/ ٧٠ - ٧٢. وهناك استيعابات أخرى يمكن الشعور بها من خلال كلمة «متقرع»، وتذكر كلمة «نخل» (السابق/ ٧٣).  
وانظر أمثلة أخرى في: المعجزة الكبرى لأبو زهرة، فصل «التشبيه في القرآن» ص ٢٦٠ وما بعدها، ومن أساليب البيان لأبو حمدة، تحت عنوان «تشبيه التمثيل في القرآن الكريم» ص ٩١ وما بعدها.

(٢) من أساليب البيان لأبو حمدة/ ١٢٨.

(٣) إعجاز القرآن البياني لخفي/ ٢٤٢، والتعبير الفي في القرآن لبكري أمين/ ١٩٩، ٢٠٠.

الأدوات المفضلة لديه، من خلالها يعبر عن المعقول والمعنوي بأمر محسوس، فيصبح كأنه ملموس مرئي. فضلاً عنها تحمله الكلمة من إيحاءات عاطفية إضافية. وقد يتجه القرآن إلى التعبير بصورة استعارية أدخل في مفهوم الحسيّة وأوغّل في باب التخييل فيستخدم التشخيص حين يخلع على المعنويات أو الجمادات صفات الكائن الحي.

وحسينا أن نقف عند بعض الاستعارات القرآنية لنكتشف ملامح جمالها، ونتبع أسرار تفضيلها على مقابلاتها من الحقيقة:

\* قال تعالى: **﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمَتِ إِلَى النُّورِ﴾**<sup>(١)</sup>، مراداً بها الكفر والإيمان. وجع الظلمات يصور لنا إلى أي مدى ينبعهم الطريق أمام الضال فلا يهتدى إلى الحق وسط هذا الظلام المترافق. فتأمل قوة التعبير بالظلمات والنور.

\* وقال: **﴿رَبَّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبَرًا﴾**<sup>(٢)</sup>. تأمل الفعل «أفرغ» وما يثيره في النفس من الطمأنينة التي يحس بها من هدا جسمه بما يلقى عليه. وهذه الراحة تشبيها تلك الراحة النفسية ينالها من منح هبة الصبر الجميل. بالإضافة إلى أن «أفرغ» توحى باللين والرفق بخلاف ما استعمله مع العذاب مثل كلمة «صب»<sup>(٣)</sup> التي هي مؤذنة بالشدة والقوة معاً<sup>(٤)</sup>.

\* وقال: **﴿وَرَكَنَّا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمْوِحُ فِي بَعْضٍ﴾**<sup>(٥)</sup>. فأصل الموج حركة الماء، فاستعمل في حركتهم على سبيل الاستعارة، لاشراك الحركتين في

(١) إبراهيم ١.

(٢) الأعراف ١٢٦.

(٣) قوله تعالى: **﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾** (الفجر ١٣).

(٤) التعبير الفي في القرآن لبكرى أمين / ١٩٨، ١٩٩.

(٥) الكهف ٩٩.

سرعة الاضطراب والتتابع في كثرة<sup>(١)</sup>. هذا بالإضافة إلى أن تصوير الجموع المحتشد من الناس احتشاداً لا تدرك العين مداه في صورة الموج المتلاطم تضع النفس في مواجهة البحر الذي ترى العين منه ما ترى من حركة وتموج واضطراب لكن دون أن تحيط بأبعاده أو تبصر نهايته.

\* وقال: «رَبِّ إِنِّي وَهَنَ أَعَظُّمُ مِنِّي وَأَشْتَعِلَ أَرَأْسُ شَبَّيَا»<sup>(٢)</sup>. فكلمة «اشتعل» لا تقف عند معنى الانتشار فحسب، ولكنها تحمل معنى دبيب الشيب في الرأس في بطء وثبات، كما تدب النار في الفحم مبطئة، ولكن في دأب واستمرار. حتى إذا ما تمكن من الوقود اشتعلت في قوة لا تبقي ولا تذر، كما يحرق الشيب ما يجاوره من شعر الشباب حتى لا يذر شيئاً إلا التهمه وأق عليه<sup>(٣)</sup>. هذا بالإضافة إلى ما يدل عليه من انتشار لا يمكن تلافيه كاشتعال النار.

\* وقال: «إِنَّا لَمَا طَغَى الْمَاءُ حَلَّنَاكُمْ فِي الْجَلَرَيَةِ»<sup>(٤)</sup>. حقيقته: علا. والاستعارة أبلغ لأن «طغي»: علا قاهراً. وهو مبالغة في عظم الحال.

\* وقال: «وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ»<sup>(٥)</sup>. حقيقته: انتفى الغضب. والاستعارة أبلغ لأنه انتفى انتفاء مراصد بالعودة. فهو كالسكت على مراصدة الكلام، بما توجبه الحكمة في الحال<sup>(٦)</sup>. ويجتمع مع الاستعارة التجسيم، فكأن الغضب إنسان يدفع موسى إلى الثورة والانفعال ثم يكف.

(١) الإنchan ٢/٤٤، ومن بلاغة القرآن/٢١٨.

(٢) مريم .٤

(٣) التبيير الفني في القرآن لبكري أمين/ ١٩٨.

(٤) الحاقة ١١.

(٥) الأعراف ١٥٤.

(٦) النكت للرماني / ٨٠ - ٨٢، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٢٨١ ، ٢٨٠.

ويحقق تجسيم المعنى، وخلع العقل والحياة على الجماد زيادة في تصوير المعنى وتمثيله للنفس، وإبراز المعقول في صورة المحسوس. ومن ذلك أيضاً:

\* قوله تعالى: **﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَسَّسَ﴾**<sup>(١)</sup>. فإلى جانب ما فيه من استعارة خروج النفس شيئاً فشيئاً خروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلاً قليلاً - فيه تشخيص خلع الحياة على الصبح، حتى لقد صار كائناً حياً يتنفس، بل إنساناً ذا عواطف وخلجات نفسية تشرق الحياة بإشرافه من ثغره المنفرج عن ابتسامة وديعة<sup>(٢)</sup>.

\* قوله تعالى: **﴿بَلْ نَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾**<sup>(٣)</sup> . ففضلاً عما في الآية من تشخيص فإن الاستعارة تحقق المبالغة من جانب أن «القذف» أبلغ من «الإيراد» لأن فيه شدة الواقع. وفي شدة الواقع بيان القهر. وهو هنا إزالة الباطل على جهة الحجة، لا على جهة الشك والارتياح. و«الدمغ» أبلغ من «الإذهاب» وأشد، لأن في الدمغ من شدة التأثير وقوته النكارة ما ليس في الإذهاب<sup>(٤)</sup> . هذا بالإضافة إلى ما في «الدمغ» من معنى إصابة الدماغ، وتحطيم الرأس، مما يوحى بتلك المعركة التي تتشبّه بين الحق والباطل، ويتصحر فيها الحق<sup>(٥)</sup>.

\* قوله تعالى: **﴿إِذَا أَقْوَاهُمْ سَمِعُوا هَـا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُهُ تَكَادُ تَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ..﴾**<sup>(٦)</sup> . ففي هذا تعقل للجهاد بقصد الإشعار بشدة ما جناه

(١) التكوير ١٨.

(٢) مباحث في علوم القرآن لصحيحي الصالح / ٢٦٦.

(٣) الأنبياء ١٨.

(٤) التعبير الفي لبكري أمين / ١٩٨ ، ١٩٩ ، ومن أساليب البيان لأبو حمدة / ١٤١.

(٥) من بلاغة القرآن / ٢١٩ ، وفكرة إعجاز القرآن للحمصي / ٤١٥.

(٦) الملك ٧ ، ٨.

أولئك الكفرا، حتى لقد شعر به واغتناظ منه هذا الذي لا يحس<sup>(١)</sup>.

#### ٤ – الكنية والتعريض:

الكنية لفظ أريد به لازم معناه. وليس هناك ما يمنع من أن يراد به  
- إلى جانب ذلك - معناه الحقيقي.

أما التعريض فهو لفظ استعمل في معناه للتلويع بغيره<sup>(٢)</sup>.

وتقوم الكنية في القرآن بنصيتها كاملاً في أداء المعاني خير أداء،  
وتصویرها أفضل تصویر. وهي حيناً راسمة مصورة موحية، وحياناً مؤدية  
مهذبة تتجنب ما ينبو على الأذن ساعده، وحياناً موجزة تنقل المعنى وافياً في  
لفظ قليل. ولا تستطيع الحقيقة أن تؤدي المعاني كما تؤديها الكنية في  
الموضع التي وردت فيها في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

وقد أجمع البلاغيون - كما يقول عبدالقاهر - على أن الكنية أبلغ من  
الإصلاح، والتعريض أوقع من التصریع. وهم - مع ذلك - ما يجري فيه  
التفاصل، ويقع التفاوت<sup>(٤)</sup>. وقد حفل القرآن الكريم بضروب شتى من  
الكنية والتعريض، وهم دائماً في المرتبة العليا من البيان، والمكانة العظمى  
من التصویر.

فمما جاء من الكنيات في القرآن مصوراً موحياً:

(١) من بلاغة القرآن / ٢٢١ ، والتعبير الفني في القرآن لبكرى أمين / ١٩٩ ، والمعجزة الكبرى  
لأبو زهرة / ٢٧٧ وما بعدها.

(٢) معرك الأقران / ١، ٢٩٢ ، والإتقان ٢/٤٧ ، ٤٨ .

(٣) من بلاغة القرآن / ٢٢٦ ، والتعبير الفني في القرآن لبكرى أمين / ٢٠٢ .

(٤) معرك الأقران / ١، ٢٨٦ ، ومن أساليب البيان لأبو حمدة / ١٥٥ .

\* قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِنْ عُنْقَكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ أَبْسِطِ﴾<sup>(١)</sup>. فالتعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق فيه تصوير محسوس لهذه الخلة المذمومة في صورة بغية منفرة، فهي يد لا تستطيع أن تمتد بإنفاق أو عطية. كما أن التعبير بالبسط يصور هذا المبذر الذي لا يقي من ماله على شيء، كهذا الذي يبسط يده فلا يبقى بها شيء.

\* وكذلك تمثيل الآية: ﴿ أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلْ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُتُمُوهُ﴾<sup>(٢)</sup> الغيبة بأكل لحم الإنسان الميت. إنه ليس أي إنسان، إنه أخ. وأنت حين تغتاب تأكل لحم أخيك، وإنه ليس أي لحم، إنه لحم ميت متفسخ متتن. فمن يستطيع أكل لحم أخي ميت متفسخ؟<sup>(٣)</sup>.  
ومن جاء منها مؤدياً مهدباً مستخدماً الرمز والإيماء، ومتجنباً ما ينبو عن الأذن سماعيه:

\* قوله تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّرُ صِدِيقَةً كَانَتِ يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾<sup>(٤)</sup>. إن الكناية في قوله : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾. فهو لم يرد المعنى الذي يتadar إلى الذهن أولاً، وإنما أراد ما وراء الأكل وتلك هي الكناية. لقد وصف الله المسيح عليه السلام بصفات البشر فعبر عن ذلك بأكل الطعام، وفي ذلك أدب رفيع، وذوق عال، ورقة ما بعدها مزيد. فأكل الطعام يحتاج إلى هضم. والمهضوم يسري إلى الجسد منه شيء، ويزيد منه شيء. وهذا المتبقى يخرج من سبله المعلوم.

(١) الأسراء ٢٩.

(٢) الحجرات ١٢.

(٣) من بلاغة القرآن / ٢٢٦، ٢٢٧، والتعبير الفني في القرآن لبكري أمين / ٢٠٢.

(٤) المائدة ٧٥.

\* ومن هذا النوع كذلك ما اتبعه القرآن حين أراد التعبير عن الغاية من العاشرة الزوجية وهي التناسل، فقد رمز إلى ذلك «بالحرث»: «نَسَاءُكُنْ حَرَثٌ لَكُمْ»<sup>(١)</sup>. ويكمel وصف تلك العلاقة بما فيها من مخالطة وملابسة بأنها لباس «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ»<sup>(٢)</sup>. ومن هذا الباب: الإيماء اللطيف الذي يعلمنا أدب التعبير في «أَوْلَادَنَسْتُمُ النِّسَاءَ»<sup>(٣)</sup>، «أَحَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَاءِكُمْ»<sup>(٤)</sup>، «فَلَمَّا تَغَشَنَهَا حَلَّتْ حَلَّا خَفِيفًا»<sup>(٥)</sup>. ومن أجمل الكنایات في هذا المعنى «وَالَّذِينَ هُمْ فِرُوجُهُمْ حَفَظُونَ»<sup>(٦)</sup>، «وَالْحَفَظِينَ فُرُوجُهُمْ وَالْحَفَظَتِ»<sup>(٧)</sup>.. لأن المراد بالفروج هنا فروج القمصان والثياب. فما تندرج ثياب المؤمنين عن ريبة، ولا تنكشف دروع المؤمنات عن منكر<sup>(٨)</sup>.

\* ومنه التكنيّة عن المرأة بالنعجة في قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا أَئِمَّى لَهُ تَسْعَ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً وَلَى نَعْجَةً وَاحِدَةً»<sup>(٩)</sup>. فعادة العرب - وبخاصة الملوك والأشراف منهم - ألا يصرحوا بذكر النساء، ولا يتذلّلوا أسماءهم. ولذا تعددت الكنایات عن الزوجة في لغة العرب<sup>(١٠)</sup>.

(١) البقرة . ٢٢٣.

(٢) البقرة . ١٨٧.

(٣) النساء . ٤٣.

(٤) البقرة . ١٨٧.

(٥) الأعراف . ١٨٩.

(٦) المؤمنون . ٥.

(٧) الأحزاب . ٣٥.

(٨) مباحث في علوم القرآن لصحيhi الصالح / ٢٧٥ ، والإتقان ٤٧/٢ ، ومن بلاغة القرآن . ٢٢٧/

(٩) ص . ٢٣.

(١٠) الإتقان . ٤٧/٢.

وما جاء لاختصار المقدمات التي لا أهمية لها، بالتبنيه على النتيجة الخامسة التي يتقرر فيها المصير قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآءِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾<sup>(۱)</sup> ، فهذه كنایة عن أنه جهنمي، وأن مصيره إلى اللهب. وقوله: ﴿حَالَةً أَلْحَطِبِ﴾ في جيدها حابل من مسد<sup>(۲)</sup> . فهذه التي تسعى بالنميمة مصيرها أن تكون حطباً لجهنم، وأن تكون مغلولة اليد<sup>(۳)</sup> . ومن الكنایة الموجزة كذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَرْ تَقْعُلُوا وَلَنْ تَقْعُلُوا﴾<sup>(۴)</sup> ، أي فيان لم تأتوا بسورة من مثله، ولن تستطعوا أن تأتوا بسورة من مثله...<sup>(۵)</sup> .

وقد جاءت كنایات القرآن من أجل تحسين اللفظ، كما في قوله تعالى كنایة عن حرائر النساء: ﴿كَانُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾<sup>(۶)</sup> ، أو من أجل المبالغة، كقوله تعالى كنایة عن النساء: ﴿أَوَمَنْ يَنْشُؤُ فِي الْخَلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخُصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾<sup>(۷)</sup> . فقد كانت نساء العرب ينشأن في ترفة وتزيين شاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني. وفي هذا من المبالغة والبلاغة مالا يظهر في لفظ النساء<sup>(۸)</sup> .

أما التعریض فقد جاء أكثر ما جاء في القرآن بقصد الذم أو التهكم، كقوله تعالى: ﴿Qَالَّذِي قَالَ يَلْقَأُ فَعَلَمَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَعَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا

(۱) المسد ۱.

(۲) المسد ۴ ، ۵.

(۳) مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح / ۲۷۶ .

(۴) البقرة ۲۴ .

(۵) من بلاغة القرآن / ۲۲۸ .

(۶) الصافات ۴۹ . وانظر إعجاز القرآن البياني لحفني / ۳۴۹ .

(۷) الزخرف ۱۸ .

(۸) الإتقان ۲/ ۴۷ ، وإعجاز القرآن لحفني / ۳۴۹ ، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة / ۲۹۲ وما بعدها.

**يَنْطِقُونَ** <sup>(١)</sup>. ففي نسبة الفعل إلى كبير الأصنام تعريض بأن الصغار لا تصلح أن تكون آلة لأنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، وإن الكبير لا يصلح أن يكون لها لعجزه أن ينهض بمثل هذا العمل. وقوله تعالى: **«إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** <sup>(٢)</sup>، فهو تعريض بذم الكفار بأنهم كالبهائم الذين لا يتذكرون. وفي هذا دفع للسامع إلى التفكير العميق حتى لا يكون من لا يتذكر <sup>(٣)</sup>.

وجاء التعريض كذلك للتلطف وترك المخاشنة، كما في قوله تعالى:  
**«وَمَالَى لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي** <sup>(٤)</sup>، أي: ومالكم لا تعبدون.. وقوله:  
**«أَنْخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا** <sup>(٥)</sup>: ووجه حسنه إساع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه، إذ لم يصرح بنيته للباطل، وكذلك إعانته على قبوله، إذ لم يُرد له إلا ما أراده لنفسه <sup>(٦)</sup>.

## ٥ – المثل:

المثل قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله. وفائدة أنه يبرز العقول في صورة المحسوس، ويكشف عن الحقائق، ويقرب المعاني إلى الأفهام، ويعرض الغائب في صورة الحاضر، ويجمع المعنى الرائع في العبارة الموجزة السهلة، ويثبت المعنى في

١) الأنبياء .٦٣

٢) الرعد .١٩

٣) معرك القرآن /١ ، ٢٨٧/١ ، والإتقان ٤٨/٢ ، ٤٩ ، ومن بلاغة القرآن /٢٢٨.

٤) يس .٢٢

٥) يس .٢٣

٦) معرك القرآن ٢٩٢/١ .

الذهن، ويسهل طريق الوعظ والتأسي، ويدفع إلى الاقتناع بأوجز سبيل<sup>(١)</sup>.

وقد يطلق المثل كذلك على كل حكمة سائرة، أو كل ما يحسن من الكلام أن يتمثل به. كما أنه قد يطلق على الصورة البينية المستخدمة للتوضيح فكرة ما، سواء كانت تشبيهاً أو استعارة<sup>(٢)</sup>.

وقد أفرد أمثال القرآن بالتصنيف كثيرون منهم نفطويه (توفي ٣٢٣هـ)، وعلي بن محمد الماوردي (توفي ٤٥٠هـ)، وابن قيم الجوزية (توفي ٧٥١هـ)<sup>(٣)</sup>.

وقد جاء كثير من أمثال القرآن في شكل لوحة فنية تصور مشاهد الطبيعة، وقد تأخذ طابع القصة بما فيها من تفصيل وبسط للصورة على غير عادة العرب. فالعرب مثلاً يضربون المثل للأمل الخادع بالسراب. ولكن القرآن يفضل الصورة فيقول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَارِبٍ بِقِعَةٍ يَخْسِبُهُ الظَّمَآنُ مَا ظَاهَرٌ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْفَنَهُ حِسَابُهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد اتخذ القرآن الأمثال وسيلة من وسائل الوعظ والهدایة، كما يبدو من الآيات التالية:

\* ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلًا أَنْخَبَ الْقَرَرِيَّةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup> إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ أَنْشِئَنِ

(١) معرك الأقران ١/٤٦٥، والتعبير الفني في القرآن لبكري أمين / ٢٣١.

(٢) الأمثال في القرآن لابن قيم الجوزية / ١٨ - ٢٠ .

(٣) معرك الأقران ١/٤٦٤، والأمثال في القرآن / ٢٣ .

(٤) النور ٣٩ . وانظر فكرة إعجاز القرآن للمحصي / ٤١٨ .

**فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزَنَا بِنَالِثٍ ..** ) إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والغرض من هذا المثل تصوير حادثة من الحوادث بقصد التأديب أو التحذير أو تبيان طريقة السلوك. وهو كلام مطب بالسبة للمثل السائر. وهو يجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.. إنه قصة بأكمالها جاءت في صورة مثل، وقصد بها التأديب والإرشاد.

\* **﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَلُوا النَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْلُوْهَا كَثُلَ الْحَمَارِ يَحْمُلُ أَسْفَارًا﴾**<sup>(٢)</sup>.

فقد شبه الله حال اليهود وقد حلوا التوراة وقرؤوها وحفظوا ما فيها، ثم لم يعملوا بما جاء فيها بحال حمار يحمل أسفاراً من الكتب النافعة، وهو جاهل بضمونها. ووجه الشبه بين الطرفين: شقاء كل باستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة من غير أن يحصل على شيء منها. وغرض التشبيه أو التمثيل: ذم اليهود بتلك الحال وتقبیح أمرهم.

\* **﴿أُوکَصَّبَ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلْمَتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**<sup>(٣)</sup>.

وقد جاءت أمثال القرآن على أنواع:

١ - فمنها المصحّ به أو الواضح، وهو ما تخلله لفظ «المثل» كقوله تعالى في حق المنافقين: **﴿مَتَّهُمْ كَمَثِيلِ الَّذِي أَسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَاحَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَتِ لَا يُبَصِّرُونَ﴾**<sup>(١)</sup> ص بـ كـ عـ فـ هـ لـ يـ رـ جـ عـ وـ **﴿أُوکَصَّبَ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلْمَتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي ئَذَانِهِمْ مِنَ**

(١) بـ ١٣ - ١٩ .

(٢) الجمعة ٥ . وانظر ص ٢١٧ .

(٣) البقرة ١٩ - ٢٠ .

**الصَّوْعِقُ حَذَرَ الْمَوْتَ وَاللَّهُ يُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ** ﴿١٩﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن قيم الجوزية: ضرب الله للمنافقين بحسب حالم مثلين: مثلاً نارياً، ومثلاً مائياً، فهم بدخولهم الإسلام قد استضاءوا. ولكن لما لم يكن في قلوبهم شيء من نور الإسلام أذهب الله من قلوبهم ما في النار من إضاءة، وترك فيها ما في النار من إحرار، وتركهم في ظلمات لا يبصرون. فهذه حال من أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر، ودخل الإسلام ثم فارقه. ثم ذكر ابن قيم الجوزية حالم بالنسبة للمثل المائي فشبههم بأصحاب صيب، وهو المطر الذي ينزل من السماء، فيه ظلمات ورعد وبرق. فلضعف بصائرهم وعقوتهم اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه حتى صارت كالصواعق لهم، فوضعوا أصابعهم في آذانهم وأغمضوا أعينهم ..<sup>(٢)</sup>.

٢ - ومنها الكامن أو الخفي، وهو مالم يصرح القرآن بأنه مثل ضرب لحادثة معينة وإنما دل مضمونه على معنى يشبه مثلاً من أمثال العرب. أي أنها أمثال بمعانيها لا بلفاظها. ومن ذلك استخلاص العلماء المثل: «خير الأمور أو ساطها»، من قوله تعالى: ﴿ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُعُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾<sup>(٣)</sup>، أو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَْتْ بِهَا ﴾<sup>(٤)</sup>. واستخلاصهم المثل: «احذر شر من أحسنت إليه»، من قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾<sup>(٥)</sup>. والمثل: «كما

(١) البقرة ١٧ - ١٩. وانظر معرك القرآن ٤٦٦ / ١.

(٢) الأمثال في القرآن / ١٧٤ وما بعدها، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٢٧٢.

(٣) البقرة ٦٨.

(٤) الإسراء ١١٠.

(٥) التوبية ٧٤.

تدين تدان»، من قوله تعالى: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُبَيِّنْهُ»<sup>(١)</sup>. والمثل: لا تلد الحية إلا الحية»، من قوله تعالى: «وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجْرًا كَفَارًا»<sup>(٢)</sup>.

٣ – ومنها ما أرسلاه، واكتسب صفة الشيوخ لايجاز لفظه، وإصابة معناه، وما تضمنه من حكمة أو مبدأ خلقي أو ديني<sup>(٣)</sup>. قال السيوطي: «وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل»<sup>(٤)</sup>، وذكر منه: «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ»<sup>(٥)</sup>، «لَنْ تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»<sup>(٦)</sup>، «أَكُلُّنْ حِصْرَ حَصْرَ الْحَقِّ»<sup>(٧)</sup>، «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ»<sup>(٨)</sup>، «إِلَيْسَ الصِّبْحُ بِقَرِيبٍ»<sup>(٩)</sup>، «لَكُلُّ نَبِيٍّ مُسْتَقْرٌ»<sup>(١٠)</sup>، «وَلَا يَجِدُ الْمَكْرُ أَسْيَّ إِلَّا بِأَهْلِهِ»<sup>(١١)</sup>، «قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ»<sup>(١٢)</sup>، «وَعَسَى أَنْ تَكُرُّهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»<sup>(١٣)</sup>، «كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»<sup>(١٤)</sup>، «مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا

(١) النساء . ١٢٣.

(٢) نوح ٢٧. وانظر معرك القرآن ١/٤٦٨، ٤٦٩.

(٣) التعبير الفي في القرآن لبكرى أمين / ٢٣٤.

(٤) معرك القرآن ١/٤٧٠. وانظر التعبير الفي في القرآن لبكرى أمين / ٢٣٥.

(٥) النجم . ٥٨.

(٦) آل عمران . ٩٢.

(٧) يوسف . ٥١.

(٨) الحج . ١٠.

(٩) هود . ٨١.

(١٠) الأنعام . ٦٧.

(١١) فاطر . ٤٣.

(١٢) الإسراء . ٨٤.

(١٣) البقرة . ٢١٦.

(١٤) المدثر . ٣٨.

البلغُ<sup>(١)</sup> ، «مَلْ جَرَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْأَحْسَنُ»<sup>(٢)</sup> ، «تَحْسِبُهُمْ  
جَيِّعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى»<sup>(٣)</sup> ، «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»<sup>(٤)</sup> .

## ٦ - الإيجاز والإطناب:

اعتبر الرمانى إيجاز القرآن أول أوجه بлагته وإعجازه<sup>(٥)</sup> ، كما اعتبره كل من ابن أبي الإصبع في بديع القرآن، وقدامة في نقد الشعر من ألوان البديع في القرآن<sup>(٦)</sup> .

وقد عرف البلاغيون الإيجاز بأنه تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، أو بنية الكلام على تقليل النفي وتكثير المعنى، أو تضمن الألفاظ القليلة المعاني الكثيرة<sup>(٧)</sup> .

وقد قسم البلاغيون الإيجاز إلى نوعين هما: إيجاز القصر، وإيجاز الحذف، وقد ورد كلاهما في القرآن الكريم.

أما إيجاز القصر فيتحقق بأداء المعنى الوافر باللفظ القاصد، وذلك عن طريق استخدام إيحاءات الألفاظ فتسع دلالتها، وتنوب الواحدة عن كلمات أو جمل، ومن أمثلته في القرآن:

(١) المائدة .٩٩.

(٢) الرحمن .٦٠.

(٣) الحشر .١٤.

(٤) البقرة .٢٨٦.

(٥) النكٰت / .٧١.

(٦) معرك الأقران ١/٣٠٤، والإتقان .٨٣/٢.

(٧) المعجزة الكبرى لأبو زهرة / .٣٢٨.

١ - قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَّةٌ يَتَوَلِّ الْأَلْبَابِ»<sup>(١)</sup>. وقد كان الناس يستحسنون قول العرب: «القتل أدنى للقتل» فجاءت الجملة القرآنية فبرتها في البلاغة، وفاقتها في الإيجاز، وذلك من أربعة وجوه:

أ - كثرة الفائدة. فيها ما في قوله: «القتل أدنى القتل» وزيادة معان حسنة، منها: إبارة العدل، بذكر القصاص، وإبارة الغرض المرغوب فيه، بذكر الحياة.

ب - إيجاز العبارة، لأن الآية عشرة أحرف، والمثل أربعة عشر حرفاً.

ج - البعد عن الكلفة، بعدم تكرير الجملة.

د - حسن التأليف بالحروف المتلائمة<sup>(٢)</sup>.

وقد نقل السيوطي عن بعض البلاغيين تفضيلهم الآية على المثل بعشرين وجهاً أو أكثر، منها - بالإضافة إلى ما سبق - ما في تنكير لفظ «حياة» من التعظيم. وما في الآية من اطراد بخلاف المثل، فإنه ليس كل قتل أدنى للقتل، بل قد يكون أدعى له، وهو القتل ظلماً، بخلاف القصاص الذي ينفي القتل عن طريق الزجر. والطبق بين القصاص والحياة. وإشعار لفظ القصاص بالمساواة والعدل، بخلاف مطلق القتل<sup>(٣)</sup>. وزاد بعضهم أن كلمة «القتل» في المثل محددة المعنى في حين أن «القصاص» يشمل القتل، ويشمل الاعتداء على الأطراف والجروح وغيرها<sup>(٤)</sup>.

٢ - قوله تعالى: «خُذِ الْعِفْوَ وَامْرُ بِالْعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَنَاحِيْلِينَ»<sup>(٥)</sup>. فهو جامع لمكارم الأخلاق، لأن في أخذ العفو التساهل، والتسامح في

(١) البقرة ١٧٩.

(٢) النكت ٧١، ٧٢.

(٣) معرك القرآن ١/٣٠٠ وما بعدها، والإتقان ١/٥٥، ٥٦.

(٤) المعجزة الكبرى لأبو زهرة ٣٤٨.

(٥) الأعراف ١٩٩.

الحقوق، واللين، والرفق في الدعاء إلى الدين. وفي الأمر بالمعروف كف الأذى وغض البصر وما شاكلها من المحرمات. وفي الإعراض الصبر والحلم والتؤدة<sup>(١)</sup>.

٣ - قوله تعالى: «أَنْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَّ عَنْهَا»<sup>(٢)</sup>. حيث دل بكلمتين اثنتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام، من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والخطب واللباس والملح؛ لأن النار من العيدان والملح من الماء .

٤ - قوله تعالى: «لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ»<sup>(٤)</sup>. فقد جمع عيوب الخمر من الصداع، وعدم العقل، وذهب المال، ونفذ الشراب<sup>(٥)</sup>.

٥ - قوله تعالى: «وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»<sup>(٦)</sup>. فقد جمع الله الحكمة في شطر آية<sup>(٧)</sup>.

ومثل هذا النوع كثير في القرآن. وقد سماه السيوطي «بالإيجاز الجامع»<sup>(٨)</sup>. وسيماه الشيخ أبو زهرة «المثل الكامل لجوامع الكلم»<sup>(٩)</sup>، وذكر أنه لا تكاد تخلو منه سورة، بل جزء من السورة، بل صفحة من صفحات القرآن التورانية. وذكر

(١) معرك القرآن ١/٢٩٧ ، ٢٩٨.

(٢) النازعات ٣١.

(٣) معرك القرآن ١/٢٩٨.

(٤) الواقعة ١٩.

(٥) معرك القرآن ١/٢٩٨.

(٦) الأعراف ٣١.

(٧) معرك القرآن ١/٢٩٩.

(٨) معرك القرآن ١/٢٩٦. وانظر أمثلة أخرى ١/٢٩٦ وما بعدها، والإتقان ٢/٥٤ - ٥٦، والنكت للرماني / ٧١، ٧٢، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٣٤٤ وما بعدها.

(٩) المعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٣٤٢.

الرماني فضله، وهو علوه على غيره من سائر الكلام، وأنواع البيان، واعتبره تهذيباً للكلام بما يحسن به البيان، وتصفية للألفاظ من الكدر، وخلصاً لها من الدرن<sup>(١)</sup>.

وأما إيجاز الحذف فيكون بإسقاط جزء من الكلام للاجتزاء عنه بدلالة غيره، من الحال، أو فحوى الكلام<sup>(٢)</sup>. ويشمل ذلك حذف الكلمة<sup>(٣)</sup>، أو جزء من جملة، أو جملة فأكثر. وأمثلة ذلك:

١ - قوله تعالى: «فَقَالَ لَمُّوسُلُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقِيَّهَا»<sup>(٤)</sup>، «فناقة الله» تحذير بتقدير: «ذروا»، و«سقياها» إغراء بتقدير «الزموا». وفي الإيجاز تنبيه إلى أن الزمن يتقارض عن الإتيان بالمحذف، وأن الاشتغال به يفضي إلى تفويت المهم<sup>(٥)</sup>.

٢ - قوله تعالى في وصف الجنة: «حَقَّ، إِذَا جَاءَهَا وَفُتُحَتْ أَبْوَابُهَا...»<sup>(٦)</sup>. فحذف الجواب تفخيماً وإعظاماً وإثارة للخيال وتركاً للنفوس تقدر ما شاءت دون أن تبلغ كنه ما هنالك<sup>(٧)</sup>.

(١) النكت للرماني / ٧٣، ٧٤، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٣٤٩.

(٢) النكت للرماني / ٧٠.

(٣) جعل بعضهم منه كذلك حذف بعض أحرف الكلمة، وساهه الاقتطاع، ومثل له بقواتح السور على القول بأن كل حرف منها يشير إلى اسم من أسمائه تعالى. ومنه الترخيم في قراءة بعضهم: «ونادوا ياماً ليقضى علينا ربك»، (الزخرف ٧٧) وحذف نون كان في مثل «ولم أك بغيها» (مريم ٢٠) - معرك الأقران ١/٣١٩.

(٤) الشمس ١٣.

(٥) معرك الأقران ١/٣٠٥.

(٦) الزمر ٧٣.

(٧) معرك الأقران ١/٣٠٦، والنكت / ٧٠، والمعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٣٤٠.

- ٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>. فالتقدير: لرأيت أمراً فظيعاً لا تكاد تحيط به العبارة. وفيه من الحكمة ما في سابقه.
- ٤ - قوله تعالى: ﴿فَالَّذِي أَنْظَرْنَا إِلَيْكَ﴾<sup>(٢)</sup>. التقدير: أرفني ذاتك.. وفي حذف المفعول صيانة عن ذكره تعالى تشريفاً وتعظيمياً وتفحيمياً<sup>(٣)</sup>.
- ٥ - قوله تعالى: ﴿سَرِيبَلَ تَقِيكُرُ الْحَرَّ﴾<sup>(٤)</sup>. التقدير: والبرد. وخصص الحر بالذكر لأن الخطاب للعرب، وببلادهم حارة. والوقاية من الحر أهم عندهم. وبهذا اكتفت الآية بذكر أحد المتلازمين<sup>(٥)</sup>.
- ٦ - قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ آنْجَيْر﴾<sup>(٦)</sup>. أي: والشر. وإنما خص الخير بالذكر تأدباً، أو لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم<sup>(٧)</sup>.
- ٧ - قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنْتَشُكْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلُونِ﴾. يوسف آيهـ الْصِّدِيقُ ..<sup>(٨)</sup>. فقد حذف من الكلام جمل كثيرة؛ إذ التقدير: فأرسلوني إلى يوسف لاستعيره الرؤيا، ففعلوا، فأتاه، فقال له: يا يوسف ..<sup>(٩)</sup>.
- ٨ - قوله تعالى: ﴿وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ﴾<sup>(١٠)</sup>. وفيه إشارة إلى شيوخ القول فيها،

(١) الأنعام ٢٧.

(٢) الأعراف ١٤٣.

(٣) معرن الأقران ١/٣٠٧.

(٤) التحل ٨١.

(٥) معرن الأقران ١/٣٢٠.

(٦) آل عمران ٢٦.

(٧) معرن الأقران ١/٣٢٠.

(٨) يوسف ٤٥، ٤٦.

(٩) معرن الأقران ١/٣٣٢.

(١٠) يوسف ٨٢.

وأن القرية كلها قد تكلمت حتى الجماد فيها<sup>(١)</sup>.

٩ - قوله تعالى: ﴿وَلَكُنَ الْبِرُّ مِنْ أَتَقَ﴾<sup>(٢)</sup>. وفيه تزكية للمتقين بجعلهم البر ذاته، وأن نفوسهم علت، وقلوبهم زكت، حتى صارت هي هو<sup>(٣)</sup>.

١٠ - ومنه نوع سمي بالاحتباك، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، كقوله تعالى: ﴿فَنَهَىٰ  
تُقْنِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَىٰ كَافِرَةً﴾<sup>(٤)</sup> فشة مؤمنة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت<sup>(٥)</sup>.

أما الإطناب فقد عرفه البلاغيون بأنه التعبير عن المعانى الكثيرة بالفاظ كثيرة دون وجود حشو أو فضول فيها<sup>(٦)</sup>. وفرقوا بين الإطناب والتطويل الذي يعد عيباً للجوئه إلى الكثير فيما يكفي فيه القليل. فكان مستخدماً كالسالك طريقة بعيداً، جهلاً منه بالطريق القريب. أما الإطناب فليس كذلك، لأنـه كمن سلك طريقة بعيداً لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة. فيحصل في الطريق إلى غرضه من الفائدة مثل ما يحصل له بالغرض المطلوب<sup>(٧)</sup>.

---

(١) المعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٣٤١.

(٢) البقرة / ١٨٩.

(٣) المعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٣٤١.

(٤) آل عمران / ١٣.

(٥) معركة الأقْرَبِين / ١ / ٣٢٠. وانظر أمثلة أخرى / ١ / ٣٠٥ - ٣٣٣، ومن بلاغة القرآن / ١٢٠ / ١٢٧ -

(٦) المعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٣٢٨.

(٧) التكت للرماني / ٧٣.

إطناب القرآن كله من قبيل زيادة المعاني التي تبعتها زيادة في الألفاظ إذ إن زيادة اللفظ لا تعد من البلاغة المستحسنة ما لم تكن للتعبير عن زيادة معنى.

ومن أمثلته في القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ وَسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>. ففي قوله: «يؤمنون به» إطناب؛ لأن إيمان حلة العرش معلوم. وحسنه إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه<sup>(٢)</sup>.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الْزَّكَوَةَ﴾<sup>(٣)</sup>. فليس بين المشركين مُزَكَّ. ونكتته حث المؤمنين على أدائهم، وتحذيرهم من منعها حيث جعله الله من أوصاف المشركين<sup>(٤)</sup>.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ سَمَيِّنَكَ يَتَمُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَابَى أَتَوَكُوا عَلَيْهَا وَاهْشِئَهَا عَلَى غَنَمِي وَلِفِيهَا مَعَارِبُ أُخْرَى﴾<sup>(٥)</sup>. ففي الآية إطناب حلو تترتب به الألسنة والأسماء، إذ فيها تصريح بما يفهم ضمناً، وبما يعلمه الله من غير بيان، بقصد التعبير عن محبة موسى لربه، ورغبته في إطالة المحادثة معه<sup>(٦)</sup>.

٤ - ومن الإطناب نوع يسمى بالتفسير، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ خُلِقَ

(١) غافر ٧.

(٢) الإنقاذ ٢/٦٤، ومعترك القرآن ٣٣٣/١.

(٣) فصلت ٦، ٧.

(٤) الإنقاذ ٢/٦٤، ومعترك القرآن ٣٣٤/١.

(٥) طه ١٧ - ١٨.

(٦) المعجزة الكبرى لأبو زهرة/ ٣٢٩، ومن بلاغة القرآن/ ١١٨.

هَلُوْعًا . إِذَا مَسَهُ الشَّرْجَوْعًا . وَإِذَا مَسَهُ أَنْجَيْرٌ مِنْعًا )<sup>(١)</sup> . فقوله: «إذا مسه..» إطنا بقصد به تفسير الملعون. ومثله قوله تعالى: «يُسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَحِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحِيُونَ نِسَاءَكُمْ »<sup>(٢)</sup>. فيذبحون وما بعده تفسير للسوم<sup>(٣)</sup>.

٥ – ويدخل في الإطنا ب كذلك ما يسمى بالاستقصاء، وهو استيفاء جميع أجزاء الشيء وعوازمه بعد استقصاء جميع أوصافه الذاتية، كقوله تعالى: «أَبْيُودُ أَحَدٌ كُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ تَخْيِيلٍ وَأَعْنَابٍ، تَخْرِي مِنْ تَخْتَهَا الْأَنْهَرُ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الْغَمَرَاتِ، وَأَصَابَهُ الْكَبَرُ، وَلَهُ ذُرِيَّةٌ ضُعْفَاءُ، فَاصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ »<sup>(٤)</sup>. فقد أتى الجنة بالتخيل والأعناب حتى يكون مصاب صاحبها بها أعظم. وزاد جري الأنهر، وجود كل الثمرات ليشتد الأسف على إفسادها. ثم وصف صاحبها بالكبير، وذرته بالضعف. وأتبعه باستئصال الجنة التي ليس لصاحبها غيرها بالهلاك في أسرع وقت. ونص على احتراق الجنة لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفي باحترافها.. فهذا أحسن استقصاء وقع في كلام وأتمه وأكمله<sup>(٥)</sup>.

وقد أنكر بعضهم وجود الإطنا ب في القرآن الكريم، إما ضمناً كما فعل الرماني حينما اعتبر الإيجاز أول أقسام البلاغة<sup>(٦)</sup> (وتجاهل الإطنا ب)، وتبعه في هذا الباقلاني<sup>(٧)</sup>. وإما صراحة، على اعتبار أن الفاظ القرآن

(١) المعارض ١٩ - ٢١.

(٢) البقرة ٤٩.

(٣) معرك الأقران ٣٦١/١.

(٤) البقرة ٢٦٦.

(٥) معرك الأقران ٣٧٠/١.

(٦) النكت ٧١.

(٧) إعجاز القرآن ٣٣٢.

جاءت على قدر معانها دون زيادة، ودون إمكانية الاستغناء عن بعضها والاكتفاء ببعضها الآخر. وعلى هذا فإن كل ما في القرآن يعد من باب الإيجاز.

وأشهر من دافع عن هذا الرأي الدكتور محمد عبدالله دراز، ويتلخص رأيه في النقاط التالية:

١ - القرآن يستمر دائمًا أقل ما يمكن من اللفظ لأكثر ما يمكن من المعنى. يستوي في ذلك مواضع إجماله التي يسميها الناس الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها الإطناب. ولذلك يجب أن يسمى المقامان إيجازاً؛ لأنه لا يتجاوز في أيهاقصد، ولا يميل إلى الإسراف، ولا يمكن تأدية مراميه في أي منها بأقل من الفاظه، ولا بما يساويها.

٢ - ما الإيجاز إلا السرعة والتخفيف في بلوغ الحاجة بالقدر الممكن. فالذى يسرع فوق الطاقة لا يبلغ حاجتك فيكون محففاً مخلاً. والذى يبطئ حيث تكون السرعة لا يكون إلا سرفاماً مللاً. فهي فضيلة واحدة تتطلب من المتكلم في كل مقام.

٣ - الكلام الطويل إن حوى كل جزء منه فائدة تمس إليها الحاجة في الموضع، ولا يسهل أداء الغرض بأقل منه كان هو عين الإيجاز. وإن أمكن أداء الغرض كاملاً بحذف شيء منه، أو بإبداله بعبارة أقصر منه كان حشوأ أو تطويلاً معيناً. فليس الإيجاز إذن مقصوراً على جانب الإجمال.

٤ - فضيلة الإيجاز أو الإطناب في الحقيقة ترد إلى الوسط المعتدل دون إفراط أو تفريط<sup>(١)</sup>.

---

(١) النبأ العظيم / ١٢٧ وما بعدها.

لكن الحقيقة أن في القرآن من كلا النوعين في الموقف الملائم له. ويخسн الإطناب عادة في المواقف التي تقتضي التفصيل لا الإيحاز، والوضوح لا الإيهام، والعبارة لا الإشارة. ويكثر هذا في القرآن في آيات الأحكام خاصة، لأنها تتعرض لما يكلف الله به عباده. ولابد أن يكون ذلك واضحًا للمكلف كل الوضوح. كذلك يكثر في القصص القرآني لما فيه من العبرة والتسلية للنبي ﷺ ببيان ما نزل بغيره من الأنبياء.. ومما لا يفقهون. كذلك يكثر الإطناب في آيات توجيه النظر إلى الكون، وما فيه من خلق السموات والأرض وما بينهما.. لأن فيه إظهاراً لعظمة الخالق، ولفت النظر إلى دلالة الأثر على المؤثر، والموجود على من أوجده، والحاضر على الغائب<sup>(١)</sup>.

## ٧ – المحسنات البديعية :

ورد منها في القرآن الكريم أنواع جمة، نجتزيء منها بما يأتي:

١ – التورية (أو الإيهام). وهي أن يذكر لفظ له معنيان: أحدهما قريب والآخر بعيد، ويقصد البعيد.

ومن ذلك قوله تعالى: «وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدُان»<sup>(٢)</sup>. فالنجم يطلق على الكوكب وهو المعنى القريب، كما يطلق على ما لا ساق له من النبات، وهو المعنى بعيد المقصود<sup>(٣)</sup>.

٢ – الالتفات. وهو نقل الكلام من أسلوب (تكلم - خطاب - غيبة) إلى

(١) المعجزة الكبرى لأبو زهرة / ٣٣٢ - ٣٣٦ .

(٢) الرحمن ٦ .

(٣) معرك الأقران ١، ٣٧٤/٣٧٥ .

آخر. ومن ذلك قوله تعالى: «وَمَا لِي لَا عُبْدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»<sup>(١)</sup>، بدلاً من: وإليه أرجع. وفائدة أنه أخرج الكلام في موضع مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه، ثم التفت<sup>(٢)</sup>.

ومن محاسنه ما وقع في سورة الفاتحة. فإن العبد إذا ذكر الله تعالى وحده، ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال، وأخرها: «مَالِكُ يَوْمِ الدِّين» المفید أنه مالک للأمر كله في يوم الجزاء - يجد من نفسه اتجاهًا لا يقدر على دفعه نحو خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع، والاستعانة في المهمات<sup>(٣)</sup>.

ويقرب من الاختلاف نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع إلى الخطاب الآخر. كقوله تعالى: «إِنَّمَا يَأْتِيهَا الْنِّيَّةُ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ»<sup>(٤)</sup>، وقوله: «فَلَا يُحِبُّنَّكُم مِّنْ أَجْنَبَةٍ قَتَشَقَّ»<sup>(٥)</sup>.

ويقرب منه كذلك الانتقال من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى آخر، مثل: «أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَبَرَّحَتِ الْحَبَّابَاتِ»<sup>(٦)</sup>. وهو من أسماء فتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ»<sup>(٧)</sup>، وهو يوم نَسِيرُ الْجَبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرَنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْنَاهُمْ أَحَدًا»<sup>(٨)</sup>.

(١) بس . ٢٢

(٢) معرك الأقران ١/٣٧٨.

(٣) السابق والصفحة .

(٤) الطلاق ١ .

(٥) طه ١١٧ . وانظر معرك الأقران ١/٣٨٤ .

(٦) فاطر ٩ .

(٧) الحج ٣١ . وفائدة هذا النوع حكاية الحال الماضية .

(٨) الكهف ٤٧ . ويستخدم هذا النوع عادة فيها تحقق وقوعه . (وانظر معرك الأقران ١/٣٨٤ .)

. (٣٨٥)

٣ – الانسجام. وهو تحدى الكلام وسهولته، وعدوبيته كأنه يسيل رقة. وإذا قوي الانسجام جاءت الفقرات موزونة بلا قصد، كقوله تعالى: «فَنَّ شَاءَ فَلَيُؤْمِنُ وَمَنْ شَاءَ فَلَيَكُفُرُ»<sup>(١)</sup> (بحر الطويل). وقوله: «فَاصْبُحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسْكِنُهُمْ»<sup>(٢)</sup> (بحر البسيط). وقوله: «لَا يَكُادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا»<sup>(٣)</sup> (بحر الخفيف).

٤ – الاقتدار. وهو أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور، اقتداراً منه على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض.. قال ابن أبي الإصبع: وعلى هذا أنت جميع قصص القرآن. فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها تأني في صور مختلفة، وقوالب من الألفاظ متعددة، حتى لا تكاد تشتبه في موضعين منه<sup>(٤)</sup>.

٥ – الاتلاف. وهو نوعان:

أ – اتلاف اللفظ مع المعنى، بأن يقرن الغريب بمثله، والمتداول بمثله وقد سبق أن مثلنا له بقوله تعالى: «تَالَّهُ تَفْتَأِرُنَّ ذُكْرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا»، وقوله: «وَاقْسُمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنَهُمْ»<sup>(٥)</sup>.

ب – اتلاف اللفظ مع المعنى، كقوله تعالى: «وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُوا النَّارُ»<sup>(٦)</sup>. لما كان الركون إلى الظلم، وهو الميل إليه، والاعتماد عليه دون مشاركته في الظلم - وجب أن يكون

(١) الكهف . ٢٩

(٢) الأحقاف . ٢٥

(٣) النساء ٧٨. وانظر معرك القرآن ٣٨٦/١، ٣٨٧.

(٤) معرك القرآن ٣٨٨/١ ، وانظر بديع القرآن لابن أبي الإصبع / ٢٨٩.

(٥) انظر فصل «خصائص التركيب وتاليف الجمل» ص ١٦٩.

(٦) هود . ١١٣

العقاب عليه دون العقاب على الظالم - فاق القرآن بلفظ المس الذي هو دون الإحراب<sup>(١)</sup>. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَكُبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فإنه أبلغ من «كبوا» للإشارة إلى أنهم يكبون كباً عنيفاً فظيعاً<sup>(٣)</sup>.

٦ - تأكيد المدح بما يشبه الذم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَنَاهُ الْكِتَبِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَ إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِاللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>. فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج خارج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان - يوهم أن ما يأتي بعده مما يجب أن ينقم على فاعله، مما يُذم به. فلما أقى بعد الاستثناء ما يجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم<sup>(٥)</sup>.

٧ - التقسيم. وهو استيفاء الأقسام الموجودة مثل: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾<sup>(٦)</sup> . إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار. ومثل: ﴿فَنَهْمُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِقٌ لِنَحْرِيَاتٍ يَأْذِنُ اللَّهُ﴾<sup>(٧)</sup> .

٨ - الجنس، وهو تشابه اللفظين في اللفظ، وهو أنواع منها:  
أ - الجنس التام، بأن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئتها، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا

(١) معترك القرآن ٢٨٩/١.

(٢) الشعراء ٩٤.

(٣) معترك القرآن ٣٩٠/١.

(٤) المائدة ٥٩.

(٥) معترك القرآن ٣٩٣/١.

(٦) الرعد ١٢.

(٧) فاطر ٣٢. وانظر معترك القرآن ٣٩٤/١، ٣٩٥.

**لَشُوَّا غَيْرَ سَاعَةٍ** <sup>(١)</sup>، قوله: **﴿يَكَادُ سَنَا بَرْ قِهٰ يَذَهَبُ إِلَى الْأَبْصَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَةً لَأُولَئِكَ الْأَبْصَرِ﴾** <sup>(٢)</sup>.

ب - جناس الخط، بأن تختلف الحروف في النقط، كقوله تعالى: **﴿وَالَّذِي هُوَ يُطِعِّمُنِي وَيُسْقِينِي وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَسْفِينِي﴾** <sup>(٣)</sup>.

ج - الجناس الناقص، كقوله تعالى: **﴿وَالنَّفَّتُ أَلَّا سَاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رِبْكَ يَوْمٌ إِذَا الْمَسَاق﴾** <sup>(٤)</sup>.

د - الجناس المضارع، وهو أن يختلف اللفظان بحرف مقارب في المخرج، مثل: **﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَشْوَّهُونَ عَنْهُ﴾** <sup>(٥)</sup>.

ه - جناس القلب، وهو أن يختلف اللفظان في ترتيب الحروف، كقوله تعالى: **﴿فَرَقَتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** <sup>(٦)</sup>.

و - جناس الاشتقاء، بأن يجتمع اللفظان في أصل الاشتقاء، مثل: **﴿وَجَهْتُ وَجْهِي﴾** <sup>(٧)</sup>، و**﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾** <sup>(٨)</sup>.

٩ - العكس وهو أن يؤتي بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر جزء، ثم يقدم المؤخر، ويؤخر المقدم. كقوله تعالى: **﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حَسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** <sup>(٩)</sup>. وقوله: **﴿يَوْلِجُ الظَّلَّلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الظَّلَّلِ﴾** <sup>(١٠)</sup>.

(١) الروم .٥٥.

(٢) النور ،٤٣ ،٤٤ . وانظر معرك القرآن ١/٣٩٩ ، ومن بلاغة القرآن / ١٨١ .

(٣) الشعراء ،٧٩ ،٨٠ .

(٤) القيامة ،٢٩ ،٣٠ .

(٥) الأنعام .٢٦ .

(٦) طه .٩٤ .

(٧) الأنعام .٧٩ .

(٨) الواقعة .٨٩ . وانظر معرك القرآن ١/٣٩٩ وما بعدها، ومن بلاغة القرآن / ١٨٢ .

(٩) الأنعام .٥٢ .

(١٠) الحج ٦١ . وانظر معرك القرآن ١/٤٠٦ ، وبديع القرآن / ١١١ ، ومن بلاغة القرآن /

.١٨٦ .

١٠ - الفرائد، وهي الإتيان بلفظة تنزل منزلة الفريدة من العقد، وهي الجوهرة التي لا نظير لها، وتكون بفرادتها دالة على عظم فصاحة هذا الكلام، وقوة عارضته، وجزالة منطقه، بحيث لو أسقطت من الكلام عز على الفصيحة الاستعاضة عنها بغيرها، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَئِنْ حَصَحَّ حَصْحُصَ الْحَقُّ﴾<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُرِّغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾<sup>(٣)</sup>.

١١ - اللف والنشر. وهو أن يذكر الشيء إجمالاً أو تفصيلاً، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المقدم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾<sup>(٤)</sup> أي قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا اليهود، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا النصارى. وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الظَّلَلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبَتَّغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٥)</sup>. فالسكون راجع إلى الليل، والابغاء راجع إلى النهار. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ بَدْكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدْ مُلُومًا مَحْسُورًا﴾<sup>(٦)</sup> . فاللوم راجع إلى البخل، والحسرة إلى الإسراف.

١٢ - المشاكلة. وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَّأُوا سَيْئَةً سَيْئَةً مِثْلَهَا﴾<sup>(٧)</sup>. لأن الجزء حق لا يوصف

(١) يوسف .٥١.

(٢) سبا .٢٣.

(٣) غافر .١٩.

(٤) البقرة .١١١.

(٥) القصص .٧٣.

(٦) الإسراء .٢٩ . وانظر معرك الأقران ٤٠٨/١ وما بعدها، ومن بلاغة القرآن /١٨٤ .

(٧) الشورى .٤٠ .

بأنه سيئة. قوله تعالى: ﴿فَنِّ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِئْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. فأخذ الحق لا يسمى اعتداء. هذا بالإضافة إلى ما يحمله التعبير بهذه الصورة من إيماء بأن مقابلة الشر بالشر، أو الاعتداء بالاعتداء، وإن كان أمراً مباحاً فتركه أولى، إذ العفو أفضل، والصفح أولى<sup>(٢)</sup>.

١٣ - المطابقة، أو الطباق. وهي الجمع بين المتضادين في الجملة. مثل قوله تعالى: ﴿فَلَيَضْحِكُوا قَلِيلًا وَلَيُبَكِّرُوا كَثِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَانْهُرْ هُوَ أَخْجَكَ وَابْكَ، وَانْهُرْ هُوَمَاتَ وَأَحْيَ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٤ - الإبداع. وهو أن يستعمل الكلام على عدة ضروب من البديع. قال ابن أبي الإصبع<sup>(٥)</sup>: ولم أر في الكلام مثل قوله تعالى: ﴿وَقَيلَ يَنْارُضُ أَبْلَى مَاءَكَ وَيَنْسَمَاءُ أَقْلَعِي وَغَيْضَ الْمَاءِ وَقُضَى الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى أَجْهُودِي وَقِيلَ بُعْدًا لِلنَّقْوَمِ الظَّلَّبِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، فإن فيها نحو عشرين ضرباً، وهي سبع عشرة لفظة وتفصيلها:

- \* المناسبة التامة في: «أبلعى»، و«أقلعى».
- \* الاستعارة فيها.
- \* الطباق بين الأرض والسماء.
- \* المجاز في «ياسماء».

(١) البقرة ١٩٤. وانظر معترك الأقران ٤١١/١، ومن بلاغة القرآن / ١٨٣.

(٢) من بلاغة القرآن / ١٨٣، ١٨٤.

(٣) التوبية .٨٢

(٤) النجم ٤٣، ٤٤. وانظر معترك الأقران ٤١٤/١، ومن بلاغة القرآن / ١٨٥. وقرب منها المقابلة (انظرها في معترك الأقران ٤١٦/١).

(٥) بديع القرآن / ٣٤٠.

(٦) هود ٤٤.

- \* الإشارة في «وغيض الماء». فإنه عبر به عن معانٍ كثيرة. فإن الماء لا يغيب حتى يقلع مطر السماء، وتبلغ الأرض ما يخرج منها من عيون الماء، فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء.
- \* الإرداد في: «واستوت».
- \* التمثيل في: «و قضي الأمر».
- \* التعليل في: «وغيض الماء». فإن غيض الماء هو علة الاستواء.
- \* صحة التقسيم، حيث استوعب أقسام الماء حالة نقصه.
- \* الاحتراس في الدعاء. لثلا يتوجه أن الفرق لعمومه شمل من لا يستحق الها لا.
- \* حسن النسق: وهو معنى الكلمات متواлиات معطوفات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً.
- \* ائتلاف اللفظ مع المعنى.
- \* الإيجاز، لأن الله قص القصة مستوعبة بأختصر عبارة.
- \* التسهيم، لأن أول الآية يدل على آخرها.
- \* التهذيب، لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن. كل لفظة سهلة خارج الحروف، عليها رونق الفصاحة.
- \* حسن البيان، من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه.
- \* التمكّن، لأن الفاصلة مستقرة في محلها، مطمئنة في مكانها.
- \* الانسجام<sup>(١)</sup>.

(١) بديع القرآن / ٣٤٠، ومعترك الأقران ٤١٩/١، ٤٢٠، وإعجاز القرآن البياني لحفني / ٣٦٦. وانظر ما سبق ص ١٧٠، ١٧١.

## قائمة المصادر والمراجع

- ١ - الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - ط ثلاثة - الحلبي . ١٩٥١ .
- ٢ - أثر الدخيل على العربية الفصحى - مسعود بوبيو - دمشق ١٩٨٢ .
- ٣ - أثر القرآن الكريم في اللغة العربية - محمد عبدالواحد حجازي - مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧١ .
- ٤ - أساس البلاغة - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري .
- ٥ - إعجاز البيان للفرقان - د. بنت الشاطيء - دار المعارف بمصر . ١٩٧١ .
- ٦ - أ - إعجاز القرآن - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق السيد صقر - دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .  
ب - إعجاز القرآن - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق محمد شريف سكر - بيروت - أولى ١٩٨٨ .
- ٧ - إعجاز القرآن البيان بين النظرية والتطبيق - د. حفيظ شرف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٠ .
- ٨ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربي بيروت - ١٩٧٣ .
- ٩ - الاقتراح في علم أصول التحو - جلال الدين السيوطي - تحقيق د. أحمد محمد قاسم - القاهرة - أولى ١٩٧٦ .
- ١٠ - الأمثال في القرآن الكريم - ابن قيم الجوزية - تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب - دار المعرفة اللبناني ١٩٨٣ .

(١) مقدمة المحقق فقط.

- ١١ - البحث اللغوي عند العرب - د.أحمد مختار عمر - عالم الكتب  
القاهرة - ط سادسة ١٩٨٨ .
- ١٢ - البحر المحيط - أثير الدين أبو حيان الأندلسي - السعادة - الأولى.
- ١٣ - بدیع القرآن - ابن أبي الإصبع المصري - تحقيق حفني شرف - نهضة  
مصر بالقاهرة ١٩٥٧ .
- ١٤ - البرهان في علوم القرآن - بدرالدين محمد عبدالله الزركشي - تحقيق  
محمد أبو الفضل إبراهيم - الحلبي ثانية.
- ١٥ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن - عبدالواحد بن عبدالكريم  
الزملاكي - تحقيق خديجة الحديثي ، وأحمد مطلوب - بغداد - أولى  
١٩٧٤ .
- ١٦ - بيان إعجاز القرآن - أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي - ضمن: ثلاث  
رسائل في إعجاز القرآن.
- ١٧ - تاريخ القرآن - د.عبدالصبور شاهين - دار القلم ١٩٦٦ .
- ١٨ - تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه - محمد طاهر بن عبد القادر  
الكريدي - الحلبي ثانية ١٩٥٣ .
- ١٩ - تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب - أثير الدين أبو حيان  
الأندلسي - تحقيق أحمد مطلوب وخديمة الحديثي - بغداد - أولى  
١٩٧٧ .
- ٢٠ - تدوين القرآن الكريم - د. محمد قبسي - الأفاق الجديدة - بيروت -  
أولى ١٩٨١ .
- ٢١ - التصوير الفني في القرآن - سيدقطب (د.ت).
- ٢٢ - التعبير الفني في القرآن - د. بكري شيخ أمين - دار الشروق . رابعة  
١٩٨٠ .

- ٢٣ - تفسير الطبرى - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى - تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر - المعارف بصرى.
- ٢٤ - تفسير غريب القرآن - عبدالله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق السيد صقر - الحلبي ١٩٥٨.
- ٢٥ - تفسير الكشاف - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزخشري .
- ٢٦ - التنبيه على حدوث التصحيف - حمزة بن حسن الأصفهانى - تحقيق محمد حسن آل ياسين - بغداد ١٩٦٧ .
- ٢٧ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام ، دار المعارف بصرى (د.ت).
- ٢٨ - الجاسوس على القاموس - أحمد فارس الشدياق - القدسية - الجوائب ١٢٩٩ هـ.
- ٢٩ - الجحان في تشبيهات القرآن - ابن ناثيا البغدادي - تحقيق عدنان زرزور و محمد الداية - الكويت - الأولى ١٩٦٨ .
- ٣٠ - حجة القراءات - أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة - تحقيق سعيد الأفغاني .
- ٣١ - خزانة الأدب للبغدادي .
- ٣٢ - الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني - دار الكتب المصرية - ط أولى .
- ٣٣ - الخط العربي الإسلامي - تركي عطية عبود الجبوري - بغداد ١٩٧٥ .
- ٣٤ - الخط العربي : نشأته وتطوره - د. إميل يعقوب - بيروت ١٩٨٦ .
- ٣٥ - الخط العربي وتطوره - د. سهيلة الجبوري - العراق ١٩٦٢ .
- ٣٦ - دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن - د. المحمدى عبد العزيز الحناوى - القاهرة أولى ١٩٨٤ .
- ٣٧ - دراسات قرآنية : تاريخ القرآن وعلومه - د. عدنان زرزور - دمشق - أولى ١٩٧٥ .

- ٣٨ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم - محمد عبدالخالق عصيمة - السعادة بالقاهرة (د.ت).
- ٣٩ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - دمشق ثانية ١٩٨٧.
- ٤٠ - سر الليل في القلب والإبدال - أحمد فارس الشدياق - الأستانة ١٢٨٤هـ.
- ٤١ - الظاهرة القرآنية - مالك بن نبي - ترجمة د. عبدالصبور شاهين - بيروت - ثلاثة ١٩٦٨.
- ٤٢ - علم الدلالة - د. أحمد مختار عمر - دار العروبة بالكويت - أولى ١٩٨٢.
- ٤٣ - غاية النهاية في طبقات القراء - شمس الدين محمد بن الجزري - تحقيق برجشتراسر - الخانجي ١٩٣٢.
- ٤٤ - غيث النفع - علي النوري الصفاقي - بهامش سراج القارئ المبتديء - الحلبي (د.ت).
- ٤٥ - الفاصلة في القرآن - محمد الحسناوي - بيروت الثانية ١٩٨٦.
- ٤٦ - الفروق في اللغة - أبو هلال العسكري - بيروت أولى ١٩٧٣.
- ٤٧ - فكرة إعجاز القرآن - نعيم الحمصي - الرسالة - ثلاثة ١٩٨٠.
- ٤٨ - في اللهجات العربية - د. إبراهيم أنيس - الأنجلو - ثلاثة ١٩٦٥.
- ٤٩ - القرآن: إعجازه وبلاغته - د. عبد القادر حسين - الأمانة بالقاهرة ١٩٧٥.
- ٥٠ - قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية - د. فضل حسن عباس - دار البشير - عمان - أولى ١٩٨٨.
- ٥١ - كتاب سيبويه - تحقيق عبدالسلام هارون.
- ٥٢ - كتاب المصاحف - أبو بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني - تحقيق آرثر جفري - القاهرة أولى ١٩٣٦.

- ٥٣ - لسان العرب - ابن منظور المصري .
- ٥٤ - لطائف الإشارات لفنون القراءات - شهاب الدين القسطلاني - تحقيق عامر السيد عثمان وعبدالصبور شاهين - القاهرة ١٩٧٢ .
- ٥٥ - لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم - أبو عبد القاسم بن سلام - تحقيق عبدالحميد السيد طلب - الكويت ١٩٨٥ .
- ٥٦ - اللفظ المعرّب في القرآن الكريم - يونس موسى شتات - رسالة ماجستير بمعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة .
- ٥٧ - مباحث في علوم القرآن - د. صبحي الصالح - دمشق ١٩٥٨ .
- ٥٨ - مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - الرسالة - الطبعة التاسعة عشرة ١٩٨٦ .
- ٥٩ - مجاز القرآن - أبو عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق فؤاد سزكين - الحانجي - أولى ١٩٥٤ .
- ٦٠ - المحكم في نقاط المصاحف - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني - تحقيق عزة حسن - دمشق ١٩٦٠ .
- ٦١ - مختصر البديع في شواد القراءات - أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه - تحقيق برجشتراسر - القاهرة ١٩٣٤ .
- ٦٢ - مداخل المؤلفين والأعلام العرب - ناصر محمد السويدان ومحسن السيد العربي - الرياض ١٩٨٠ .
- ٦٣ - المصحف الشريف - المصحف الأميري المصري .
- ٦٤ - المصحف الشريف - د. محمد عبدالعزيز مرزوق - المجلد العشرون من مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٠ .
- ٦٥ - معرك الأقران في إعجاز القرآن - جلال الدين السيوطي - تحقيق علي محمد البحاوي - القاهرة ١٩٦٩ .

- ٦٦ - المعجزة الكبرى: القرآن - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي بالقاهرة .(د.ت).
- ٦٧ - معجم القراءات القرآنية - د. أحمد مختار عمر ود. عبدالعال سالم - ط الثانية الكويت ١٩٨٨ .
- ٦٨ - معجم مصنفات القرآن الكريم - د. علي شواخ إسحق - الرياض أولى ١٩٨٤ - ١٩٨٣ .
- ٦٩ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٧٠ - المفردات في غريب القرآن - الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد الكيلاني - الحلبي ١٩٦١ .
- ٧١ - مقاييس اللغة - أحمد بن فارس - تحقيق عبدالسلام هارون .
- ٧٢ - ملحق في ذكر مذاهب متقدمي النقط من النحوة - أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني - مع «المحكم» له .
- ٧٣ - مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبدالعظيم الزرقاني - الحلبي - ثلاثة .
- ٧٤ - من أساليب البيان في القرآن الكريم - محمد علي أبو حمدة - عمان - أولى ١٩٧٨ .
- ٧٥ - من أسرار التعبير في القرآن - د. عبدالفتاح لاشين - مكتبة عكاظ - السعودية - أولى ١٩٨٣ .
- ٧٦ - من بлагаقة القرآن - د. أحمد أحمد بدوي - نهضة مصر بالفجالة ١٩٥٠ .
- ٧٧ - منتخبات الجواب - أحمد فارس الشدياق - الأستانة ١٢٨٨ هـ .
- ٧٨ - النبأ العظيم - د. محمد عبدالله دراز - دار القلم بالكويت - رابعة ١٩٧٧ .
- ٧٩ - نشأة النحو - محمد الطنطاوي - طبعة ثانية ١٩٦٩ .

- ٨٠ - النشر في القراءات العشر - شمس الدين محمد بن الجزري -  
التجارية - أولى .
- ٨١ - نظرية الحروف العاملة - د. هادي عطية مطر الملاوي - عالم الكتب -  
بيروت أولى ١٩٦٨ .
- ٨٢ - النكث في إعجاز القرآن - علي بن عيسى الرمانى - ضمن ثلاث رسائل  
في إعجاز القرآن .

## كتب أخرى للمؤلف

- \* تاريخ اللغة العربية في مصر - الهيئة العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠ .
- \* النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي - منشورات الجامعة الليبية ١٩٧١ .
- \* البحث اللغوي عند العرب - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧١ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٨ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٨ .
- \* البحث اللغوي عند الهند وأثره على اللغويين العرب - دار الثقافة بيروت ١٩٧٢ .
- \* أسس علم اللغة - ترجمة عن الإنجليزية - طبعتان ١٩٧٣ ، ١٩٨٣ - عالم الكتب بالقاهرة .
- \* من قضايا اللغة والنحو - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٤ .
- \* ديوان الأدب للفارابي - تحقيق ودراسة - مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة - خمسة أجزاء ١٩٧٤ - ١٩٧٩ .
- \* المنجد في اللغة لكراء - تحقيق بالاشتراك - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٦ ، ١٩٨٨ .
- \* دراسة الصوت اللغوي ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ ، ١٩٩١ - عالم الكتب بالقاهرة .
- \* العربية الصحيحة - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨١ .
- \* اللغة واللون - دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٨٢ .
- \* علم الدلالة - دار العروبة بالكويت ١٩٨٢ ، وعالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٨ .
- \* معجم القراءات القرآنية - ثنائية أجزاء - تأليف بالاشتراك - جامعة الكويت ١٩٨٥ ، ١٩٨٨ .
- \* النحو الأساسي - تأليف بالاشتراك - ذات السلسل بالكويت ١٩٨٤ ، ودار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٨٨ .
- \* المعجم العربي الأساسي - تأليف بالاشتراك - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - لاروس ١٩٨٩ .
- \* أنخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩١ .
- \* تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٢ .

# المِسْتَهْجِلُ

غَرَّ اللَّهُ لِمَنْ لَمْ يَرَ

## الفهرس

٧ ..... مقدمة الكتاب

### الباب الأول الجانب اللغوي والتوثيقي

الفصل الأول: كتابة القرآن:

١٥	..... كتابة القرآن في عهد الرسول
١٩	..... خصائص الرسم العثماني
٢٧	..... تيسير الرسم العثماني وتحسينه
٣٤	..... رسم المصحف والمجادل الحديث
٣٩	..... رسم المصحف العثماني والأحرف السبعة
٤١	..... رسم المصحف العثماني ودعوى اللحن

الفصل الثاني: المشافهة بالقرآن:

٤٧	..... العلاقة بين الرسم والقراءة
٥١	..... نزول القرآن على سبعة أحرف
٥٩	..... بين الأحرف والقراءات

الفصل الثالث: البحث في القراءات القرآنية:

٦٢	..... القراءات القرآنية: نشأتها وتأليف فيها
----	---

٢ - تصنیف القراءات، وأشهر القراء ورواتهم .....	٧٠
٣ - موقف اللغويين من القراءات القرآنية .....	٨٥
٤ - الأهمية اللغوية والدينية للقراءات القرآنية .....	٩١

#### **الفصل الرابع: الغريب واللغات في القرآن:**

١ - غريب القرآن .....	١٠٣
٢ - لغات القبائل الواردة في القرآن .....	١٠٩
٣ - المَرْبُّ في القرآن .....	١١٣

### **الباب الثالث الجانب الفني والبلاغي**

#### **الفصل الأول: أسرار التعبير القرآني:**

١ - مقدمة .....	١٢٧
٢ - جانب الصوت والأداء .....	١٢٨
٣ - المفردة القرآنية .....	١٤١
٤ - خصائص التركيب وتأليف الجمل .....	١٦٧
٥ - مناسبة خواتم الآيات لمضمونها .....	١٧٦

#### **الفصل الثاني: إعجاز القرآن:**

١ - إعجاز القرآن وبداية التأليف فيه .....	١٨٥
٢ - التحدي وآيات المعاجزة .....	١٨٦
٣ - قدر المعجز من القرآن .....	١٩٣

**ب**

٤ - الإعجاز البلاغي للقرآن ..... ١٩٥

الفصل الثالث: بدائع القرآن:

٢٠٩	..... ١ - مقدمة
٢١١	..... ٢ - التشبيه
٢٢٤	..... ٣ - الاستعارة
٢٢٨	..... ٤ - الكنية والتعريض
٢٣٢	..... ٥ - المثل
٢٣٧	..... ٦ - الإيجاز والإطناب
٢٤٦	..... ٧ - المحسنات البدوية
٢٥٤	..... قائمة المصادر والمراجع